# شؤون فلسطينية

٨٥ كانون الاول ( ديسمبر ) ١٩٧٨

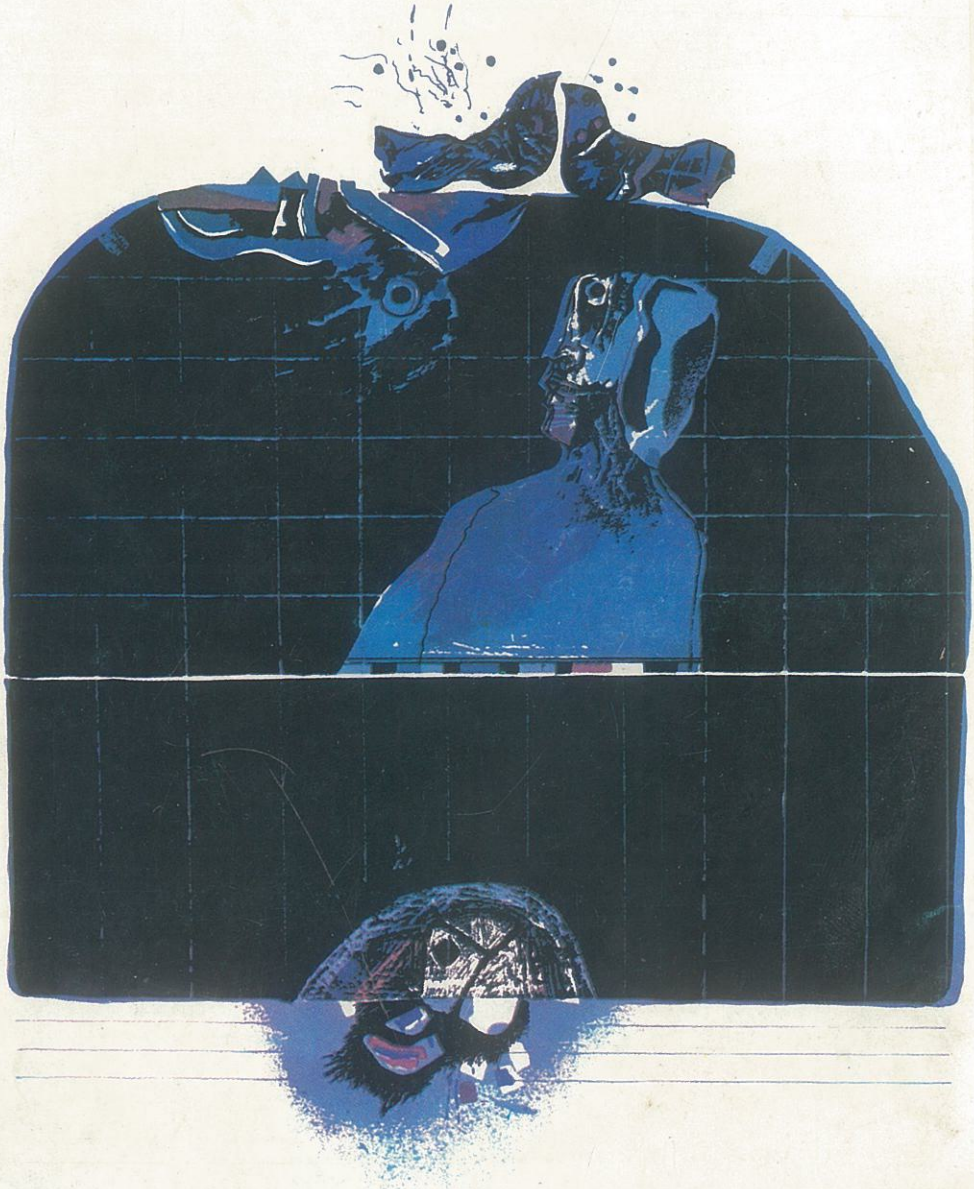

# شؤون فلسطينية

رئيس التحرير : محمود درويش

سكرتير التحرير : الياس خوري

٨٥ كانون الاول ( ديسمبر ) ١٩٧٨

شهرية فكرية لمعالجة أحداث القضية الفلسطينية وشؤونها المختلفة
تصدر عن مركز الأبحاث في منظمة التحرير الفلسطينية



جميع الآراء الواردة تعبر عن وجهات نظر كاتبيها ولا تعكس بالضرورة آراء منظمة التحرير الفلسطينية ولا المحررين ولا المستشارين ولا الناشرين ٠



**العنوان :** بناية الدكتور راجي نصر ، شارع كولومباني
( متفرع من السادات ) ، رأس بيروت ـ لبنان ، ص٠ب ١٦٩١
تلفون : التحرير والتوزيع ٣٥١٢٦٠ ٠
برقيا : مرابحاث ، بيروت ٠

مدير التوزيع : **غازي دانيال**

الاشتراك السنوي ( بريد جوي ) : ٦٠ ل٠ل٠ في لبنان وسوريا ، ٧٥ ل٠ل٠ في سائر الاقطار العربية ، ١٠٠ ل٠ل٠ في اوروبا ، ١٢٥ ل٠ل٠ في بقية بلدان العالم ٠

الاشتراك السنوي ( بريد عادي ) : ٦٥ ل٠ل٠ في جميع الدول غير العربية ٠

**الغلاف للفنان**
**ضياء العزاوي**

# المحتويات


| الصفحة | | |
|---|---|---|
| ٤ | محمود درويش | : سلام سلام ... ولا سلام ٠ |
| ٧ | فايز صايغ | : كامب ديفيد وفلسطين ٠ |
| ٣٥ | حسين ابو النمل | : مشروع الحكم الذاتي ، مقدمات ونتائج ٠ |
| ٥٥ | نزيه قوره | : أي حكم ذاتي ؟ |
| ٦٠ | محمد الشاعر | : نظرية الاحتمالات ودورها في اتخاذ القرارات السياسية والعسكرية ٠ |
| ٧٩ | هاني حوراني | : مقدمات نشوء الطبقة العاملة والحركة النقابية في الاردن ( ١٩٥٠ ـ ١٩٥٧ ) ٠ |
| ٩٩ | حنه شاهين | : الاقتصاد الاسرائيلي بعد سنة من حكم الليكود ٠ |
| ١١٩ | فارس غلوب | : الصهيونية والنازية ، علاقات واتفاقيات (٢) ٠ |
| ١٣٩ | رسائل | : رسالة بغداد ، طلال سلمان ٠ |

١٤٦ **تقارير** : **البحث عن قاسم مشترك** ، ناشي طه · **بدو النقب بين مصادرة الاراضي والحرس الاخضر** ، توفيق فياض ·

١٦٠ **شهريات** : (١) **المقاومة الفلسطينية** ، بلال الحسن · (٢) **اسرائيليات** ، ح·ش · (٣) **قضايا دولية** ، سمير كرم· (٤) **قضايا عسكرية** ، محمود عزمي ·

**شؤون ادبية**

١٨٥ محمود درويش : **الاقبية**

١٩٠ محمد برادة : **والشيء بالشيء يذكر ( قصة )** ·

١٩٨ رشاد ابو شاور : **زيتونة فلسطين العم ابو سلمى** ·

٢٠٠ سعيد مراد : **لقاء مع مؤلف رواية « ارض الميعاد »** ·

٢٠٨ الياس خوري : **برتقال من كاليفورنيا** ·

# سلام سلام .. ولاسلام

··· ولا نلتفت الى الوراء قليلا الا لانه يحاول ان يتقدم ، ولان سنة واحدة من عمر الزيارة الشهيرة التي قام بها الحاكم المصري لنصب الجندي الاسرائيلي المجهول ، كانت كافية لاقناع الجميع بانها لم تؤسس انعطافا بقدر ما كانت محصلة انعطاف عن قواعد الحد الادنى من ادارة الصراع العربي مع الشركة الصهيونية على ارض فلسطين ، وتعبيرا عن فلسفة الحاكم المصري الجديد بخلق توازن قوى جديد ، يتعهد فيه الاصل العدواني بالقيام بمهمة انقاذ الارض العربية من سيطرة فرعه الممتد في منطقة الشرق الاوسط ·

كان على اميركا ، في اجتهاد السادات ، ان تقود حركة التحرر العربية في معركة تحرير الاوطان المحتلة ، واقامة الدولة الفلسطينية التي تشكل البديل التاريخي الكامل للنشاز الصهيوني العابث في الجسد العربي · وكان عليها ، في سياق هذه العملية ، ان تشيع الرخاء والرفاهية وان تستأصل الامية والكوليرا ، وان تستنبط الجنة في الصحراء ، فيتأهب الانسان العربي لدخول القرن الحادي والعشرين امريكيا مؤمنا ، وتنتهي معاناة جيل كانت العقلية العربية ، خلاله ، انتحارية النزعة بربطها الصهيونية بالامبريالية ، مما ذهب بالدم والنفط هباء ، وجعلنا عرضة للخطر الشيوعي الرابض على سيناء والقدس والضفة الغربية والجولان وعمان ·

هل كان السادات بسيطا الى هذا الحد ؟ · ان السؤال ذاته يبدو ابسط من صياغته ، اذا ما جرت محاكمة مسيرة السادات على مستوى الاجتهاد ، وما يحمله من احتمالات الخطأ والصواب · وتزداد المسألة تبسيطا ، اذا بقيت المسألة على المستوى ذاته ، فنسأل : هل انقلبت اميركا على ذاتها وحددت لنفسها هذه المهمة الثورية الكبرى : تحرير الشعوب وتطويرها ؟ · لا شك في اننا نمزح ، او نسخر · ولكن السخرية تزداد فتكا بالنفس وبالقدس ، ونحن نقرأ الواقع العربي الذي ينتظر عودة السادات من احضان بيغن ، امام نصب الجندي الصهيوني المجهول الى نصب الجندي العربي المجهول ، او لاقامة نصب لشهداء دير ياسين المعروفين ! ·

انه ينتمي الى وعي اخر ، الى عالم اخر ، والى لغة اخرى · ولكن الواقع العربي يقف في محطة انتظار اخرى ، لعل السادات يعود من الساعات الاخيرة في الاسماعيلية بعد نشوب خلاف مفاجيء ، شخصي او قومي ، مع بيغن · ولا يعود · ولا يذهب المتفرجون الى الرصيف المعاكس · ففي محطة انتظار ثالثة ، كان الواقع العربي ينتظر عودة السادات من اللحظات الاخيرة في كامب ديفيد · وحين نكث بالوعد ولم يعد ، اخذ ملوك النفط والصمت المبادرة ، وتوجهوا الى القاهرة لشراء احتمالات وطن في السادات · لا شيء ، والان ماذا ينتظر الواقع العربي ليطور الحد الادنى من الرد على الحد الاقصى من الصد ؟ لعل الدقائق الاخيرة في

بلير هاوس تعيد الينا السادات ، وهو الذي يعلن كل يوم ، كمذيع ثرثار في راديو الجيران ، انه قطع اكثر من تسعين في المائة من طريق الصلح مع اسرائيل ، ووصل الى نقطة اللاعودة ؟٠

انه يقف ، او يريد ان يوقفنا ، امام اكداس من التفاصيل ٠ الربط ٠٠ الربط ٠ مرة ربط الضفة الغربية وقطاع غزة بالمعاهدة ٠ ومرة ربط غزة وحدها ٠ وفي كل انواع الربط التي تفترض غياب الارادة الفلسطينية ، لا معنى للربط الا محاولة ربط الجميع بعربة المعاهدة ، لكي لا يكون الاستسلام جزئيا ٠ ولكي تكون هزيمة حاكم واحد تعبيرا عن هزيمة امة ٠

ان كل هذه المباراة الدائرة في واشنطن لا تغير طبيعة ما يجري ، واتجاه المسار الذي توغلت فيه السياسة المصرية في تحولها الى اداة في الاستراتيجية الاميركية ٠ هل بقيت هنالك حاجة للبرهنة على ان عودة سيناء لا تجري ضمن عملية السلام الذي لا يستطيع الاحتفاظ بماهيته الا اذا تاسس على الشرط الفلسطيني؟ لان اية عملية لصياغة السلام في الشرق الاوسط ستحمل طبيعة نفي السلام اذا لم يتح لمحور الصراع على هذه الارض امكانية التعبير عن شروطه ٠

واكثر من ذلك ، ان سيناء لا تعود ايضا ضمن عملية التسوية السياسية التي من شروطها ان تعكس توازن القوى بين اطراف الصراع العربي ـ الاسرائيلي ، لان حجم الهزيمة السياسية والحضارية الذي يتقدم به السادات ، مفاوضا ، اكبر بكثير من حقائق القوى على ارض الصراع ، هذه الحقائق التي تتيح للعرب حدا ادنى من تحقيق مطالبهم : الانسحاب الاسرائيلي الكامل من الاراضي العربية المحتلة عام ١٩٦٧ ، واقامة دولة فلسطينية مستقلة ٠

ما حدث طيلة عام كامل من عمر الزيارة المعبرة عن محصلة انعطاف في الدور المصري في ادارة الصراع يتجاوز ، اذن ، شروط السلام الكامل ، وفي مقدمتها مفهوم السلام الفلسطيني ، ويتجاوز ايضا شروط التسوية السياسية ، ليضع السياسة المصرية في صف التصدي لمقومات الحياة العربية ٠ ان الاسرائيليين ، انفسهم ، اقل اندفاعا من السادات نحو التفاؤل ، فاذا تجاوزنا مظاهر البكاء اليهودي التقليدي ، والذكريات الحقيرة التي اقاموها مع مستوطنات سيناء ، لادركنا انهم لا يعتبرون ما يجري عملية لاحلال السلام ٠ انهم يسمونه سلاما جزئيا مع مصر ٠ « هارتس » مثلا : « لقد تم شراء السلام المصري الاسرائيلي بالانسحاب من سيناء مما يتيح لنا امكانية توطيد سيطرتنا على الضفة الغربية وقطاع غزة ٠ لقد حققت الصهيونية الدولة بالتوسع ٠ والسلام مع مصر يوطد هذا الانجاز ٠ وعلينا ان نعترف بأن السلام الجزئي ليس سلاما حقيقيا » ٠

لا يخفي احد من المسؤولين او المراقبين الاسرائيليين طبيعة هذه العلاقات الخاصة مع مصر · انها اخراج مصر من معادلة القوى العربية ، مما يمكن اسرائيل من احكام السيطرة والثبات في الاراضي العربية المحتلة · وان الاختلاف في صفوفهم هو حول مدى استعدادهم لمساعدة السادات على تزيين الحل المنفرد بروابط توحي للاخرين بوجود حل شامل ، يشمل الموضوع الفلسطيني ، مما يخفف الضغط العربي على مصر · ان البعض الاسرائيلي يريد انقاذ السادات [وربما اميركا] من الحرج العربي · وبعضهم يريد ان يسمي الاشياء باسمائها الحقيقية ويطمس كمائن الاغراء الاميركية التي تدعو العرب للسير في طريق كامب ديفيد لضمان انسحابات اسرائيلية ، لا تريدها اسرائيل · ولا يكف رئيس الحكومة الاسرائيلية عن التعبير عن « نوبة الابد » التي اصابته ردا على حاجة مصر الى الربط واعطاء العلاقة الثنائية صفة الشمولية · « الجيش الاسرائيلي ، استنادا الى كامب ديفيد ، سيبقى في الضفة الغربية وقطاع غزة الى الابد » · و « لن تتخلى اسرائيل عن القدس ، وهي عاصمتها التي توحدت الى الابد » · و « سنواصل الاستيطان اليهودي الى الابد » ·

لم يشفق بيغن على نائب السادات الذي يلهث وراء اي رابط يربط اي شيء بشيء اخر ، والذي قال في حديث خاص مع صحيفة « يديعوت احرونوت » الاسرائيلية معاتبا : « اننا نتعثر بقضايا صغيرة · ما هو وجه الخطر في بضعة رجال شرطة وبضعة رجال مراقبة حدود ؟ لا نريد ان تكون لنا سيادة في غزة · ولكن ، هل مكتب اتصالات مصري سيفسد الامر كله ؟ مم تخافون ؟ ان وجودنا هناك في غزة سيساعد في المحافظة على النظام في مواجهة منظمات الفدائيين والارهابيين والمظاهرات » ·

اسوأ من ذلك ، ان الواقع العربي ما زال يقدم تعابير على انتظار عودة السادات المحروم من « شرف » قمع المظاهرات الفلسطينية في غزة ، والعاجز عن ممارسة حقه الانساني في اخراج خيانته بزي حسن · فالاسرائيليون الساديون التدميريون لا يريدون ، على ما يبدو ، اغراء العرب بامكانيات كامب ديفيد منقح ، لانهم لا يريدون سلاما لا مع مصر ولا مع العرب · انهم يطالبون السادات بالتوقيع على سحق مصر ليتسنى لهم تحسين شروط حروبهم الشرقية · ومن الجائز ان يكون الاضطهاد الاسرائيلي للسادات موجها لقمع احتمالات انتظار عربي بتصحيح بعض البنود في كتاب كامب ديفيد بحيث تتسع لمخاطر التجربة · فمتى ينتهي الانتظار ؟·

محمود درويش

فـايـز صـايغ

# كامب ديفيـد وفلسطـين

« ان الاتفاقية التي ستتفاوض اسرائيل حولها مع مصر في غضون ثلاثة اشهر تبدو كسلام اسرائيلي ـ مصري منفصل ، ولها ملمس سلام اسرائيلي ـ مصري منفصل ، ولها رائحة سلام اسرائيلي ـ مصري منفصل ، ولكنها ليست سلاما اسرائيليا ـ مصريا منفصلا ·

هذا على الاقل ما لا يريد رئيس الوزراء بيغن ان تطلقه الصحف الاسرائيلية عليها لانه ( سيضعف ويحرج الرئيس السادات ) » ·

هاتان هما الفقرتان الافتتاحيتان لتقرير في ( الجويش ويك ) حول اجتماع بيغن مع ممثلي وسائل الاعلام الناطقة باللغة العبرية في العاصمة الاميركية واشنطن ، في الثامن عشر من ايلول ( سبتمبر ) ١٩٧٨ ـ اليوم التالي لنهاية قمة كامب ديفيد » (١) ·

كذلك شن الدبلوماسيون والناطقون الاميركيون حملة مكثفة تهدف الى اقناع زعماء عالم مشكك ـ وخصوصا الزعماء العرب ـ بأن ما انجز في كامب ديفيد لم يكن مجرد معاهدة سلام ثنائية منفصلة بين مصر واسرائيل بل ايضا اطار عمل حقيقي لتسوية شاملة للنزاع العربي ـ الاسرائيلي في جميع وجوهه ، بما فيها سببه الجذري ونواته ، المشكلة الفلسطينية ·

قال السيد فانس للجمعية العامة للامم المتحدة في التاسع والعشرين من ايلول :

« لن تكون اية اتفاقية سلام عادلة او مضمونة اذا لم تحل مشكلة الفلسطينيين باوسع معنى للكلمة · ونعتقد انه يجب ان يؤكد للشعب الفلسطيني انه والمتحدرين منه يمكنهم ان يعيشوا بكرامة وحرية وان تتاح لهم الفرصة للتعبير عن شخصيتهم السياسية والاقتصادية· اننا مصممون على تحقيق تسوية منصفة وعادلة لمسألة الشرق الاوسط في جميع اجزائها ، ونأمل ان يقتنص الشعب الفلسطيني هذه الفرصة » (٢) ·

ولكن اذا وضعنا البلاغة الدعائية ودبلوماسية العلاقات العامة جانبا ، فماذا يقدم « اطار السلام في الشرق الاوسط » الذي وضعته قمة كامب ديفيد حقا للشعب الفلسطيني بالمعنى الفعلي ـ للمستقبل القصير والمتوسط والبعيد المدى ؟

قبل ان نلتفت الى التفاصيل ، لنقدم بضع ملاحظات عامة حول الميزات الاساسية « لصيغة فلسطين » ككل كما وضعتها قمة كامب ديفيد ·

**المميزات الاساسية « للصيغة الفلسطينية »**

١ ـ **انكار الحقوق الفلسطينية الجوهرية :** يتصور اتفاقا كامب ديفيد حلا نهائيا للمشكلة الفلسطينية ، يحول دون ممارسة الحق الوطني غير القابل للتحويل ، للشعب الفلسطيني في تقرير المصير وفي ايجاد دولة في فلسطين ، والحق الانساني الطبيعي للفلسطينيين المشتتين في العودة الى ديارهم ، والحق الاولي للشعب الفلسطيني في اختيار وتعيين ممثليه الوطنيين ·

كانت اسرائيل والولايات المتحدة منذ البدء قد انكرتا على الشعب الفلسطيني هذه الحقوق · الا ان موافقة المفاوضين المصريين ، برئاسة الرئيس السادات ، على هذا الانكار ، هي التي ألغت النقطة المميزة المذهلة لصيغة فلسطين في كامب ديفيد · ومن هنا الاعلانات الفورية عن عدم القبول بتلك الصيغة التي صدرت ، لا عن منظمة التحرير الفلسطينية وزعماء السكان الفلسطينيين في الضفة الغربية وغزة فحسب ، بل ايضا عن حكومات الدول العربية ، فضلا عن الاجتماعات اللاحقة لكامب ديفيد التي عقدتها الدول غير المنحازة والاسلامية ، وعن الدول الاشتراكية وغيرها · ذلك انه فهم بوضوح ان الصيغة الفلسطينية لكامب ديفيد تخرق الاجماع الدولي حول المشكلة الفلسطينية الذي اعربت عنه تكرارا مؤتمرات القمة لجميع كتل هذه الدول ، فضلا عن الامم المتحدة نفسها ·

٢ ـ **التمزيق الدائم للشعب الفلسطيني :** ان اطار كامب ديفيد يقسم الشعب الفلسطيني الى فئات منفصلة ويعرض صيغا مختلفة لمعالجة الحالات الخاصة بكل منها · وهو يضع « سكان الضفة الغربية وغزة » في فئة خاصة ويركز الانتباه عليهم · ثم يأخذ علما بجماعة اخرى

من الفلسطينيين ، يتألفون من هؤلاء الذين « شردوا من الضفة الغربية وغـزة في ١٩٦٧ » ٠ واخيرا يشير بصورة غير دقيقة الى « مشكلة اللاجئين » ٠ ( الا انه تجدر الاشارة الى ان اطار كامب ديفيد لا يشير على الاطلاق الى ثلاث فئات اخرى : الفلسطينيين الذين شردوا او طردوا من الضفة الغربية وغزة منـذ ١٩٦٧ ، والفلسطينيين الذين شردوا في ١٩٤٨ ولكنهم لم يسجلوا انفسهم مـع الاونروا « كلاجئين » ، والفلسطينيين في اسرائيل ) ٠

بيد ان الفوارق بين الجماعات الفلسطينية المختلفة لم تطرح فقط من اجـل الغاية الاجرائية لتقديم صيغ ملائمة لمعالجة كل جماعة وفقا لوضعها الحالـي المميز ٠ بل على العكس : ان مؤتمري كامب ديفيد قد « عينوا » لكل من هـذه الجماعات مصيرا منفصلا ومميزا ٠

وهكذا سيصار الى انهاء وحدة الشعب الفلسطيني ، بصورة تامة ودائمة ، بموجب اتفاقي كامب ديفيد ٠

ان تمزق الشعب الفلسطيني ـ الذي هو بحد ذاته عارض من اعراض مأساته ـ قد حول في كامب ديفيد الى ميزة بارزة دائمة من مزايا الحـل المصري ـ الاسرائيلي ـ الاميركي للمشكلة الفلسطينية ٠

٣ ـ « **تسوية مفروضة** » : تتصف صيغة كامب ديفيـد الفلسطينية بجميـع العلامات المميزة « لتسوية مفروضة » ، وهو مفهوم سبق ان عارضته كل مـن اسرائيل والولايات المتحدة ٠

ان جميع القرارات الاساسية ـ سواء منها القرارات الواضحة ـ المتعلقـة بالاجراءات التي ستتبع في السعي الى حلول او القرارات الضمنية المتعلقـة بطبيعة تلك الحلول ـ قد اتخذت في كامب ديفيد في غياب ممثلين فلسطينيين ، ودون احترام الرغبات المعروفة للشعب الفلسطيني وحقوقة المعترف بها كونيا ٠ اذن فان الشعب الفلسطيني يواجه الآن من جديد ـ كما ووجه في مناسبات عدة خلال الاعوام الستين الماضية ـ بقرارات جوهرية حول مصيره دون مشاركتـه او معرفته او موافقته ٠ ومن هذه الناحية ايضا ، فإن ما كان حتى الآن عارضا من اعراض المأساة الفلسطينية جعل في كامب ديفيد ميزة دائمة مـن مميزات « الانقاذ » الفلسطيني المزعوم ٠ وسيدخل اطار كامب ديفيد تاريخ فلسطين جنبا الى جنب مع وعد بلفور ، وانتداب عصبة الامم ، وتوصية التقسيم الصادرة عن الجمعية العامة للامم المتحدة وقرار مجلس الامن الرقم ٢٤٢ ، وجميعها تعاملت مع الفلسطينيين « كأشياء » ، وتجاهلت حقوقهم التي لا يمكن تحويلها ، وتجاهلت مطامحهم المعروفة ٠

ومن هذه الناحية يجب ان نتذكر ان الرئيس السادات نفسه هو الذي اعلن في

خطابه الافتتاحي الى الجلسة الثالثة عشرة الاخيرة للمجلس الوطني الفلسطيني :

« ان الشعب الفلسطيني هو صاحب القرار في كل ما يتعلق بمصيره وقضيته ، وليس لاحد كائنا من كان ، ان يمارس عليه وصايته او يفرض عليه رأيه ، لان القرار اذا لم يكن نابعا من ارادة حرة يكون مفتقرا الى أهم مقوماته · ونحن هنا في مصر نصر على ان تظل الارادة الفلسطينية حرة مستقلة بعيدة عن أي قيد او تدخل · كما اننا نصر على احترام ما صدر عن هذه الارادة من قرارات وفي مقدمتها اختيار منظمة التحرير الفلسطينية ممثلا شرعيا وحيدا له ومدافعا عن حقوقه ومصالحه » (٣) ·

**٤ ـ بدائل اجرائية لمبادىء اساسية : خلافا لـ « اطار عمل من اجل عقد معاهدة سلام بين مصر واسرائيل » ، الذي يتضمن اتفاقيات حول مبادىء اساسية وعامة ، فضلا عن اعمال محددة ، فان « اطار عمل من اجل السلام في الشرق الاوسط » لا يقدم سوى صيغ اجرائية ·**

والى ذلك فان الاجراء العام الذي ينطوي عليه الاتفاق هو اجراء «المفاوضة»، وفي غياب الاتفاق على مبادىء اساسية فان هذا الاجراء سيمنح اسرائيل بالضرورة ، ومن الناحية العملية ، قوة حق النقض لاي اقتراح لا توافق عليه ، بما فيها اقتراحات لادراج قضايا بارزة معينة لا يؤتى على ذكرها تحديدا في الوثيقة حول جدول اعمال المفاوضات المقترحة ·

وهكذا فان القرارات الاساسية المتصلة بجميع وجوه المشكلة الفلسطينية قد ارجئت ببساطة · واطمأنت اسرائيل الى قدرتها على ان تمنع ـ عندما تأتي في النهاية لحظة القرار ـ تبني اي اتفاق لا توافق عليه · وبقدر ما هي اسرائيل الان ، وستكون آنذاك ، مسيطرة سيطرة فعلية على الحالة ، فان الاخفاق في التوصل الى اتفاقيات ( نتيجة للفيتو الاسرائيلي ) سيكون بمثابة ادامة للوضع الراهن ·

عندما قدم الرئيس كارتر « اطار العمل من اجل السلام في الشرق الاوسط » في السابع عشر من ايلول ( سبمتبر ) ١٩٧٨ ، قال للعالم :

« ان اطار العمل هذا يتعلق بالمبادىء وببعض التفاصيل بالطريقة الاكثر جوهرية التي ستحكم تسوية سلمية شاملة » (٤) ·

لكن حقيقة الامر هي ان الوثيقة المعنية لا تستحق ايا من هذه الاوصاف : فالوثيقة لم تعالج اية « مبادىء » او « تفاصيل » بطريقة « جوهرية » ـ كما سنرى فيما بعد ·

## اقامة نظام انتقالي في الضفة الغربية وغزة

١ ـ « **الحكم الذاتي الكامل** » ؟ : سيختبر سكان الضفة الغربية وغزة بعض التخفيف للحكم المباشر من الحكومة العسكرية الاسرائيلية وقسطا من الحكم الذاتي ، وذلك الى حد ما وفقا لاقتراح تقدم به اولا بيغن في الثامن والعشرين من كانون الاول ( ديسمبر ) ١٩٧٧ ٠

ومع ان الرئيس كارتر ، في خطابه الى الجلسة المشتركة للكونغرس ، في الثامن عشر من ايلول ( سبتمبر ) ١٩٧٨ ، وصف هذا التحول بقوله ان :

« الحكم العسكري الاسرائيلي على تلك المناطق سيسحب ويستبدل بحكم ذاتي له استقلال كامل » (٥) ،

فانه قيل بوضوح في اطار عمل كامب ديفيد ان « السلطات والمسؤوليات ( المحددة ) لسلطة الحكم الذاتي التي ستمارس في الضفة الغربية وغزة » لم تحدد بعد ، وانها ستحدد عن طريق المفاوضات بين مصر واسرائيل والاردن ٠

وعلى حكومة كل من هذه البلدان الثلاثة ان « توافق » على « سلطات ومسؤوليات » سلطة « الحكم الذاتي » ، وهذا يعني انه سيكون لكل من هذه الحكومات حق النقض ، وبالتالي فان سلطة « الحكم الذاتي » لن تكون قادرة على التمتع باي من خاصيات « الحكم الذاتي » او « الاستقلال الكامل » التي لا تقبل الحكومة الاسرائيلية بمنحها اياها ٠

٢ ـ **المشاركة الفلسطينية : حقيقة ام خيال ؟** : صحيح ان الاتفاق يشترط ايضا انه ، في المفاوضات التي ستحدد فيها سلطات ومسؤوليات سلطة « الحكم الذاتي » ، قد يضم وفدا مصر والاردن وفدا « من الفلسطينيين من الضفة الغربية وقطاع غزة او فلسطينيين آخرين وفقا لما يتفق عليه » ٠ وقد اثارت هذه العبارة المتساهلة قليلا بعض الكلام المنمق المغالى به ٠ وهكذا قال وزير الخارجية فانس للجمعية العامة للامم المتحدة في التاسع والعشرين من ايلول ( سبتمبر ) ١٩٧٨ :

« ان اطار عمل كامب ديفيد يعطي الفلسطينيين كذلك دورا حيويا في تكوين مصيرهم عن طريق الاعتراف بهم كمشاركين في جميع اوجه المفاوضات التي تقرر مستقبلهم ٠ سوف يشتركون في المفاوضات لاقامة سلطتهم المتمتعة بالحكم الذاتي ٠٠٠ » (٦) ٠

ولكن خلافا لذلك التأكيد فان المشاركة الفلسطينية من هذه الناحية تخضع لستة تحديدات حاسمة :

١ ) ان ضم الفلسطينيين الى الوفدين الاردني والمصري ليس الزاميا : بل هو يخضع لقرار حكومتي الاردن ومصر ٠

٢ ) كما ان اختيار الفلسطينيين الافراد يخضع لارادة هاتين الحكومتين : فالفلسطينيون المختارون لن يكونوا ممثلي شعبهم بل معينين من حكومة عربية ٠

٣ ) اذا اختارت اي من الحكومتين العربيتين ان تضم فلسطينيين الى وفدها ، فان كل فلسطيني تختاره يجب ان توافق عليه اسرائيل اولا ٠ وهكذا تستطيع اسرائيل ان ترفض مشاركة اي فلسطيني فرد في اي من الوفدين العربيين ٠

٤ ) خلال المفاوضات ، اي اقتراح قد يرغب عضو فلسطيني في اي من الوفدين العربيين ان يتقدم به يجب ان يوافق عليه الوفد العربي المعني قبل ان يقدم رسميا في المفاوضات ٠

٥ ) ان الاقتراحات ، الاسرائيلية او العربية ، التي لا تكون مقبولة لدى اي مشارك فلسطيني ( او لدى جميع المشاركين الفلسطينيين ) لن يرفضها الوفد العربي المعني الا اذا وجدت حكومته ايضا ان المقترحات المطروحة غير مقبولة لديها ٠

٦ ) ان اي اقتراح يتقدم به مشارك فلسطيني ـ على افتراض ان الوفد العربي الذي يعمل فيه قد تبناه وطرحه ـ يجب ان يوافق عليه وفد اسرائيل قبل ان يمكن عكسه في الاتفاق النهائي ٠

في ظل هذه التحديدات ، فان دور الفلسطينيين المشاركين ـ على افتراض ان اي فلسطيني يختار المشاركة او يسمح له بالمشاركة ـ هو دور محدود الى اقصى حد : انه ابعد ما يكون عن « الدور الحيوي » الذي تكلم عنه السيد فانس ٠

اذن ، فان مصر واسرائيل والولايات المتحدة قد قررت سلفا ان دور اي فلسطيني يمكن ان يتم اختياره بصفته الشخصية للمشاركة في المفاوضات الثلاثية المقترحة سيكون دورا تابعا او خاضعا ـ دورا رمزيا ٠

ولن يكون الشعب الفلسطيني ككل ، ولا السكان الفلسطينيون في الضفة الغربية ، ممثلين كفريق مستقل ، وعلى قدم المساواة مع الفرقاء الاخرين ، في المفاوضات التي ستحدد خلالها سلطات ومسؤوليات السلطة المتمتعة « بالحكم الذاتي » ٠

**٣ ـ بدعة السادات : المشاركة الفلسطينية « بالوكالة » :** ان ادعاء تمكين الفلسطينيين من لعب دور حيوي في تشكيل مؤسساتهم في المستقبل في الضفة الغربية وغزة قد ضرب به عرض الحائط في تبادل الرسائل الذي رافق الاتفاق على اطار عمل كامب ديفيد ٠ ففي رسالة مؤرخة في السابع عشر من ايلول ( سبتمبر ) ١٩٧٨ ، كتب الرئيس السادات الى الرئيس كارتر :

« للتأكد من تطبيق البنود المتعلقة بالضفة الغربية وغزة ومن اجل صون الحقوق

المشروعة للشعب الفلسطيني ستكون مصر على استعداد للاضطلاع العربي المنبثق من هذه البنود بعد مشاورات مع الاردن وممثلي الشعب الفلسطيني » (٧) ٠

وبالنظر الى المعارضة الواضحة التي اعربت عنهـــا منظمـة التحريـــر الفلسطيني ( نيابة عن الشعب الفلسطيني ككل ) وزعماء الضفة الغربية وغـزة ( نيابة عن ذلك القسم من الشعب الفلسطيني المعني بصورة مباشرة ) للصيغـة الفلسطينية المنبثقة عن قمة كامب ديفيد ، فان اية محاولة يقوم بهـــا الرئيس السادات لتطبيق ذلك التعهد الاحادي الجانب تهزأ من أي ادعاء بان الترتيبات التي قد تنبثق عن العمليات التي ابتدأتهـا كامب ديفيـد تمثـل ارادة الشعب الفلسطيني او تستجيب لمطامحه او تصون حقوقه ومصالحه ٠

**٤ ـ الانتخابـات « الحـرة » تحت الاحتـلال العسكري الاجنبي :** لقـد سبـق للولايات المتحـدة ومصر واسرائيـل ، في « اطار العمـل مـن اجـل السلام » المنبثق عن كامب ديفيد ، ان اتفقت على ان الانتخابات لسلطة « الحكم الذاتي » ستجري تحت الاحتلال الاسرائيلي وفيما تستمر الحكومة العسكريـة الاسرائيلية في ممارسة السلطـة الوحيدة في الضفة الغربية وغـزة ٠ ولا يوجد اي شرط لانسحاب الحكومة العسكرية الاسرائيلية قبل الانتخابات ، او علـى الاقل لتعليق الحكم العسكري الاسرائيلي خلال الحملة الانتخابية والانتخابـات الفعليـة ٠

كما لا يوجد ثمة شرط للاشراف الدولي غير المتحيز من اجل صيانة حريـة العملية الانتخابية ، وسلامة نتائج الانتخابات ، او حرية التعبير خلال الحملـة الانتخابية ٠

**٥ ـ تحديـدات قانونيـة اضافيـة :** وهكـذا فـان سلطة « الحكـم الـذاتـي » المعاقـة قبـل ولادتهـا ـ نظـرا الى ان سلطاتها ومسؤولياتهـا سيحددهـا آخـرون ، وكذلـك نظـرا الى ان الانتخابـات ستجـري تحت احتلال عسكري اجنبي دون اشراف دولي ـ هي معاقة حتى اكثر من ذلك نتيجة لشروط الزامية معينة في اتفاقية كامب ديفيد ، من شأنها ان تضع تحديـدات اضافية تشل استقلالها ٠ فقد اشترط بصورة واضحة في « اطار العمل من اجل السلام » ان « هذه الترتيبات الجديدة » يجب ان « تعطي الاعتبار اللازم لكل من مبدأ حكم الذات لسكان هذه الاراضي ولاهتمامات الامن الشرعية لكل مـن الاطراف التي يشملها النزاع » ٠ وهكذا ، على سبيل المثال ، « ستشترك القوات الاسرائيلية والاردنية في دوريات مشتركة وفي تقديم الافراد لتشكيل مراكـز مراقبة لضمان امن الحدود » ٠

## « الحكم الذاتي » خلال الفترة الانتقالية

**١ ـ اضفاء « الشرعية » على الاحتلال الاسرائيلي المستمر :** خلال الفترة الانتقالية ـ التي ستدوم خمسة اعوام منذ الوقت الذي « ستقام » فيه سلطة الحكم الذاتي ـ ستستمر القوات الاسرائيلية في التمركز في الضفة الغربية وغزة ، على الرغم من الانسحاب الجزئي ، في مواقع ستعين خلال المفاوضات المصرية ـ الاسرائيلية ـ الاردنية المقترحة · ولما كان اتفاق الولايات المتحدة واسرائيل ومصر في كامب ديفيد قد قرر مقدما مسألة الوجود المستمر للقوات الاسرائيلية في الضفة الغربية وغزة طيلة الفترة الانتقالية التي ستدوم خمسة اعوام ، فان هذه المسألة لن تكون خاضعة للمزيد من البحث والاتفاق في المفاوضات الثلاثية المقترحة · وستكون سلطة « الحكم الذاتي » ، التي ستنتجها تلك المفاوضات ، ملزمة بالقبول بذلك القرار ·

كما لن يسمح لسلطة « الحكم الذاتي » بان يكون لها رأي في تقرير **المواقع** التي سيصار الى اعادة توزيع تلك القوات فيها ، او **حجمها** ، او **اسلحتها** ، او **وظائفها** ، اذ أن جميع هذه المسائل ستكون اسرائيل ومصر والاردن قد قررتها في المفاوضات الثلاثية المقترحة **قبل** اقامة سلطة « الحكم الذاتي » · وستكون الاتفاقيات بين الفرقاء الثلاثة ملزمة لتلك السلطة ·

وهكذا فان اطار عمل كامب ديفيد يضفي « الشرعية » **الاميركية ـ المصرية** على الاحتلال الاسرائيلي المستمر للمناطق الفلسطينية المعنية لسنين مقبلة · كما ان المفاوضات المصرية ـ الاسرائيلية ـ الاردنية ـ التي اشترط بان تجري « على اساس » اتفاق كامب ديفيد ـ قد قرر سلفا ان تضفي المزيد من « الشرعية » ، على ذلك الاحتلال عن طريق الموافقة **الاردنية** ( اذا وافق الاردن على الاشتراك في تلك المفاوضات ) · كذلك فان سلطة « الحكم الذاتي » في تلك الاراضي الفلسطينية ـ التي يجب ان توافق على ذلك الاحتلال المستمر ـ ستمنح بالنتيجة « الشرعية » **الفلسطينية** للاحتلال ·

وهكذا ، « بفضل » « اطار العمل من اجل السلام » المنبثق عن كامب ديفيد ، فان احتلالا اسرائيليا ـ كانت الاسرة الدولية بكاملها تعلن انه غير شرعي طيلة احدى عشرة سنة ـ سيتمكن الان من المحافظة على نفسه في الاراضي الفلسطينية المعنية بوصفه احتلالا « شرعيا » لعدة سنين اخرى ، ان لم يكن بصورة دائمة !

**٢ ـ استثناء القدس المحتلة :** ان « اطار عمل » كامب ديفيد يضع القدس المحتلة خارج نطاق سلطات ومسؤوليات سلطة « الحكم الذاتي » المقترحة بصورة تامة ·

يجدر التذكير بان القدس المحتلة ، منذ بداية الاحتلال الاسرائيلي للضفة الغربية ، قد **ضمت** رسميا ووسعت مساحتها ( عن طريق ضم اراضي فلسطينية محتلة اخرى ) · كما ان **تكوينها الديموغرافي** قد غير بصورة جوهرية ، عن طريق تشريد وابعاد الوف الفلسطينيين من « القدس الكبرى » وتوطين الالوف من الاسرائيليين فيها ·

ولما اخفق مؤتمرو كامب ديفيد في الاتفاق حتى على صيغة اجرائية ما لتقرير وضع القدس المحتلة خلال الفترة الانتقالية وما بعدها ، فانهم لجأوا الى حيلة « تبادل الرسائل » ، حيث اكد كارتر وبيغن مواقف بلديهما بينما قام السادات ببعض التنازلات ، منحرفا عن الموقف العربي ·

لقد قيل ان بيغن ، خلال مناقشة الكنيست لاتفاقي كامب ديفيد ، « كشف عن انه هدد بعدم توقيع الاتفاقين لو ان الرئيس المصري انور السادات مضى في نيته ان يرسل له ( رسالة اختلاف في الرأي ) » فيما يتعلق بالقدس· وفيما يتعلق « بتبادل الرسائل » ، قال بيغن للكنيست :

« لا يهمني في الواقع ماذا يكتب السيد كارتر للسيد السادات او السيد السادات للسيد كارتر · ستبقى القدس العاصمة الموحدة الابدية لاسرائيل ، وهذا كل ما هنالك · وان ما نعلنه نحن حول هذه القضية هو الذي سيثبت » (٩) ·

وقبل ذلك كان قد قال لجمهور كبير من الزعماء اليهود الاميركيين في نيويورك ، في العشرين من ايلول ( سبتمبر ) ، ان القدس كانت « قضية حامية » في كامب ديفيد وانه « وبخ » كارتر لعدم اعترافه بالقدس كعاصمة لاسرائيل · واضاف :

« سواء كان هناك اعتراف ام لا ، فان القدس موحدة ، ولا يمكن تقسيمها وستبقى الى الابد عاصمة شعبنا » (١٠) ·

وكرر بيغن ذلك التصريح المرة تلو المرة في برامج تلفزيونية اميركية · وفي وقت لاحق جعل فحوى ذلك التصريح الموضوع الوحيد لرسالته في عيد رأس السنة العبرية ( ٢٨ أيلول ١٩٧٨ ) وقد جاء فيها ما يلي :

« لاخوتي ، يهود التشتت ، من القدس ، العاصمة الابدية غير القابلة للتقسيم لشعبنا وارضنا ، ارسل تحياتي القلبية · ليبارك الله كل بيت وعائلة يهودية بالسعادة ولتكن السنة القادمة مباركة كسنة السلام · وكل عام وانتم بخير » (١١) ·

وفي غياب اتفاق اميركي ـ اسرائيلي ـ مصري واضح في كامب ديفيد حول

ذلك الموضوع ، فان مسألة القدس لن تظهر على جدول اعمال المفاوضات الثلاثية المقترحة التي تهدف الى تحديد سلطات ومسؤوليات سلطة « الحكم الذاتي » ـ فقد اشترط بصورة واضحة ان تجري تلك المفاوضات حصرا **على اساس** اطار عمل كامب ديفيد ٠

وبالتالي ، فان سلطة « الحكم الذاتي » ستمنع آليا من ممارسة اية سلطات او مسؤوليات فيما يتعلق **باراضي** القدس المحتلة ، بما فيها المناطق المحتلة الاضافية التي ضمت الى « القدس الكبرى » ، **او سكانها** ٠ كما انها لن تكون مؤهلة لممارسة اية سلطات فيما يتعلق **بالممتلكات** التي صادرتها اسرائيل وضمتها الى « القدس الكبرى » خلال الاعوام الاحدى عشرة الماضية ٠

**٣ ـ مراوغة حول المستوطنات الاسرائيلية : أ ) تأسيس مستوطنات جديدة :** فيما يتعلق بالمستوطنات الاسرائيلية التي اسستها اسرائيل في الاراضي العربية المحتلة ، بما فيها الاراضي الفلسطينية للضفة الغربية وغزة ـ خارقة بذلك القانون الدولي ، ومتحدية الادانات المتكررة للامم المتحدة ـ فان الجدل حول ما تم فعلا الاتفاق عليه في كامب ديفيد لا يزال محتدما ٠ ويدور ذلك الجدل حول وجه واحد فقط من وجوه مسألة المستوطنات الاسرائيلية في الضفة الغربية وغزة ، وهو ما اذا كان تجميد انشاء مستوطنات جديدة ، الذي وافق عليه بيغن ، ينطبق فقط على فترة الاشهر الثلاثة التي يجب ان تجري فيها المفاوضات حول سلام مصري ـ اسرائيلي منفصل ( كما يقول بيغن ) ، ام ينطبق على الفترة التي تجري خلالها المفاوضات الثلاثية المقترحة حول شروط اقامة سلطة « الحكم الذاتي » في الضفة الغربية وغزة ( كما يقول كارتر ) ٠

ووراء ذلك ، ثمة نزاع آخر حول ما اذا كانت المفاوضات الثلاثية تستطيع او لا تستطيع ان تتناول مسألة انشاء مستوطنات اسرائيلية جديدة في الضفة الغربية وغزة خلال الفترة الانتقالية التي ستدوم خمسة اعوام ، وبالتالي ما اذا كان يمكن او لا يمكن لسلطة « الحكم الذاتي » ان تعطي السلطة لمنع او ضبط انشاء مستوطنات جديدة في تلك الاراضي ٠ وقد لخص ديفيد لانداو وجهتي النظر كما يلي :

« تقول اسرائيل انها ستستعيد حق اقامة مستوطنات جديدة الا اذا قرر الفرقاء الاربعة جميعا ( اي بما فيهم اسرائيل نفسها ) خلاف ذلك ٠ وتقول الولايات المتحدة ان تجميد المستوطنات سيستمر بالنتيجة الا اذا قرر الفرقاء الاربعة رفعه » (١٢) ٠

لقد سعى الرئيس كارتر الى ان يقلل من شأن النزاع الاسرائيلي ـ الاميركي وبذلك يبرىء بيغن من اي عمل غير لائق ٠ فقد قال لمؤتمر صحافي في الثامن والعشرين من ايلول ١٩٧٨ : « انني يقينا لا ازعم صدور عمل غير لائق من جانبه ٠ انه مجرد اختلاف مخلص في الرأي » (١٣) ٠ وقد حذرت صحيفة

اميركية واحدة على الاقل من « تغيير الرأي » الذي ينطوي عليه ذلك التصريح · فقد كتبت صحيفة كريستشن ساينس مونيتور في افتتاحيتها :

« يبدو ان الرئيس كارتر قد لين نزاعه مع اسرائيل ··· واذا كان قد غير رأيه ، فاننا نشك في حكمة قراره » (١٤) ·

والامر الذي لا يقل اثارة للدهشة عن تبرئة الرئيس كارتر لبيغن حول هـذه القضية هو انه سمح لنفسه بان يخدعه الغموض حول قضية حيوية كهذه في المقام الاول · ذلك ان ادارة كارتر عرفت اكثر من اختبار واحد مع مراوغة ادارة بيغن حول مسألة التجميد من جانب واحد لاقامة مستوطنات اسرائيلية · ففي المناسبة قبل الاخيرة ، لخصت الواشنطن بوست ما وصفته بسياسة بيغن « المثيرة والمراوغة » كما يلي :

« ما ان وعد مناحيم بيغن جيمي كارتر شخصيا في تموز ( يوليو ) الماضي بان اسرائيل ستقيد انشاء مستوطنات جديدة في الاراضي المحتلة حتى اجازت الحكومة الاسرائيلية ثلاث مستوطنات قائمة ولكنها كانت سابقا غير مرخص بها في الضفة الغربية· وبعد ذلك بثلاثة اسابيع فقد تم تأسيس ثلاث مستوطنات مدنية جديدة ···

وموشي دايان اكد لجيمي كارتر في ايلول ( سبتمبر ) انه لن تكون هناك مستوطنات جديدة الا ضمن المعسكرات العسكرية القائمة ··· ثم تبين ان تعهد دايان لا يسري الا لسنة واحدة · وسرعان ما صارت سنة « واحد » هي « الـ » سنة ، ١٩٧٧ ·

في الثالث من كانون الثاني ( يناير)١٩٧٨ ، بعد بضعة اسابيع من مبادرة انور السادات في القدس التي حولت المشهد الدبلوماسي ، اجازت الحكومة ثلاث مستوطنات مدنية اخرى في الضفة الغربية ـ وان يكن داخل محيطات عسكرية ـ في جزء من الضفة الغربية يسكنه العرب بكثافة · ومنذ ايام فقط اكتشف المسؤولون الاميركيون علامات على مستوطنة جديدة اخرى · وقال السيد كارتر انه اكد له انها مجرد حفريات اثرية ، الا ان الاشخاص الذين يعيشون هناك يقولون انهم يعتزمون البقاء ·

فماذا يجري ؟ لقد صعق الكثيرون من الاسرائيليين ، وحتى بعض الذين يوجدون داخل ائتلاف الحكومة ، عندما وجدوا ان السيد بيغن ينتهج سياسة مثيرة ومراوغة الى هذا الحد · ان سياسة تهريب مستوطنات جديدة ما بين اسطر التأكيدات للولايات المتحدة هي سياسة سيئة للولايات المتحدة ، ولجيمي كارتر شخصيا » (١٥) ·

وبالاسلوب نفسه استعرضت النيويورك تايمز ايضا ما وصفته « بالسلوك المختلس » الذي تتسم به سياسة اسرائيل في « زرع مستوطنات جديدة » · فقد كتبت في احدى افتتاحياتها :

« بعد موافقة الرئيس كارتر علىان اسرائيل يجبالا تعوق الطريق الى المفاوضات بعقبات نفسية وحتى مادية جديدة ، كانت حكومة رئيس الوزراء بيغن واسعة الحيلة جدا ولكن في

غاية الحماقة في معالجة قضية المستوطنات · فان مستوطنات قائمة كانت غير مجازة سابقا قد اعترف بها رسميا وصارت مؤهلة للدعم الحكومي · وافردت مستوطنات جديدة ، زعم انها محصورة في مخيمات عسكرية ، لتجرد من الصفة العسكرية ولاشكال مختلفة من اضفاء الصفة المدنية عليها · واحدى المستوطنات ، غير المجازة رسميا ، اعطيت ورقة تين، اذا اعتبرت موقع « حفريات اثرية » · وتقوم وحدات عسكرية ببناء ثلاث مستوطنات اخرى بموجب خطة « قديمة » ولكن لمدنيين جدد ·

وتأثير كل هذا هو تصوير زعماء اسرائيل كمخادعين مصممين على قيادة تراكتورات ضخمة عبر منافذ الاعلانات السياسية الرزينة » (١٦) ·

وبالنظر الى هذا التاريخ ، لا يمكن ان يغفر للسيد كارتر سماحه لاتفاقي كامب ديفيد بان يحتويا على مثل هذه المنافذ للتهرب من الالتزامات التي يمكن ان يختار بيغن ان يقود تصميمه عبرها للاستمرار في استعمار الضفة الغربية وغزة · وقد انحى الرئيس كارتر باللائمة على نفسه في اول مواجهة له مع مراوغة بيغن ، بعد لقائهما الاول · فقد قال لمؤتمر صحافي في الثامن والعشرين من تموز ( يوليو ) ١٩٧٧ :

« ان مسألة اجازة مستوطنات قائمة كانت موضوعا لم نبحثه ابدا ، لا انا ولا رئيس الوزراء بيغن · كان اهتمامي الخاص هو باقامة مستوطنات جديدة » (١٧) ·

ولدى الالحاح عليه لتقديم المزيد من الشرح ، قال : « اكره ان اعترف بذلك لكم ،ولكنني لم افكر في اثارة موضوع الاعتراف بشرعية تلك المستوطنات · لقد كان الموضوع الذي اردت ان ابحثه معه ـ وقد فعلت ذلك ـ في الاجتماع العام مع اعضاء الحكومة وايضا بصورة شخصية في الطبقة العلوية من البيت الابيض ، هو تأسيس مستوطنات جديدة » (١٨) ·

ولكن بحلول ايلول ١٩٧٨ ، فلا قلة التجربة مع الوجوه المعقدة لمسألة المستوطنات ولا عدم معرفة اسلوب بيغن في المراوغة كان يمكن ان يعتبرا عذرا كافيا للامتناع في كامب ديفيد عن جعل الاتفاق حول المستوطنات متحررا قدر الامكان من المنافذ التي يمكن بها التهرب من الالتزامات ·

**( ب ) توسيع المستوطنات القائمة :** كل هذا يتعلق بتأسيس مستوطنات **جديدة** · الا انه لم يتفق على شيء على الاطلاق في كامب ديفيد حول المسألة المتصلة ، مسألة **تكبير الاراضي** او **التوسيع الديموغرافي** للمستوطنات **القائمة** · ولم تقم اسرائيل بأي التزامات لعدم القيام بتعزيز المستوطنات القائمة في الضفة الغربية وغزة ، سواء خلال الفترة اللاحقة مباشرة او خلال الفترة الانتقالية التي تمتد خمسة اعوام او بعدها · الا ان هذه مسألة لا تقل اهمية عن مسألة زرع مستوطنات جديدة ·

وفي ضوء احداث السنة الماضية ، يمكننا ان نرى بسهولة ان احتمال مضي اسرائيل في انشاء مستوطنات جديدة تحت قناع توسيع مستوطنات قائمة ليس احتمالا بعيدا · فقد لجأت اسرائيل الى تلك الحيلة بالضبط في اوائل كانون الثاني ( يناير ) ١٩٧٨ ـ بين نهاية قمة الاسماعيلية التي عقدها بيغن والسادات في عيد الميلاد الماضي وعقد اللجنتين السياسية والعسكرية ، في القاهرة والقدس ، في اواسط كانون الثاني ١٩٧٨ ·

وعندما بلغت الامور مرحلة الازمة نتيجة للحملة الاسرائيلية المكثفة لبناء مستوطنات جديدة في سيناء في اوائل كانون الثاني ١٩٧٨ ، وللاستياء الشديد الذي اعربت عنه كل من الولايات المتحدة ومصر ، وجدت الحكومة الاسرائيلية مخرجا عن طريق المراوغة · ووصف وليم ي· فاريل قرارات الحكومة الاسرائيلية ، في الثامن من كانون الثاني ١٩٧٨، في النيويورك تايمز، بالكلمات التالية :

« وعيا منها لحساسية المفاوضات الوشيكة بين اسرائيل ومصر ، رفضت الحكومة اليوم خططا لتأسيس مستوطنات جديدة في المناطق التي تحتلها اسرائيل من سيناء · الا ان سكرتير الحكومة ، ارييه نوار قال ان الحكومة صوتت لتوسيع الاراضي الزراعية ولتشجيع مستوطنين اضافيين على الانتقال الى المجتمعات الاسرائيلية القائمة في شمالي سيناء ـ والى جوار شرم الشيخ ··· » (١٩) ·

وفي تقرير من يميت ، المستوطنة الاسرائيلية الرئيسية في سيناء ، كتب السيد فاريل يقول :

« قالت الحكومة ( لا ) لمستوطنات جديدة ولكن « نعم » لتوسيع المستوطنات القائمة · ورؤية الوضع على الطبيعة يمكن ان يسبب الحيرة · فبعض الناس يقولون ان البولدوزرات والآليات تقتطع الاراضي من اجل مستوطنات جديدة · ويقول آخرون ان العمل هو من اجل توسيع مستوطنات قائمة · ويسأل البعض الى اي مدى يتوجب على الآلة ان تعمل بدءا من مستوطنة قائمة قبل أن تتورط في حرث الارض من اجل مستوطنة جديدة ؟» (٢٠)·

ولاحظ مراقبون آخرون المراوغة الاسرائيلية الساخرة ، وهكذا كتب رونالد كوفين في الواشنطن بوست :

« بعدما كاد ينفجر الوضع في ازمة حكومية اسرائيلية حول ايقاف خطة سريعة من اجل مستوطنات جديدة ، قررت الحكومة انها ستضيف اناسا واراض زراعية الى المستوطنات القائمة ولكنها لن تقيم مستوطنات جديدة ·

ان الكثيرين من سكان المنطقة يرون هذا الامر على انه مجرد تلاعب في الكلام · ويقولون انه لا يهمهم اذا اختارت الحكومة ان تصف ما كان في الاصل مصمما كمستوطنات جديدة بانه توسيع لمستوطنات قديمة » (٢١) ·

ويصف تسفي اريتشتاين في الجيروزاليم بوست كيف نفذت قرارات الحكومة الاسرائيلية في الواقع :

« ان قرار الحكومة ( لتعزيز المستوطنات الزراعية القائمة ) في منطقة يميت يجري في الواقع تحديده على انه تأسيس ( لمواطىء اقدام ) زراعية منفصلة تبعد حتى ستة كيلو مترات عن مستوطنة قائمة في شمالي سيناء ..

وقد بحث بناء ٢٠ من ( مواطىء الاقدام ) هذه في اجتماع في يميت بين وزير الزراعة اريل شارون ومدير المستوطنات في الوكالة اليهودية رعنان فايتس في السادس من كانون الثاني ...

ويبدو ان الخطة تدعو الى اقامة منزل واحد في كل موقع قبل المضي في تنميته اكثر فاكثر » (٢٢) .

ومع معرفة الرئيسين كارتر والسادات التامة بنمط العمليات الاسرائيلي هذا ، فقد امتنعا عن ان يطلبا من رئيس الوزراء بيغن ـ او انهما حاولا ولكنهما اخفقا في ان ينتزعا منه ـ التزاما بالامتناع لا عن انشاء مستوطنات جديدة فحسب بل ايضا عن توسيع المستوطنات القائمة . وسيعود هذا الاخفاق ليقلق المشاركين في كامب ديفيد في المستقبل . اذ ان بيغن قد اعلن في الكنيست انه :

« فيما يتعلق بالضفة الغربية ، لم تكن هنالك اية مشكلة حول تعزيز المستوطنات الاسرائيلية » (٢٣) .

**( ج ) الاحتفاظ بجميع المستوطنات :** الامر الاهم من مسألة اقامة مستوطنات جديدة او التوسيع الاقليمي ـ الديموغرافي للمستوطنات القائمة هو مسألة الاحتفاظ بمستوطنات اسرائيلية في الضفة الغربية وغزة .

لم تقدم اسرائيل أية التزامات على الاطلاق فيما يتعلق بتصفية شبكة المستوطنات التي زرعتها في الضفة الغربية وغزة منذ ١٩٦٧ .

وبالتالي فان المسألة الصعبة المتعلقة بمستقبل المستوطنات الاسرائيلية ، وهي مسألة لم تحل ، حتى بصورة مبدئية ، في كامب ديفيد ، تبقى مفتوحة . كما ان جميع المسائل الاخرى المتعلقة بمستقبل الضفة الغربية وغزة تبقى مفتوحة . ولم يتم الاتفاق في كامب ديفيد على اية مبادىء جوهرية تتحكم بالمفاوضات حول تلك المسائل . الا ان ارجاء قضايا صعبة بمثل هذه الاهمية الى مفاوضات في المستقبل ، دون تقديم اية توجيهات حول المبادىء التي يجب ان تتحكم بتلك المفاوضات انما يعني ، كما سبق ان اشرنا ، التصرف بطريقة تعود بالفائدة على الفريق الذي يسيطر على الحالة الان وسيسيطر عليها آنذاك ـ اسرائيل ـ وتعود بالضرر على الفلسطينيين .

**( د ) سلطة « الحكم الذاتي » والمستوطنات :** وفي هذه الاثناء فان المستوطنات الاسرائيلية ستثير عددا من المشكلات المهمة لسلطة « الحكم الذاتي » وحولها خلال الفترة الانتقالية :

(١) هل سيشترك المستوطنون الاسرائيليون في الضفة الغربية وغزة في الانتخابات لاقامة سلطة « الحكم الذاتي » ؟ ( لا بد من التذكير بان اطار عمل كامب ديفيد يشير في عدة مناسبات الى « الممثلين المنتخبين لسكان الضفة الغربية وغزة » دون ان يحدد كلمة « السكان » بأي وصف للجنسية او المواطنية ) ٠

(٢) هل سيكون لسلطة « الحكم الذاتي » الصلاحية لان تعيد لاصحابها الشرعيين الاراضي التي صادرتها سلطات الاحتلال الاسرائيلية خلال الاحد عشر عاما الماضية وحولتها الى مستوطنات اسرائيلية ؟

(٣) هل ستمارس سلطة « الحكم الذاتي » سلطاتها على المستوطنات والمستوطنين الاسرائيليين في المنطقة التي تحكمها ، كما ستمارسها على القرى والمدن في تلك المنطقة وعلى سكانها الفلسطينيين ؟ وهل ستمارس الشرطة المحلية والقضاء والوكالات الادارية التابعة لسلطة « الحكم الذاتي » صلاحياتها في المستوطنات الاسرائيلية وعليها ؟ ام هل ستصر اسرائيل ـ كما فعلت في البداية في ما يتعلق بمستوطناتها في سيناء ـ على وجوب ربط مستوطناتها في الضفة الغربية وغزة « بالادارة والقانون الاسرائيليين » وقيام « قوة اسرائيلية بالدفاع عنها » ؟

ولا حاجة هنا للتوسع في شرح الاهمية البعيدة المدى لهذه المسائل ، بالنسبة للفترة الانتقالية وما بعدها ٠ وان ما كتبته النيويورك تايمز في احدى افتتاحياتها حول الاهمية البعيدة المدى للمستوطنات الاسرائيلية ، قبل كامب ديفيد ، ينطبق بمزيد من الالحاح بعد كامب ديفيد :

« يسأل السيد بيغن عما اذا لم يكن سخيا كفاية في ارجاء المطالبة الاسرائيلية بالسيادة في الضفة الغربية وعرضه ( الحكم الذاتي ) للمليون فلسطيني هناك وفي غزة ٠ لماذا امتنع الاردن عن المفاوضة بدءا من تلك النقطة ؟ السبب على الارجح هو ان الاردن، مثله مثل عدد متزايد من الاسرائيليين البارزين ، تفهم المعاني الخفية في العرض ٠ **ففيما يحكم العرب مجتمعاتهم الخاصة ، سيستمر الاسرائيليون ، بتمويل من الحكومة وبحماية جيشهم ، في شراء واستيطان اراضي الضفة الغربية ، بحيث انهم يكونون قد غيروا وجه المنطقة كليا لدى درس مسألة السيادة في المرة التالية ٠** ووراء دروع امنية يطالبون بمزيد من الاراضي ٠ ولو لم يكن الامر كذلك ، فلماذا لم تكن هناك مقترحات امنية اسرائيلية ـ كما حصل بالنسبة لسيناء ـ تتخلى بوضوح عن الطمع بالاراضي ؟ » (٢٤) ٠

## ٤ ـ عودة النازحين

ومن الضروري الاشارة الى جانب اخر من جملة مسؤوليات سلطة الحكم الذاتي المقترحة في الاطار العام لاتفاقية كامب ديفيد · فهي تعطي هذه السلطة الحق في المشاركة في القرارات المتخذة بخصوص عودة سكان الضفة الغربية وغزة ·

كما انه من الواجب العودة في هذا الخصوص الى ان الجمعية العمومية للامم المتحدة قد اكدت في نحو ١٢ مناسبة حق هؤلاء بالعودة الى ديارهم ، في القرارات ٢٢٥٢ (ES-V) ، ٢٤٥٢ A (XXIII) ، ٢٥٣٥ B (XXIV) ، ٢٦٧٢ D (XXV) ، ٢٧٩٢ E (XXVI) ، ٢٩٦٣ C و د D (XXVII) ، ٣٠٨٩ C (XXVIII) ، ١٣٣١ D (XXIX) ، ٣٤١٩ C (XXX) ، ٣١/١٥ D و ٣٢/٩٠ E · كما ان احدث هذه القرارات اتخذ يوم ١٣ كانون الاول ( ديسمبر ) سنة ١٩٧٧ بأغلبية ١٢٥ صوتا مقابل صوت اسرائيل ومن غير ان يمتنع اي وفد · حتى ان الوفود الخمسة التي تغيبت عادت واشعرت سكرتارية الامم المتحدة تأييدها للقرار · وبذلك ارتفع مجموع المؤيدين الى ١٣٠ واعتراض دولة واحدة · ولقد اعاد هذا القرار « واكد حق السكان المبعدين في العودة الى منازلهم ومخيماتهم في الاراضي التي تحتلها اسرائيل منذ ١٩٦٧ » ، كما استنكر القرار اصرار اسرائيل على رفض اتخاذ اي اجراء لتسهيل عودتهم ·

ان ما اتفق عليه في كامب ديفيد لجهة « انسحاب الحكومة العسكرية الاسرائيلية والادارة المدنية في حال انتخاب سلطة للحكم الذاتي من قبل السكان في هذه المناطق » ( الضفة الغربية وغزة ) ستترتب عنه نتيجتان لا يمكن تجاهلهما : انتهاء قدرة اسرائيل على اعاقة حق السكان المهجرين من الضفة والقطاع ، في العودة والمعترف به دوليا · وممارسة سلطة الحكم الذاتي الحق في تحديد شكل وتنظيم عمليات العودة · غير ان نصوص كامب ديفيد تشير الى غير ذلك · لقد اعتمد الاطار العام لاتفاقية كامب ديفيد على الفقرة ٢١ من مشروع بيغن الصادر بتاريخ ٢٨ كانون الاول ( ديسمبر ) والمؤلف من ٢٦ نقطة · وهذه النقطة تنص على انه « خلال الفترة الانتقالية ، يؤلف ممثلون من مصر واسرائيل والاردن وسلطة الحكم الذاتي ، لجنة دائمة لتقرر بالتراضي شكل السماح لعودة النازحين من الضفة الغربية وغزة سنة ١٩٧٠ مع اتخاذ اجراءات تضمن منع الاضطرابات وتعكير الامن » · وبذلك تكون الولايات المتحدة ومصر ، قد قبلتا ، في هذا السياق ، بتصميم اسرائيل على ربط تنفيذ حق عودة النازحين من الضفة الغربية والقطاع فقط · وهو امر يترتب عليه :

١ ـ الغاء الحق المطلق في العودة وتحويله الى اذن يمنح بالاختيار ·

٢ ـ ان تطبيق هذا « الامتياز » محدد فقط بالسكان المبعدين سنة ١٩٦٧ وليس منذ تلك السنة ٠

٣ ـ كما يحق لاسرائيل استخدام حق « النقض » بحق عودة اي من المبعدين ٠

كما ان ربط السماح بعودة المبعدين باجراءات لمنع الاضطرابات وتعكير صفو الامن يمنح اسرائيل السلاح الشرعي بحيث تبرر رفضها السماح لاي فلسطيني ، تعتقد انه غير مرغوب فيه لاسباب سياسية ، على اساس امني ٠

اضافة الى ذلك فان اسرائيل وضعت بشكل غير مباشر مقياسا اخر تعمل على تطبيقه لتحدد مجال تطبيق عودة السكان الفلسطينيين ، فهي تسعى لاثارة الحياة الاقتصادية كعنصر اخر من بين ما تعتمده لتحديد الذين يسمح لهم بالعودة ٠ ولقد اشار دايان في مؤتمر صحفي عقده يوم ٢١ ايلول ( سبتمبر ) ١٩٧٨ عقب عودته من كامب ديفيد عندما ذكر انه يعتقد ان نحو ١٠٠ر٠٠٠ من الذين غادروا الضفة والقطاع سيعودون ٠ غير ان موقف اسرائيل سيكون لاحظا ما اذا كان يمكن لهؤلاء ان يعيشوا اقتصاديا « نحن لا نريد مزيدا من المخيمات الفلسطينية » حسب قوله (٢٥)٠

ان الطلاب الذين يدرسون تاريخ فلسطين يلاحظون السخرية في ان اسرائيل تثير مبادىء القدرة على الاستيعاب من ضمن العمل على تحديد عودة السكان الى ارضهم ٠ ذلكان الصهيونيين رفضوا في عهد الانتداب اي ربط بين عدد المهاجرين اليهود والحياة الاقتصادية في فلسطين ٠ والان عندما اصبح الامر هو البحث في عودة السكان المبعدين الى ديارهم تثير اسرائيل المبدأ ذاته الذي رفض الصهيونيون تطبيقه على المهاجرين الجدد ٠

### ما بعد الفترة الانتقالية

١ ـ **اتفاق مؤجل حول كل المسائل :** ماذا عن الضفة والقطاع ما بعد الفترة الانتقالية ؟ ٠ ان اتفاقية كامب ديفيد لا تحل اي امر من الامور المطروحة ٠ انها ببساطة تؤجل كل القرارات الاساسية ٠ ولان المجتمعين فشلوا في الاتفاق حول المبادىء التي تحكم القرارات ، فلم يتوصلوا الى اكثر من نهج للبحث في هذه الامور ٠ اذ اتفقوا على تسمية اطراف هذه المباحثات ( مصر ، اسرائيل ، الاردن والممثلون المنتخبون من سكان الضفة والقطاع ) ، وعلى توقيت المباحثات بحيث تكون « في اسرع وقت ممكن شرط ان لا يتعدى السنة الثالثة منذ بدء الفترة الانتقالية » وتنتهي عند انتهاء هذه الفترة ٠ كما اتفق على التفاوض على بعض المسائل ( تحديدا ١ ـ « الوضع النهائي للضفة والقطاع »

٢ ـ « علاقات الضفة والقطاع مع الدول المجاورة » ٣ ـ « وضع الحدود » ٤ ـ « طبيعة الاجراءات الامنية » ) ٠ ومن الجدير بالملاحظة ان المؤتمرين لم يلحظوا الاسئلة التالية من بين الامور التي سيعملون على حلها في المباحثات الرباعية :

١ ـ الوضع النهائي لمدينة القدس المحتلة ٠ ٢ ـ مستقبل المستعمرات الاسرائيلية ٠ ٣ ـ انسحاب القوات الاسرائيلية ، وقبل ذلك ٤ ـ السيادة على الضفة الغربية وقطاع غزة ٠

٢ ـ **موقف اسرائيل من القضايا المهمة :** عمل القادة الاسرائيليون على تأكيد الموقف الذي سيتخذونه في المباحثات المقترحة وذلك منذ انتهاء مؤتمر كامب ديفيد ٠

**أ ـ القدس المحتلة :** قدمنا سالفا عدة استشهادات من رئيس الوزراء الاسرائيلي بيغن اطلقها منذ انتهاء مؤتمر كامب ديفيد تتعلق بالفترة الانتقالية ٠ اما دايان فلقد اكد في خطابه امام الجمعية العمومية للامم المتحدة يوم ٩ تشرين اول ( اكتوبر ) ١٩٧٨ على انه :

« من بين المواضيع التي سيبحثها الاطراف سيكون مسألة القدس ٠ بالنسبة لنا ان القدس هي العاصمة الابدية والوحيدة لاسرائيل ٠ فليس لدينا ولن يكون لدينا عاصمة أخرى بصرف النظر عما اذا كان الآخرون قد اعترفوا بها ام لا ٠ لقد صممنا على ان لا نساوم على وحدة القدس ٠ واملنا أن يشاركنا الآخرون هذا الموقف » (٢٦) ٠

وفي برنامج « وجه الامة » على شبكة سي بي أس وضع دايان حدا للاشاعات التي نقلت عنه القول انه من الممكن النظر الى شكل من اشكال السيادة العربية على مدينة القدس بقوله « ان ذلك غير ممكن وبأنه لم يسمع بذلك » (٢٧) ٠

**ب ـ المستعمرات الاسرائيلية :** بعد القرار الذي اتخذه الكنيست بالموافقة على الغاء المستعمرات الاسرائيلية في سيناء بموجب اطار الاتفاقية بين مصر واسرائيل ، نشرت الصحف الاسرائيلية تأكيدات من بيغن بأن ذلك لن يكون سابقة تمس المستعمرات الاسرائيلية في المناطق المحتلة الاخرى ٠ ولقد اوردت وكالة الانباء اليهودية المعروفة باسم ديلي نيوز بولتن في مقابلة نهاية الاسبوع ان بيغن « اصر على ان اسرائيل لن تنسحب من الضفة الغربية او الجولان » (٢٨) ٠ وفي ملاحظات ابداها لرجال الصحافة في القدس يوم ٢١ ايلول ( سبتمبر ) سنة ١٩٧٨ اكد دايان : « لاسرائيل حق دائم » حتى بعد توقيع معاهدة سلام « للاقامة في الضفة الغربية » (٢٩) ، وهذا ما عاد واكده في خطابه امام الجمعية العمومية للامم المتحدة يوم ٩ تشرين الاول ( اكتوبر ) ١٩٧٨ بقوله :

« نحن لا نعتبر انفسنا اجانب في هذه المناطق ٠ ان المستعمرات الاسرائيلية في يهودا

والسامرة وقطاع غزة هي حق لنا · انه من غير المتصور ان يمنع الاسرائيليون من الاقامة والعيش في يهودا والسامرة التي هي قلب بلدنا » (٣٠) ·

**ج ـ انسحاب القوات الاسرائيلية :** لقد اعترف بيغن بأن الترتيبات الامنية التي لحظتها اتفاقات كامب ديفيد للفترة الانتقالية وما بعدها توحي لاسرائيل « الحق الطبيعي للاحتفاظ بقوات ترابط في الضفة الغربية ما بعد فترة الخمس سنوات الانتقالية » (٣١) · واشارت ايضا ان القوات الاسرائيلية ستبقى على الضفة الغربية الى النهاية » (٣٢) · وخلال زيارة وزير الخارجية فانس للعربية السعودية ، التي تلت انتهاء مؤتمر كامب ديفيد ، صرح مسؤول كبير في الوفد الاميركي للاسوشيتدبرس ، من غير ان يكشف عن شخصيته ، بالقول :

« اذا كان من الضروري لاسرائيل وأمنها ، فان الولايات المتحدة ستدعم اسرائيل في نيتها الاحتفاظ بقوات على الضفة الغربية لما بعد فترة الخمس سنوات الانتقالية » (٣٣) ·

**د ـ الترتيبات الامنية :** توافق اسرائيل ، حسب ما جاء في الاطار العام من اجل التوصل الى معاهدة سلام بين مصر واسرائيل ، على جملة ترتيبات أمنية منبينها مرابطة « قوات للامم المتحدة » · وبينما استثنت المرابطة الدائمة للقوات الاسرائيلية في سيناء · فان الاجراءات الامنية المتعلقة بالضفة والقطاع ، تستثني مرابطة أي قوات غير اسرائيلية وتؤكد على التواجد الدائم للقوات الاسرائيلية ·

ولقد كشف ذلك السيد بيغن في مقابلة مع ممثلي الصحافة باللغة العبرية اجراها في واشنطن يوم ١٨ ايلول ( سبتمبر ) ١٩٧٨ عندما اكد « ان القوات الاسرائيلية وحدها يحق لها التواجد على الضفة الغربية وقطاع غزة » · وانه « لن يسمح لقوات اجنبية بالتواجد هناك » (٣٤) ·

**هـ ـ رسم الحدود :** ان حقيقة ان المؤتمرين في كامب ديفيد قد وافقوا على ان المحادثات الرباعية المقترحة ستعالج ، من بين مواضيع اخرى ، اعادة رسم الحدود ، يشير بوضوح الى ان كلا الرئيسين كارتر والسادات وافقا سلفا وقبل بدء المباحثات ، على الموقف الاسرائيلي من أنه وبخصوص الضفة الغربية والقطاع على الاقل لن يكون هناك عودة الى حدود الهدنة التي كانت تفصل اسرائيل عن هذه المناطق بين سنة ١٩٤٩ وسنة ١٩٦٧ · وحسب التفسير الاسرائيلي ، ان مسألة رسم حدود جديدة يرتبط ارتباطا عضويا بمسائل بقاء القوات الاسرائيلية والاحتفاظ بالمستعمرات · ولقد ظهر هذا الربط بوضوح في مقالة « نحو معاهدة السلام » التي نشرتها صحيفة جيروزالم بوست » الصادرة يوم ١٢ تشرين اول ( اكتوبر ) واعادت نشرها يوم ١٧ من الشهر نفسه في طبعتها الدولية ( صفحة ٢٤ ) والتي جاء فيها ما يلي :

« في كلمته امام الجمعية العمومية ، حدد السيد دايان شرطين متلازمين لحل المسألة الفلسطينية : تطوير الوجود الاسرائيلي العسكري في الضفة الغربية واقرار بحق اليهود للاقامة والاستيطان في يهودا والسامرة وغزة · وبقوله هذا يكون وزير الخارجية اقترب مما يمكن تسميته بالاتفاق الوطني · غير ان التعريف تعوزه الدقة مما يسبب اساسا غير ثابت · لقد وضع السيد دايان الحق في الاستيطان كحق له الافضلية على الاعتبارات الامنية · وهو أمر لم يكن عفويا · لكن يبقى السؤال : لاي غرض يكون الاستيطان ؟ ان المسألة البارزة في هذا الصدد ، هي ليست في كل الاحوال ما اذا كان لليهود الحق في العيش والاستيطان في يهودا والسامرة ، رغم ان هاتين تشكلان قلب بلدنا ، بل هي ما اذا كانت هذه المناطق او اجزاء منها ستكون تحت السيطرة الاسرائيلية · كما انه لا ضرورة لتكرار القول ان نسبة قليلة جدا من اليهود يمكن ان تقبل بحق الاقامة او الامكانية العملية لهذا الحق ان لم يكن قلب الوطن مرتبط ارتباطا عضويا بكامل السياسة الاسرائيلية · ان طريق الحل قد حدده السيد دايان بنفسه في نهاية كلمته امام الجمعية العمومية · لقد اكد انه بموجب قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ « يجب التفاوض ثنائيا بشأن الحدود النهائية بين الاطراف المعنية » وهذا الامر بعينه ما سيحصل في الشرق مع الاردن تماما كما حصل في الجنوب مع مصر · وحال اكمال ذلك يصبح من الممكن ، كما جاء على لسان السيد دايان ، لليهود والعرب العيش معا على اساس من المساواة والثقة والاحترام المتبادل » ·

**و ـ السيادة على الضفة الغربية :** بعد فترة قصيرة من انتهاء اعمال مؤتمر كامب ديفيد اكد بيغن لاعضاء لجنة الشؤون الخارجية في البرلمان الاميركي ان « اسرائيل لن تتخلى عن حقها في السيادة على الضفة الغربية · وهي ستمارس هذا في حال وضع المسألة للتفاوض في المستقبل » (٣٥) ، كما اكد امام حشد متحمس من نحو ٢٠٠٠ من القادة اليهود قدموا من مختلف انحاء الولايات المتحدة :

« ان يهودا والسامرة وقطاع غزة جزء لا يتجزأ من ارض ـ اسرائيل · انها ارض الميعاد » (٣٦ ) ، ومع ان اسرائيل تركت مسألة السيادة قابلة للمناقشات ، في الوقت الحاضر ، لكنها كانت على استعداد دائما للاصرار على ادعائها بالسيادة عليها في كل المباحثات المتعلقة بمستقبل هذه المناطق » (٣٧) · ولقد اعاد بيغن القول في مقابلة خاصة مع مجلة « تايم » « بأن لاسرائيل الحق والسيادة على الضفة الغربية وقطاع غزة · وانها وافقت على ترك الامر مطروحا في مؤتمر كامب ديفيد وانها ستعيد الاصرار على هذا الحق في نهاية فترة الخمس سنوات الانتقالية وهي تتوقع ان « الآخرين » سيأتون ايضا وهم يحملون ادعاء مشابها » (٣٨) ·

ومن جهته حث هاري هوروتز ، وهو صحفي من جنوب افريقيه يعمل مستشارا لبيغن لشؤون الدعاية والمعلومات ، الاعلام اليهودي « ان يبدأ حملة

لتوعية القراء حول حق الشعب اليهودي في ارض ـ اسرائيل » (٣٩) ، وبعد ان يؤكد ان ذلك من اولويات الاعلام اليهودي يضيف قائلا :

« علينا ان نتأكد انه خلال الخمس سنوات المقبلة على اسرائيل والشعب اليهودي والحركة الصهيونية ان يؤكدوا الدليل على ان حقنا في يهودا والسامرة كجزء لا يتجزأ من ارض ـ اسرائيل هو اولى مطالبنا واعظمها » (٤٠) · وبعد ان يتساءل عن معنى ارض ـ اسرائيل وما اذا كانت اراضي تل أبيب ونتانيا فقط ، يقول « انني اؤمن انه عندما يحين الوقت في نهاية القرن العشرين سنتمكن من اقناع العالم بارتباطنا السياسي في هذه الارض » (٤١) ·

كما ان مندوب اسرائيل الدائم في الامم المتحدة والمعين جديدا ، يهودا بلوم ، صرح امام اعضاء الصحافة الانكليزية اليهودية ان :

« تنازلات اسرائيل في يهودا والسامرة » ، في حال بقاء المسألة معلقة ، « هي من ذات الحجم لتلك التنازلات في سيناء » (٤٢) ·

**ز ـ الوضع النهائي للضفة الغربية وقطاع غزة :** في مناسبات كثيرة ، وخصوصا في الكلمة التي القاها امام الكنيست ابان الجدل الذي دار حول اتفاقات كامب ديفيد ، كرر بيغن لاءاته الثلاث الشهيرة : لا دولة فلسطينية ، لا استفتاء في أمر الضفة والقطاع ولا حوار مع منظمة التحرير الفلسطينية» (٤٣)، واكثر من ذلك ، فلقد اخبر الكنيست بالاشارة الى محادثاته مع السادات وكارتر في مؤتمر كامب ديفيد :

« لقد حصلت على وعد بأنه لن تكون هناك دولة فلسطينية تحت اي حجة مهما كانت » (٤٤) ·

ومن الجدير بالذكر ان احدا لم يعترض على هذا التأكيد العلني ، لا الرئيس الاميركي ولا الرئيس السادات · وفي هذا السياق من الجدير بالملاحظة ان الاطار العام لكامب ديفيد يلغي ضمنيا خيار احتمال الاستقلال السياسي واقامة دولة مع انه لا ينفي ذلك علنا · اذ ان الامر يتطلب الوصول ، في المحادثات المنوي عقدها ، الى معاهدة سلام بين الاردن واسرائيل آخذة بالاعتبار الوضع النهائي للضفة الغربية وقطاع غزة » وانه يمكن لممثلين « منتخبين من الضفة والقطاع الالتحاق بالوفد الاردني » ·

**٣ ـ الفشل يعني استمرار الوضع الراهن :** لا داعي للتأكيد انه على اساس الاسئلة السابقة وبموجب الفشل في التوصل الى حلول للقضايا الاساسية وبموجب تأجيل كل القرارات الى المحادثات المقبلة ، يكون المؤتمرون قد وافقوا عمليا ، على انه بالاضافة الى حق كل فريق في طرح كل الاراء التي يرى ضرورة لعرضها ، على حق كل فريق ايضا في رفض اي اقتراحات يتقدم بها فريق آخر ·

وبواسطة قوة النقض هذه يكون بمقدور الفريق الذي يمارس السيادة ان يبقي على الوضع الراهن عن طريق منع التوصل الى اتفاق · وهذا هو الشيء عينه الذي كان في ذهن بيغن عندما اخبر مجلة « تايم » :

« في حال التوصل الى اتفاق بين الاطراف المتحاورة سيفرح لذلك كل شخص · وفي حال عدم التوصل الى اتفاق فسيستمر الوضع الحالي · وهكذا لن يحدث أي خلل في كلا الحالين · وبناء على ذلك فأنا متفائل للمستقبل » (٤٥) ·

**٤ ـ تجريد قرار ٢٤٢ من كل صلة بالامر :** على عكس تأكيدات كارتر من ان الاطار العام لكامب ديفيد « يولي اهتماما بالمبادىء والقضايا المحددة بطريقة اساسية مما يوصل الى حل شامل » (٤٦ ) ، فان جوهر الامر هو ان المؤتمرين في كامب ديفيد توصلوا الى اسلوب يمكن عبره التوصل الى تسوية لكن من غير ان تكون هناك مبادىء تحكم هذه التسوية ·

صحيح ان اطار كامب ديفيد ، في تأجيله اتخاذ اي قرار حول مستقبل الضفة الغربية وقطاع غزة وتوصيته بأن هذه القرارات سيتم الاتفاق حولها في المحادثات الرباعية خلال فترة لا تزيد على ثلاث سنوات بعد بدء الفترة الانتقالية قد اشترط ان هذه « المحادثات ستعتمد اساسا لها كل مبادىء وفقرات القرار الصادر عن مجلس الامن رقم ٢٤٢ » ، كما ان الدبلوماسيين الاميركيين كانوا يؤكدون على ذلك في مجالسهم الخاصة مع الزعماء العرب · غير ان ما لم يلحظه الدبلوماسيون الاميركيون هو ان اي قيمة فعلية قد تترتب عن هذا القول المتعلق بقرار ٢٤٢ قد سبق الغاؤها من قبل اسرائيل ·

وفي كلمته يوم ٢٠ ايلول ( سبتمبر ) ١٩٧٨ امام زعماء اليهود الاميركيين ، كشف بيغن عن تفاصيل مهمة تتعلق بتاريخ محادثات كامب ديفيد مما يسلط ضوءا مختلفا على الاثر السياسي والقانوني للاشارة الى القرار ٢٤٢ في اتفاقيات كامب ديفيد · وروايته عن محادثات كامب ديفيد ، في هذا الخصوص، لم تلق النفي من أي من المشاركين الاميركيين او المصريين · وحسب بيغن ، فان المفاوضين امضوا الايام الثمانية الاولى في خلاف حاد حول مقطع ورد في مسودة مشروع اميركي وينص على ان المحادثات المقبلة ستقوم على مبدأ « عدم جواز ضم اراضي الغير بالحرب » ـ وهو اكثر المبادىء صلة في قرار رقم ٢٤٢· كما افصح بيغن انه رفض بقوة توقيع اي مسودة تشمل هذا المقطع وانه بعد ثمانية ايام من الحوار تم استبعاد المقطع · وعند ذلك امكن الاستمرار بالمحادثات » (٤٧) ، وبقدر ما كان مهما وحاسما اصرار بيغن على رفض تضمين الوثيقة المقطع المتعلق « بعدم جواز » وازعان الرئيسين كارتر والسادات لهذا الموقف ، كان كذلك مهما المنطق الذي اعتمده بيغن لموقفه وشرحه بنفسه (٤٨) ، واستنادا الى روايته التي لم ينفها أحد ذكر بيغن :

١ ـ ليس في مقطع « عدم جواز » قوة القانون ، لانها أتت في مقدمة القرار ٠

٢ ـ وحتى في حال قوتها القانونية ، فان المقطع يشير فقط الى « الحـــروب العدوانية » ٠

٣ ـ ان اسرائيل استولت على الاراضي الفلسطينية واراضي عربية اخـرى في حرب دفاعيـة ٠

٤ ـ وفي مطلق الاحوال ان هذا المقطع لا صلة له بأي وجه من الوجوه بالضفة الغربية وقطاع غزة التي هي « جزء لا يتجزأ من ارض اسرائيل » ( ومن الجدير بالذكر ان بيغن يؤكد دائما ان هذه الاراضي قد تم تحريرها ولم يتم الاستيلاء عليها بالحرب ) وبقدر ما يكون تاريخ المباحثات ملائما لتفسير وتطبيق معاهدة مـا ، خصوصا في حال بروز خلاف حول تطبيق بنودها ، فان موقف بيغن فـي مؤتمر كامب ديفيد والذي اذعن له كارتر والسادات ، يلغي مبدأ « عدم جواز ضم اراضي الغير عن طريق الحرب » من بين بنود ومبادىء قرار مجلس الامـن رقم ٢٤٢ » ٠ والذي « بموجبه » ستعقد المباحثات الرباعية بخصوص مستقبـل الضفة الغربية وقطاع غزة ٠

وبكلام آخر تكون اسرائيل قد رفضت ان تتم هذه المحادثات على اساس مبدأ « عدم جواز ضم اراضي الغير عن طريق الحرب » ٠ ولقد تجاهل الدبلوماسيون الاميركيون هذه الحقيقة البسيطة في محاولاتهم التوكيد على مستقبل الضفـــة الغربية وقطاع غزة في المحادثات التي ستجري في المستقبل ٠

٥ ـ **اعتراف اجوف « بالحقوق المشروعـــة للشعب الفلسطيني »** : بالمعنـى العملي للتعبير ، ان القول « بأن الحل الناتج عن المحادثات يجب ان يقر بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني ومطالبه المشروعة » حسب ما ورد في الاطار العام لاتفاقية كامب ديفيد ، لا قيمة له ٠ كما ان اللغة ذاتها لهذا التعبير توضح كـــم هو أجوف ٠ أي ان على « الحل » ان « يعترف » « بالحقوق المشروعة » للشعب الفلسطيني ؟ وبكلام عادي ، ان البشر والمؤسسات الانسانية هي التي تعترف : ولا نعتقد ان احدا يعلم بحلول تعترف او تحقـــق الاعتراف ؟ ان الكلام غير الطبيعي المستخدم في اطار كامب ديفيد يمكن ان يؤكد ان المؤتمريـــن في كامب ديفيد لم يتوصلوا الى اتفاق ينص بموجبه على ان اسرائيـل ، او الاطـــراف مجتمعه ، تعترف بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني ٠ ولذلك تم اللجوء الى كلام قد يريح الفلسطيني ويرضي مؤيديهم من غير ان يلزم ، عمليا ، اسرائيـــل بشيء ٠ كما ان استخدام تعبير « الحقوق المشروعة » من غير شرح لمضمـــون هذا التعبير فيه كثير من الخداع ـ خصوصا عندما نعلم ان لكل من الفرقاء في كامب ديفيد فهمه المختلف لمحتوى هذا التعبير ٠ والاكثر اهميـــة : ان البنود الصريحة والضمنية في الاطار العام لاتفاقية كامب ديفيد تستثني ، عمليا ، اهم

العناصر في تعبير « الحقوق المشروعة » بما فيها السيادة ، الدولة ، حق تقرير المصير والعودة · وفي تحليل مستقبلي حول اطار اتفاقات كامب ديفيد ، كتب دافيد لاندو ، المراسل الدبلوماسي لصحيفة « جيروزاليم بوست » يقول :

« رغم ان بعض الكلمات ـ الدستورية قد حذفت ، فان بعضها الآخر قد ورد وبذلك يتضح ان بيغن قدم تنازلات مهمة · فهناك كلمات « الحقوق المشروعة » ··· و « كل جوانبها » ·· وهي تعابير لها دلالاتها الدستورية لم يسبق لبيغن ان قبل بها · كما انه من الممكن الاقتناع ان التنازلات الاسرائيلية حقيقية وواضحة · على اساس ان هذه التعابير وردت في الاتفاقية · غير ان هذه التعابير سقطت · وبذلك لم تعد كلمات « الحقوق المشروعة » · و « كل جوانبها » تعني ما كانت عليه سابقا · اي أن تعبير « الحقوق المشروعة » لم يعد عمليا يفترض اقامة دولة فلسطينية سلفا · بل على العكس « ان اطار السلام » يلغي هذا الافتراض ويعيد ، بالنتيجة ، تحديد « الحقوق المشروعة » كما يلي : « ان الحل يجب ان يعترف بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني ، ( اي ان هذه الحقوق تكون بالحدود التي تعترف بها الاطراف الاربعة المتفاوضة » (٤٩) ·

## قرار حول المسألة الفلسطينية « من كل جوانبها »

١ ـ **نهج من أجل ارساء نهج** : ان الجزء أ من اطار السلام لاتفاقيات كامب ديفيد والموضوع تحت عنوان « الضفة الغربية وغزة » يبدأ باعلان له وقع كبير : « على مصر واسرائيل والاردن وممثلي الشعب الفلسطيني ان يشاركوا بمحادثات من اجل التوصل الى قرار حول المسألة الفلسطينية **من كل جوانبها** ( التأكيد من عندنا ) · غير ان الامال التي تتركها هذه الكلمات عاجلا ما تفسد· لان الوثيقة تختصر بعد ذلك مجال هذه الافتتاحية بأن تعلن « **وفي سبيل هذا الهدف** ، يجب أن تمر المحادثات المتعلقة بالضفة الغربية بثلاث مراحل» (التشديد من عندنا ) ·

باستثناء البنود الاجرائية المتعلقة بالضفة الغربية وقطاع غزة والتي ستكون اجراءات تالية ، والتي علقنا عليها في الصفحات السابقة ، فان الجانب **الوحيد** الآخر للمسألة الفلسطينية والتي تتضمنها اتفاقية كامب ديفيد هو المتعلق باللاجئين · تنص الاتفاقية على ما يلي :

« تعمل مصر واسرائيل واطراف معينة اخرى لاقامة اجراءات متفق عليها من اجل تطبيق عادل ودائم لقرار مشكلة اللاجئين » ·

ان الفقرة المستهجنة هذه تنص فقط على نهج لارساء نهج · هناك اتفاق على طبيعة حل يعمل الفرقاء على تطبيقه ·

وحتى على اساس انها نهج ، فان المعادلة ناقصة · فليس هناك اتفاق حول

هوية « الاطراف الاخرى المعنية » او من له حق تحديد هويتهـــم ، أو على اي اساس يمكن اختيار المثلين الفلسطينيين كما ليس هناك تحديد لموعد البدء من اجل الوصول الى حل او متى ينتهي ذلك · وفي هذا المنظـــور فان المعادلـة الاجرائية الخاصة باللاجئين تعاني ثغرات خطيرة تزيد على تلك التي تعانيهـــا المعادلة الخاصة بالضفة وغزة · ربما تكون الاشارة الى مسألة اللاجئين خاطرة لاحقة للاطار العام لاتفاقات كامب ديفيد ·

٢ ـ **اهتمام لفظي لقرارات الامم المتحدة :** بخصوص الولايات المتحدة ، لقد ادخلت عنصرا اساسيا في الصورة · يقول الرئيس كارتر في خطاب له امـام الكونغرس يوم ١٨ أيلول ( سبتمبر ) ما يلي :

« نحن نؤمن بدورنا انه يجب ان يكون هناك تسوية عادلة للافراد المهجرين واللاجئيـن والتي تعتمد اساسا لها قرارات الامم المتحدة » (٥٠) ·

كما ان وزير الخارجية فانس خاطب الجمعية العمومية يـــوم ٢٩ ايلـول ( سبتمبر ) قائلا :

« ان الولايات المتحدة ملتزمة بشكل لا عودة عنه في سبيل العمل لايجاد حل مـــرض لمشكلة اللاجئين الفلسطينيين · وسنقوم بدور فعال في اقرار هذه المسألة · وهو حل يجـب ان يعكس قرارات الامم المتحدة بخصوص اللاجئين » (٥١) ·

ان هذه الاشارات الكريمة الى قرارات الامم المتحـدة بخصوص اللاجئيـــن الفلسطينيين كان من الممكن ان تكون اكثر دلالة ومرضاة لو أنها وردت فـــي « اطار للسلام » كما جاء في اتفاقات كامب ديفيد بدل ان تكون تأكيدات فرديـة صادرة عن الولايات المتحدة وحدها · والتأكيدات الاميركية لا تعترض ، على اي حال ، على حقيقة ان اسرائيل غير ملتزمة باقتراح ان يكون حل مسألة اللاجئين الفلسطينيين « آخذا بالحسبان » او « عاكسا » القرارات الصادرة عن الامـم المتحدة بهذا الخصوص ·

والاهم من ذلك هو ، كيف تفسر الولايات المتحدة هذه القرارات ؟ من المعروف ان قرار الامم المتحدة رقم ١٩٤ ( III ) الصـادر بتاريخ ١١ كانـــون اول ( ديسمبر ) ١٩٤٨ والذي يعكس اساس كل القرارات الاخرى الصادرة بخصوص اللاجئين الفلسطينيين ، يؤكد قبل كل شيء آخر مبدأ حرية الاختيار للفلسطينيين اللاجئين بين العودة او التعويض · كما انه معروف انه في السنوات الاخيـرة كان التفسير الاميركي لهذا القرار الاساسي يتجاهل مضمون جوهره ـ عـــن طريق تجاهل الحق الطبيعي بالعودة ومبدأ حرية الاختيار ويؤكد بدل ذلك على اعادة توطين اللاجئين بدل عودتهم الى ديارهم ·

وتتزايد الشكوك ، في ان الاشارات التي اوردها الزعماء الاميركيون خـلال

فترة ما بعد كامب ديفيد بخصوص قرارات الامم المتحدة المتعلقة باللاجئيـــن الفلسطينيين تقوم على تفسير هذه القرارات بما يعكس توطينا قسريا كحل يكون بديلا لاعادة اللاجئين الى ديارهـم ، تتزايـــد الشكوك على اساس حقيقتيـن اضافيتين :

اولا : ان وزير الخارجية السيد فانس ارفق اشارته بخصوص قرار الامـــم المتحدة بدعوة من اجل تطوير اقتصاد الضفة الغربية وغزة« **وكذلك لمساعدة هؤلاء اللاجئين للاقامة الدائمة في اي مكان آخر** » ٠

ثانيا : ان السيد فانس اشار في هذا النص « الى مسألة السماح بعـــودة اللاجئين الفلسطينيين **الى قطاع غزة والضفة الغربية** » من غير ان يشير الـــى مسألة « عودتهم الى وطنهم » كما توصي قرارات الامم المتحدة ٠

## الخاتمـة

تساءلنا في مقدمة هذه الدراسة عما يقدمه الاطار العام لاتفاقية كامب ديفيـد للفلسطينيين ٠ وفي ضوء التحليل السابق يمكننا صياغة الجواب على الشكـــل التالي : ان جزءا من الشعب الفلسطيني ( اقل من ثلث المجموع العام ) اعطي وعدا بجزء من حقوقه ( من غير ان يكون من ضمنه حق تقرير المصير واقامـة دولة ) في جزء من وطنه ( أقل من خمس المساحة العامة ) ، وان هذا الوعد قد يتحقق بعد بضع سنوات من الآن عن طريق الخطوة خطوة في عمليـة يمكـــن لاسرائيل خلالها ان تمارس حق النقض ضد اي اتفاق ٠ وفوق ذلك فلقد كتب على غالبية الشعب الفلسطيني الحرمان الدائم لشخصيته الوطنية والنفي الدائـــم وكذلك الحرمان الدائم من دولة له وكذلك الفرقة الدائمة عن بعضه البعض وعن فلسطين ، حكم عليه الحياة بلا امل او معنى ٠

ولقد اقر السيد فانس من أنه لن « تكون هناك اتفاقية عادلة او آمنة ما لـــم تشمل مشكلة الفلسطينيين بالمعنى الواسع » ٠ ونحن بدورنا نوافقه من كل قلبنا ٠ وفي ضوء هذه الحقيقة الاساسية نعلن ان « السلام » الذي يعرضه « اطـــار للسلام في الشرق الاوسط » كما تم التوصل اليه في كامب ديفيد هو **غير عـادل وغيـر آمـن** ٠

**الحواشي**

( ١ ) الصحافة الاسرائيلية تدعو الى تجنب « سلام منفرد » ، **جويش ويك** ، ٢٤ ايلول ( سبتمبر ) ١٩٧٨ ، ص ٣ ٠

( ٢ ) **وثيقة الامم المتحدة** رقم 19/33/pv. 14.

( ٣ ) **الاهرام** ، ١٣ اذار ( مـــارس ) ١٩٧٧ ، ص ٣ ، ( نقلها الكـــاتب مـن العربية) ٠

( ٤ ) نص كلمة الرئيس كارتر يـــوم ١٧ ايلول ( سبتمبر ) ١٩٧٨ ، كما وزعتها الاسوشيتدبرس ، ونشرتها **ذي هيرالـــد**

**ستيشن** ، يوم ١٨ ايلول ( سبتمبر) ١٩٧٨، ص أ ٣ ٠

( ٥ ) نص كلمة الرئيس كارتر امام الجلسة المشتركة للكونغرس ومكتب الصحافة في البيت الابيض ، ١٨ ايلول ( سبتمبر ) ١٩٧٨٠

( ٦ ) راجع مصدر الحاشية رقم ٢ ٠

( ٧ ) « رسائل كامب ديفيد » ، **جويش كرونيكل** ، ٢٩ ايلول ( سبتمبر ) ١٩٧٨ ، ص ٣ ٠

( ٨ ) وكالة الانباء اليهودية ، **نشرة الاخبار اليومية** ، ٢٦ ايلول ( سبتمبر ) ، ١٩٧٨ ، ص ١ ٠

( ٩ ) **جويش كرونيكل** ، ٢٩ ايلول ( سبتمبر )١٩٧٨ ، ص ٢ ٠

( ١٠ ) **جويش ويك** ، ٢٤ ايلول (سبتمبر ) ١٩٧٨ ، ص ٤٣ ، وايضا ، وكالة الانباء اليهودية ، **نشرة الاخبار اليومية** ، ٢١ ايلول ( سبتمبر ) ١٩٧٨ ، ص ١ ـ ٢ ٠

( ١١ ) **المصدر نفسه** ، ٢٩ ايلول ( سبتمبر ) ١٩٧٨ ، ص ٣ ٠

( ١٢ ) مقالة دافيد لانداو « كل الحقائق حول الاستيطان في الضفة الغربية ، التي نشرتها **الطبعة الدولية للجيروزاليم‌بوست**، ١٠ تشرين اول ( اكتوبر ) ١٩٧٨، ص٠١٠

( ١٣ ) « مقاطع من تعليقات الرئيس في مؤتمر صحفي » ، **واشنطن بوست** ، ٢٩ ايلول ( سبتمبر ) ١٩٧٨ ، ص أ ٠١١

( ١٤ ) « الارتباط في الشرق الاوسط »، مقالة في **كريستشن ساينس مونيتور** ، ١٢ تشرين الاول ( اكتوبر ) ١٩٧٨ ، ص٠٢٤

( ١٥ ) « سلام ام تسوية » ، نشرت في **مانشستر غارديان ويكلي** ، ١٢ شباط ( فبراير ) ١٩٧٨ ، ص ١٦ ٠

( ١٦ ) «هجمة المستعمرات الاسرائيلية»، **نيويورك تايمز** ٢ شباط ( فبراير ) ١٩٧٨ ، ص أ ١٨ ٠

( ١٧ ) « مؤتمر الرئيس كارتر الصحفي يوم ٢٨ تموز ( يوليو ) » ، **دائرة الاخبار الرسمية** ، مجلد ٧٧ ، رقم ١٩٩١، ٢٢ اب ( اوغسطس ) ١٩٧٧ ، ص ٢٢١ ٠

( ١٨ ) **المصدر نفسه** ، ص ٢٢٤ ٠

( ١٩ ) **نيويورك تايمز** ، ٩ كانون ثاني ( يناير ) ١٩٧٨ ، ص أ ١ ٠

( ٢٠ ) **نيويورك تايمز** ، ١١ كانون ثاني ( يناير ) ١٩٧٨ ، ص أ ٣ ٠

( ٢١ ) نشرتها **مانشستر غارديان‌ويكلي**، ١٢ كانون ثاني ( يناير ) ١٩٧٨ ، ص٠١٥

( ٢٢ ) **جيروزاليم بوست** ، الطبعة الدولية ، ٢٤ كانون ثاني ( يناير ) ١٩٧٨، ص ٧ ٠

( ٢٣ ) **جويش كرونيكل** ، ٢٩ ايلول ( سبتمبر ) ١٩٧٨ ، ص ٢ ٠

( ٢٤ ) « اي ثمن للضفة الغربية ؟ »، نشرتها **نيويورك تايمز** ، ٢٣ تموز (يوليو) ١٩٧٨ ، ص ١٨ ٠

( ٢٥ ) **كريستشن ساينس مونيتور** ، ٢٢ ايلول ( سبتمبر ) ١٩٧٨ ، ص ١ ٠

( ٢٦ ) **وثيقة للامم المتحدة** A/33/pv. 26.

( ٢٧ ) **جويش ويك** ، ١٥ تشرين اول ( اوكتوبر ) ، ص ٣٧ ٠

( ٢٨ ) « وكالة الانباء اليهودية » ، **نشرة الاخبار اليومية** ، ٤ تشرين اول ( اوكتوبر ) ١٩٧٨ ، ص ٢ ٠

( ٢٩ ) **المصدر نفسه** ، ٢٢ ايلول (سبتمبر) ١٩٧٨ ص ٠١

( ٣٠ ) راجع مصدر الحاشية رقم ٠٢٦

( ٣١ ) **جويش ويك** ، ٢٤ ايلول(سبتمبر) ١٩٧٨ ، ص ٤ ٠

( ٣٢ ) وكالة الانباء اليهودية ، **نشرة الاخبار اليومية** ، ٢٠ ايلول ١٩٧٨ ص٠٣ والطبعة الدولية من **الجيروزاليم بوست**، ٢٦ ايلول ( سبتمبر ١٩٧٨ ، ص ١٠ ٠

( ٣٣ ) رسالة من الاسوشيتدبرس ، في **رسالة من مراسل** ، ٢٣ ايلول ( سبتمبر)، ١٩٧٨ صفحة أ ـ ١ و أ ـ ١٤ ٠

( ٣٤ ) وكالة الانباء اليهودية **نشرة الاخبار اليومية** ١٩ ايلول ( سبتمبر ) ١٩٧٨ صفحة ٢ ٠

( ٣٥ ) **الطبعة الدولية من الجيروزاليم بوست** ٢٦ ايلول ( سبتمبر ) ١٩٧٨ صفحة ١٠ ٠

( ٣٦ ) وكالة الانباء اليهودية ، **نشرة الاخبار اليومية** ، ٢١ ايلول ( سبتمبر) ١٩٧٨ ، ص ١ ـ ٢ ٠

( ٣٧ ) **المصدر نفسه** ٠

( ٣٨ ) **تايم** ، ٢ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٨ ، ص ٤٩ ٠

( ٣٩ ) **جويش ويك** ، ١ تشرين الاول ( اكتوبر ) ١٩٧٨ ، ص ٢١ ٠

( ٤٠ ) **المصدر نفسه** ٠

( ٤١ ) **المصدر نفسه** ٠

( ٤٢ ) **جويش ويك** ، ١٥ تشرين اول ( اكتوبر ) ١٩٧٨ ، ص ٤ ٠

( ٤٣ ) وكالة الانباء اليهودية ، **نشرة الاخبار اليومية** ، ٢٦ ايلول ( سبتمبر ) ١٩٧٨ ، صفحة ١ ، و **جويش كرونيكل** ، ٢٩ ايلول ( سبتمبر ) ١٩٧٨ ، ص ٢ ٠

( ٤٤ ) **كريستشن ساينس مونيتور** ، ٢٦ ايلول ( سبتمبر ) ١٩٧٨ ، ص ٤ ٠

( ٤٥ ) راجع مصدر الحاشية رقم ٣٨ ٠

( ٤٦ ) راجع مصدر الحاشية رقم ٤ ٠

( ٤٧ ) نشر التقرير حول ملاحظات بيغن في وكالة الانباء اليهودية ، **نشرة الاخبار اليومية** ، ٢١ ايلول ( سبتمبر ) ١٩٧٨ ، ص ١ ـ ٢ ، **وجويش ويك** ، ٢٤ ايلول ( سبتمبر ١٩٧٨ ، ص ٤٣ ، وفي **جويش برس** ، ٢٩ ايلول (سبتمبر) ١٩٧٨ ص ٧٣ ٠

( ٤٨ ) **المصدر نفسه** ٠

( ٤٩ ) « مهملا الفواصل » بقلم دافيد لانداو ، **جيروزاليم بوست ، الطبعة الدولية** ٢٦ ايلول ( سبتمبر ) ١٩٧٨ ، ص ١٣ ٠

( ٥٠ ) راجع مصدر الحاشية رقم ٠٥

( ٥١ ) راجع مصدر الحاشية رقم ٠٢

حسين أبو النمل

# مشروع الحكم الذاتي
# مقدمات ونتائج

## كلمة اولى

يدور موضوع هذه الدراسة حول مشروع «الحكم الذاتي» الذي قدمه مناحيم بيغن رئيس وزراء العدو الاسرائيلي ، « كحل » لمشلكة المناطق الفلسطينية التي احتلت سنة ١٩٦٧ · والذي لم يعد مشروعا اسرائيليا فحسب ، بل اضحى بعد اتفاق كامب ديفيد ، مشروعا مصريا اميركيا ايضا ، ولا بد لهذه الاطراف الثلاثة ، بالاضافة الى حلفائها غير المعلنين، من ان ترمي بثقلها وراء هذا المشروع ، لوضعه موضع التنفيذ العملي ·

وليست مهمة هذه الدراسة ، تفسير نصوص مشروع الحكم الذاتي فحسب ، بل محاولة توقع الافرازات الموضوعية للاتفاق المصري الاسرائيلي ، وحركة الاحداث التي لا بد وان تكون، موضوعيا ، محكومة بالمناخ الجديد الذي سيترتب على الاتفاق المصري-الاسرائيلي، والذي سيكفل اخراج ترجمة عملية لمشروع الحكم الذاتي ، يضمن لاسرائيل ابتلاع المناطق الفلسطينية المحتلة سنة ١٩٦٧ · ودون استباق للنتائج التي يمكن ان تتوصل اليها هذه الدراسة ، يمكن لنا القول انه من الصعب جدا على اسرائيل ان تكون في وضع القادر على ان تدمج المناطق الفلسطينية المحتلة سنة ١٩٦٧ بها ، دون توقيع اتفاق سلام منفرد مع مصر ، والذي سيكفل لاسرائيل قدرة افضل على اعادة صياغة الاوضاع في المناطق الفلسطينية المحتلة سنة ١٩٦٧ بما يتناسب ومخططات الدمج ·

هناك مجموعة من الاسئلة التي لا بد من الاجابة عليها ·

١ ـ المدى الذي يعكس فيه مشروع بيغن ، وفاقا قوميا في اسرائيل وهل يختلف في جوهره عن المشاريع التي طرحتها الحكومة الاسرائيلية التي تعاقبت على حكم اسرائيل ما قبل وصول تكتل الليكود الى السلطة ·

٢ ـ هل من خلاف جوهري بين مشروع بيغن للحكم الذاتي ، وما قد اعلنه فور وصوله للسلطة عن « ان الضفة الغربية وقطاع غزة هي اراض محررة » ، انسجاما مع

سياسته التي اعلنها مذ كان في حكومة الحرب التي شنت عدوان ١٩٦٧ والتي يوجزها الشعار الذي كان قد رفعه في حينه « ولا شبر واحد » ٠

٣ ـ هل يشكل اتفاق كامب ديفيد تراجعا من مناحيم بيغن عن مقترحاته التي سبق له ان تقدم بها ، ام هو استجابة كاملة لجوهر مشروعه ؟

٤ ـ على هامش كل ما تقدم ، اين موقع الموقف الامريكي ، وما هو المدى الذي استجاب به لادعاءات مناحيم بيغن ، واستطرادا لذلك ممارسة الضغط على مصر للقبول بالمشاريع الاسرائيليـــة ٠

## « الارض المحررة » بين الون وغاليلي

تبريرا لعدوان اسرائيل سنة ١٩٥٦ ، قدمت مجموعة من الاسباب الواهية ، تحفظ عليها حتى كبير مراقبي الامم المتحدة ، الجنرال بيرنز ، الذي علق عليها ساخرا ، وذكر بقـــول لبن ـ غوريون قبل عام ونصف من عدوان ١٩٥٦ عن « ان عمل وزارة الخارجية هو تبرير اعمال جيش الدفاع الاسرائيلي في عيون العالم » (١) ٠ ويبدو ان تلامذة « بن ـ غوريون » في حزب المنباي ، واستطرادا تجمع المعراخ ، كانوا حريصين على العمل بمقولة معلمهم تلك ، واعطاء اهمية كبرى « للشكل » الذي تقدم به مقترحاتهم ومشاريعهـــم ، دون ان تمس الجوهر بشيء ٠ رغم اختلاف التفاصيل من مشروع لآخر ، وليس من داع لتناولهـا تفصيليا ، وعلى سبيل المثال ، فان مشروع آلون كان يحاول تبرير ابتلاع المناطق المحتلـة سنة ١٩٦٧ باسباب امنية محضة ٠ وان لحظ ذلك المشروع دورا للاردن ، فان ذلك كـــان يخضع لاعتبارات سياسية تكتيكيـــة تهدف الى اغراء الاردن بالحضور الى طاولـــة المفاوضات ، لما لذلك من مزايا ، حيث « سيكون ذلك بمثابة بداية اختراق لجبهة العـــداء العربية المتراصة ، في اعقاب خلق سابقة » ٠٠٠ ولكن وبرغم هذه الايجابية ، فان البديل الذي اعتبره يغئال الون « البديل الاخير وهو الدليل الافضل » (٢) هو « ان نحدد ، ولو حتى من طرف واحد ، نهر الاردن والخط الذي يقطع البحـــر الميت في منتصفه كخـــط حدود اسرائيل مع المملكة الاردنية ٠ ولكي تصبح الحدود عملية وليست نظرية فقط ، ينبغي ان يضم الى اسرائيل شريط يتراوح عرضه بين ١٠ ـ ١٥ كيلو مترا على امتداد غـــور الاردن وحتى البحر الميت » ٠ (٣) وبعد ان يحدد آلـون بديلـه المفضـل لحدود اسرائيل مع الاردن ٠ وعملا بقاعدة « الحد الاقصى من الارض والحد الادنى من العرب » (٤) ٠ يقترح مشروع آلون اعادة « سيادة » الاردن على « بعض » من اجزاء الضفة الغربيـــة المكتظة بالسكان العرب !! سيادة اردنية محاطة بسيادة اسرائيلية من كافة الاتجاهات ، ولعل يجال آلون الذي اصبح في فترة لاحقة وزير خارجية دولة العدو ، كان محكومـــا بالدور الذي حدده دافيد بن ـ غوريون لوزارة الخارجية الاسرائيلية ، والذي اشرنا اليه سابقا ، لذا ، فقد برر آلون برنامجه التوسعي بالاعتبارات الامنية لانه « اذا كا نلا بد من موقف مجابهة مع دول صديقة ، فمن المستحسن خوضه على أساس الحجة الامنية وليـس التاريخية فقط » (٥) ٠

ان مشروع آلون الذي طرح بعد مدة قصيرة من حرب ١٩٦٧ لم يكتسب صفة قانونيـــة ورسمية ، وهو وان طرح للتداول ، فانه لم يلزم اسرائيل بشيء ، وحين نشر صاحبـــه مقالة له في مجلة « الفوريين أفيرز » الاميركية يعبر عن وجهة نظره ، انطلاقا من مشروعه المشار اليه ، وفي وجه الهجوم الذي تعرض له ، دافع عن نفسه « مدعيا او المقال يمثـــل

رأيه الشخصي وانه على اي حال ، نشره لما رأى فيه من اهمية اعلامية دعاوية» (٦) ٠

ان مشروع آلون ، والذي كان « ذا صفة شخصية » وله غرض دعاوي ، وكان يعطي لاسرائيل امتيازات هائلة في الضفة الغربية ٠ ويعيد شكليا بعض السيادة الاردنية على بعض المناطق المكتظة بالسكان في الضفة الغربية ، وخوفا من المشكلة الديمغرافية ، لم يلزم لا الحكومة الاسرائيلية ، ولا حتى صاحب المشروع ، الذي التزم ببرنامج الحزب الذي ينتمي اليه ٠ والذي كان عاما وغامضا تجاه مستقبل المناطق ، شكلا ٠ ولكنه موضوعيا كان له موقف ثابت ومحدد ، الا وهو خلق حقائق موضوعية في المناطق الفلسطينية المحتلة سنة ١٩٦٧ ، تكفل ضمها في المستقبل ٠ ولقد عبرت عن هذه العقلية خير تعبير ، « وثيقة جاليلي » والتي كانت حافلة بالمقترحات الداعية الى « ان تستمر الحكومة الاسرائيلية المقبلة في العمل في المناطق على أساس السياسة التي تنتهجها الحكومة الحالية ٠٠ » ، مقترحة « خطة عمل ٠٠ لتأهيل اللاجئين والتطوير ٠٠ ولاحداث تغيير في ظروف السكن٠٠» و « تطوير البنية التحتية الاقتصادية وتحسين الخدمات الحيوية ٠٠ » وان « تقدم تسهيلات وحوافز لتشجيع المبادرين الاسرائيليين على اقامة مشاريع صناعية في المناطق» و « مساعدة النشاط الذاتي للسكان في مجالات التعليم والديانة والخدمات » وان « تستمر سياسة الجسور المفتوحة » ومراقبة عمل عمال المناطق المحتلة ١٩٦٧ ٠ واما بشأن الاستيطان فقد دعت وثيقة جاليلي الى « اقامة مستوطنات جديدة ، ويجري تعزيز شبكة المستوطنات ( الحالية ) ويعمل لزيادة عدد السكان [ اليهود ] ٠٠ » اضافة لذلك فقد قدمت مقترحات عملية بشأن تنظيم عمليات الاستيطان والاستثمار في المناطق المحتلة ١٩٦٧ (٧) ٠

لقد فضح اكثر من كاتب اسرائيلي اغراض وثيقة جاليلي، التي جمعت بين « تأهيل اللاجئين » و « توسيع عمليات الاستيطان » فكان هنالك من وصفها بانها « اندفاع نحو الضم لم يسبق له مثيل » (٨) ٠ وان العمل على « تحقيق ارتفاع سريع في مستوى المعيشة للسكان وجعلهم يشعرون بالحكم الذاتي هو مجرد نتيجة فرعية للهدف الحقيقي لخطة العمل التي تعني عمليا : زيادة سرعة الاستيطان » (٩) ٠ وقد وجدت وثيقة جاليلي من يصف مقترحاتها بشأن « التأهيل » بأنه « انقلاب اسرائيلي صامت » وان « دلالات هذا الانقلاب تتجاوز الاعتبارات الانسانية » (١٠) ٠

## وثيقة جاليلي والحكم الذاتي ، والارض المحررة

لم تتجاوز وثيقة جاليلي ، في حديثها عن موضوع التأهيل الاعتبارات الانسانية فحسب، بل كانت تتجاوز في اهدافها ومراميها الكلمات المنمقة والمختارة بدقة التي صيغت بها ٠ والتي تظهر من خلال النقاشات التوضيحية التي جرت على هامش المشروع المقدم ، فقد اشار جاليلي الى « انه يؤمن بان نهر الاردن سيكون حدنا مع المملكة الاردنية ، حدنا السياسي والامني » وأما عرب الضفة فـ « سيتمتعون عند حلول السلام ليس بمكاسب ذات قيمة كبيرة فقط ، وانما ايضا بتعبير ذاتي عن هويتهم ، وبحقوق كاملة ، جزء منها في دولة اسرائيل [ التي حدودها نهر الاردن ] ٠ وجزء منها ، ربما ، في دولة الاردن » ولكي يقطع الشك باليقين ، قال « ان اسرائيل لم تقرر بعد ان تيأس وتتنازل عن الضفة » وقد كان هذا الموقف طبيعيا جدا من جاليلي ، الذي اشار الى تكوينه الايديولوجي قائلا «لقد ثقفت على النظر الى الضفة الغربية ، وشاطىء البحر المتوسط حتى العريش ، كوطني

التاريخي · ليس وطنا بالروح أو الميراث او الكتب فقط ـ وانما كمجال التجسيد العملي للحركة الصهيونية عن طريق الاستيطان ـ » ·

واما شمعون بيريس ، زعيم حزب العمل بعد ذلك فكان تعليقه « انا اؤمن بان العرب واليهود يستطيعون العيش معا على ارض واحدة ··· وبدلا من تقسيم الارض ، نقسم الحكم : أي أن يكون هناك على مستوى أول ، مستوى دولة اسرائيل ، حكم فدرالي ، وعلى مستوى ثان ، حكم محلي · وهذا التقسيم يفتح المجال لوضع يتمتع فيه كل المواطنين بحقوق متساوية » (١١) ، وأما موشي دايان ، والذي كان مسئولا عن شؤون المناطق المحتلة سنة ١٩٦٧ فقد كان يقف على يمين كافة مشاريع حزب العمل المطروحة ، لدرجة انه لم يجد غضاضة في ترك حزب العمل والانضمام الى حكومة الليكود بعد وصوله للسلطة ، ذلك الانتقال الذي لم يكن بفعل انتهازية سياسية فحسب ، بل انسجاما فكريا مع اطروحات الليكود ايضا ·

اثر حرب تشرين ، واستعدادا لانتخابات الكنيست تقدم حزب العمل بما عرف « بوثيقة المباديء الاربعة عشر الموجهة » والتي وضعت تحت تأثير نتائج حرب تشرين ، ولذا فقد كانت غامضة ومطاطة ، واقرب ما تكون الى برنامج انتخابي هدفه اصطياد الناخبين ، لصالح « تجمع المعراخ » · والذي حاول « ان يبدو ، في نظر الجمهور ، كحزب سلام مقابل التكتل ( ليكود ) كحزب الحرب » (١٢) ، رغم ان البرنامج الجديد « يتضمن كل العناصر الداخلة في وثيقة جاليلي » (١٣) ·

السنوات التي مرت ما قبل وصول الليكود الى الحكم كانت حافلة بوجهات النظر بين الاطراف المتصارعة ، أو حول موقف هذه الكتلة او تلك ، واحيانا هذا الشخص او ذاك ، من المشاريع المطروحة · ولكن الخلافات التفصيلية لم تمنع وجهات النظر المختلفة من التقاطع حول المسائل الاساسية ، والتي لم تمس مبدأ سيادة اسرائيل على المناطق الفلسطينية المحتلة سنة ١٩٦٧ · وحتى ما عرف بتيار « الحمائم » فأنه كان ينطلق في موقفه الرافض للضم ، خوفا من التغيرات الديمغرافية التي تترتب على ضم المناطق الفلسطينية المحتلة سنة ١٩٦٧ الى مناطق الاحتلال سنة ١٩٤٨ ·

فمن يغئال الون ، الى جاليلي ، ودايان وبيريس · كان نهر الاردن هو حدود اسرائيل، وبعد ذلك يتسع الامر الى دور للاردن ليتحمل فيه تبعات بعض اجزاء الضفة الغربية المكتظة بالسكان ( مشروع ألون ) واحتمال قيام ادارة محلية ( تعليق بيريس ) · مع اطلاق حرية الاستيطان اليهودي وتشجيعه ودفعه للامام · وهي المهمة التي اوكلت الى موشي دايان ، ومن بعده شمعون بيريس ·

أننا حين نسترجع أقوال مسؤولي المعراخ ، نلحظ بوضوح حرص هؤلاء على ممارسة الايديولوجية الصهيونية ، والمقترنة دائما بسياسة براجماتية ، تحاول عدم اقفال باب التسوية من ناحية ، والظهور ، من ناحية اخرى ، بمظهر المرن ، تجنبا للضغوطات الخارجية ، وهي في النهاية تفاصيل وشكليات لا تغير من جوهر الموقف ، الذي لا يختلف كثيرا عن الرأي الذي قدمه مناحيم بيغن فور وصوله للسلطة « الضفة الغربية وقطاع غزة أراض محررة » · وبذلك كان يعبر عن الصهيونية بانقى اشكالها دون أن يدخل عليها أية مساحيق سياسية · وحينما يقول بيجن ان الضفة الغربية وقطاع غزة هي أراض محررة ، فأنه لا يقول شيئا مختلفا كثيرا عما كان يشكل الاساس النظري لوثيقة جاليلي، فصاحبها هو القائل « لقد إتّقفت علي النظر الى الضفة الغربية ، وشاطيء البحر

المتوسط حتى العريش ، كوطني التاريخي ٠٠٠» ٠

لو تجاوزنا بعض التفاصيل ، لامكن لنا القول ان الموقف المبدئي تجاه الضفة الغربية وقطاع غزة ، هو محل وفاق بين الاحزاب الصهيونية ، رغم اختلاف الاشكال التي يعبر بها هذا الحزب او ذاك عن مواقفه ٠ ولقد كانت هذه المسألة محل تعليق للدكتور ابراهام ديسكين استاذ علوم التربية المدنية في الجامعة العبرية،الذي وجهت له الاذاعة الاسرائيلية السؤال التالي بمناسبة التصويت الذي جرى في الكنيست « الانطباع السائد عن شكل التصويت فجر اليوم هو كأن الفوارق ازيلت في الكنيست ، وكأنه لم تعد هنالك معارضة ولم يعد هناك ائتلاف هل هذا صحيح » (١٤) ٠ ردا على هذا السؤال اجاب الدكتور ديسكين « مشروع القرار الذي اقرّ وارد في برنامج حزب العمل الانتخابي، والقرار الذي أتخذ يعبر عن مواقف حزب العمل ٠٠٠ ولو كنت من اعضاء حزب العمل ، لرأيت في النتيجة انتصارا كبيرا من الناحية الايديولوجية ، ولكن يوجد في حزب العمل غصة في القلب ، لان الموضوع لم ينفذ اثناء ولاية احدى حكومات حزب العمل » (١٥) ٠

## ( مضمون ) الليكود و ( شكل ) المعراخ

« توافق » مواقف المعراخ مع مواقف الليكود لا يعني ارتداد مناحيم بيغن لمواقف « الاعتدال » التي عرفت عن حزب العمل ، بقدر ما تعكس تصلب برامج حزب العمل نفسه ، والخلفية الايديولوجية الواحدة لكلا الطرفين ، ذلك «التوافق» الذي اتى بعد ان كسا مناحيم بيغن شعار « الارض المحررة » الذي رفعه اثر وصوله الى السلطة، «بالشكل» الملائم ، وهو الامر الذي يحرص عليه تجمع المعراخ كل الحرص ، ذلك « الشكل » الذي كان يراهن عليه البعض ، ظنا منهم ان مناحيم بيغن في السلطة هو غير مناحيم بيغن في المعارضة (!) ، استطرادا للوهم الذي كان لدى البعض عن وجود تمايز حقيقي بين مواقف الليكود ومواقف المعراخ ، والذي ادى الى ان « يخوض » بعض عرب التسوية معركة المعراخ ضد الليكود (!) وفي حقبة لاحقة « معركة » عيزر وايزمان « المرن » ضد بيغن « المتصلب » (!) ٠

نود التأكيد ، مرة أخرى على ضرورة التفرقة بين المسألة الجوهرية ، الا وهي مسألة « السيادة » على الضفة الغربية وقطاع غزة ، وبين مسائل تطبيقية ، يتسع الخلاف بشأنها ليشمل اكثر من وجهة نظر ، لكنها في النهاية لا تمس مبدأ « التنازل » عن الارض الفلسطينية المحتلة سنة ١٩٦٧ ٠

وكذلك لا بد من تسجيل تحفظ آخر ، الا وهو ضرورة التفرقة بين اراء ووجهات نظر ، فردية أحيانا ، واحيانا اخرى تمثل وجهات نظر لتيارات سياسية هامشية ، لا يملك اصحابها امكانية التقرير ، وبين وجهات النظر المعبرة عن التيارين الرئيسيين في اسرائيل، المعراخ والليكود ، أصحاب القرار السياسي في اسرائيل منذ انشائها ، ولمستقبل لا يمكن التنبوء بحدوده ، علما بانه لا يبدو ، وفي حدود التكوين السياسي الاقتصادي الاسرائيلي الحالي والارتباطات الاسرائيلية الخارجية ، ما يشير الى انه سيطرأ تغير كبير على الخريطة السياسية الاسرائيلية ، ومن هنا ، وفي هذه الدراسة ، فقد تم اهمال الآراء ووجهات النظر التي لا تملك فرصا في المدى المنظور ، لان تتحول الى حقائق سياسية ٠

## « الشكل » وتمرير المشاريع

ان الخلاف بين حديث بيغن الذي اعتبر الاراضي الفلسطينية المحتلة سنة ١٩٦٧، أرضا محررة وبرامج المعراخ ، التي طرحت منذ سنة ١٩٦٧ ، وحتى خروجه من الحكم ، هو خلاف شكلي ولا يمس مبدأ التنازل عن الارض المحتلة سنة ١٩٦٧ ، ولكن لهذا الخلاف الشكلي اثرا جوهريا على مسيرة التسوية ، لانه يفقد الحكومة الاسرائيلية اية قدرة على المناورة ، ويضع التسوية واطرافها في مأزق يستحيل على اصحابها الخروج منه ، وهو الامر الذي كانت تحسب له الولايات المتحدة الاميريكية الف حساب ، لان اقفال باب التسوية سيؤدي موضوعيا الى وضع ، حتى عرب التسوية ، أمام خيارات صعبة جدا ، اضافة الى ان الولايات المتحدة نفسها ستكون مهددة بفقدان دورها في التسوية ، وهي الركيزة المعلنة استندت اليها لتبرير عودتها للمنطقة كوسيط بين العرب واسرائيل ، وأي دور يبقى للوسيط ، عندما يعلن احد الاطراف ، انه ليس مستعدا للتنازل عن اي شيء · وهنا تكمن القاعدة الصعبة التي تحكم علاقة الولايات المتحدة الامريكية بأسرائيل، لان « كشف » اسرائيل لاوراقها سيجبر الولايات المتحدة الامريكية بدورها على كشف اوراقها · والعكس بالعكس ، فأن تصرف اسرائيل بمناورة وذكاء يعطى للولايات المتحدة الامريكية قدرة افضل على المناورة ، لتحقيق غرضها المزدوج ، باسقاط المنطقة في قبضتها، وتأمين طلبات اسرائيل من الارض العربية · هذا التكتيك السياسي الذي لعبته جيدا حكومات المعراخ : التمسك عمليا بالسيادة على الارض الفلسطينية المحتلة سنة ١٩٦٧ ، تحت حجج مختلفة وابقاء باب التسوية مفتوحا ، من خلال التلويح بمكتسبات لهذه الدولة العربية او تلك ، بهدف تشجيعها على المضي في مشروع التسوية والجلوس مع اسرائيل على طاولة المفاوضات لان « ذلكسيكون بمثابة اختراق لجبهة العداء العربية المتراصة في أعقاب خلق سابقة» (١٦) ، حسب تعبير يجال آلون ·

## استعداد بيغن للتفاوض ام للتنازل ؟!

من هذا المنطلق ، وردا على رأي بيغن المعترض على الاتهام الذي وجه اليه بأنه قد ضم الضفة الغربية لان « دولة ما لا يمكنها ان تضم الاراضي التي تخصها ··· فاسرائيل لا يمكن ان تضم تل ابيب ·· اليس كذلك ؟ أن الامر نفسه ينطبق على بيت لحم » (١٧) · حسب تعبير بيغن ، هذا المنطق الذي يقفل باب المفاوضات ، كان امرا مرفوضا من قبل الولايات المتحدة التي قالت بلسان والتر موندیل نائب الرئيس الاميركي « لا مناطق من الارض المحتلة ، بما في ذلك الضفة الغربية ينبغي ان تستثنى آليا من المواضيع التي سيتم التفاوض عليها » (١٨) · وهو الرأي الذي كانت اسرائيل قد استجابت له فقد « قال اليوم السناتور ريتشارد ستون الذي استقبله الرئيس الاميركي كارتر امس ان كارتر « مغتبط » لان مناحيم بيغن رئيس وزراء اسرائيل الجديد ابدى استعدادا للتفاوض على كل شيء مع الزعماء العرب حتى على الضفة الغربية » (١٩) ·

بـ « تحول » موقف مناحيم بيغن من الشعارات الاستفزازية من طراز « ارض محررة، و ، لا شبر واحد » الى شعار « كل شيء قابل للتفاوض بما فيها الضفة الغربية » تحرك الموقف الاسرائيلي والامريكي ، نحو نقطة لقاء مشتركة · الموقف الاسرائيلي اصبح اكثر تقيدا بالشكليات التي تحفظ مسيرة التسوية وتسهل الدور الامريكي ، والولايات المتحدة الامريكية تصبح اكثر التزاما بالمسألة المركزية التي تعني اسرائيل ، الا وهي موضوع

« السيادة » على الضفة الغربية وقطاع غزة · وبالتأكيد فأن هنالك درجة عالية جدا من التنسيق بين الولايات المتحدة واسرائيل ، والتي اجاب رئيس وزرائها ، أبان احدى زياراته لامريكا ردا على سؤال طرح عليه ، بشأن موقف كارتر من سياسته قال بيغن « انه لا يستطيع اذاعة ما ابلغه اياه كارتر على انفراد ··· كل ما أستطيع قوله هو أنه يعرف جميع نقاط خطتنا للسلام » (٢٠) ·

## حركة الموقف الامريكي تجاه الموقف الاسرائيلي

قرار ٢٤٢ ، بغض النظر عن « ال » التعريف الشهيرة التي طالما اثارت من نقاشات ، والذي يشكل اساس موقف بعض الدول العربية تجاه موضوع انسحاب اسرائيل من مناطق الاحتلال سنة ١٩٦٧ ، لم يمس مبدأ سيادة الدول العربية على هذه المناطق ، مع ما يلحق بهذا المبدأ من تعديلات لا تلغي جوهره ، ولكن موقف الولايات المتحدة الامريكية في عهد الادارة الامريكية الجديدة ، خطا خطوة جديدة وحاسمة في اتجاه هذه المسألة ، بأن وضع مسألة السيادة ، وبالذات على الضفة الغربية وقطاع غزة ، موضع تساؤل ، وبذلك قطع نصف الطريق نحو الموقف الاسرائيلي الذي يقول بسيادة أسرائيل عليهما · وطيلة الحقبة الفاصلة بين وصول بيغن للسلطة ، واعلانه لمشروع الحكم الذاتي ، تناغمت التصريحات الامريكية مع المواقف الاسرائيلية حول مسألة السيادة على الضفة والقطاع · في محاولة من الادارة الامريكية الجديدة ، للتوفيق بين المطالب المتناقضة ، وللاقتراب من الموقف الاسرائيلي اعلنت بلسان نائب الرئيس الامريكي « ان المشكلة هي ان الحدود الآمنة التي تطالب بها اسرائيل ليست مقبولة لدى العرب ، وانه لهذا السبب يحاول الرئيس كارتر ان يفصل الحدود الى حدودين : حدود معترف بها وخطوط دفاعية لاسرائيل لتعزيز امنها » (٢١) · وهو الموقف نفسه تقريبا الذي كانت قد قدمته ادارة كارتر لحكومة رابين في ٧٧/٣/٩ أبان زيارة الاخير للولايات المتحدة ، وهو العرض الذي كان قد سبق لبرجنسكي مستشار الرئيس للامن القومي ان اعده ، وهو بدرجة أو بأخرى يحقق الاغراض التي سعى اليها مشروع آلون آنف الذكر ، أي « سيادة » اردنية في أطار السيادة الاسرائيلية ، ولعل هذا السبب هو الذي دفع المراسل السياسي للاذاعة الاسرائيلية لوصف اقوال كارتر الذي « تحدث عن حدود يمكن الدفاع عنها [ بأنه ] هو الامر المفاجىء» (٢٢)· وكذلك تعليق أسحاق رابين رئيس وزراء اسرائيل الذي قال « وجدت لدى الرئيس كارتر في هذه الناحية تغييرا جوهريا ذا طابع أيجابي وهو تغيير اكثر قربا للموقف الاسرائيلي من أية مرة » (٢٣) ·

وكما في فترة حكم رابين ، وبعد أن اقتربت حكومة بيغن من « الشكل » الذي تريد الولايات المتحدة الامريكية ان تسير عليه الامور ، فقد تحركت الولايات المتحدة لتصبح اكثر اقترابا من « جوهر » الموقف الاسرائيلي ، وبدأت بالتتابع تصريحات المسئولين الامريكيين ، اعضاء مجلس الشيوخ اولا ، وبعد ذلك رسميو الادارة الامريكية ، وفي حين كان مناحيم بيغن يدعو « مصر وسوريا والاردن واسرائيل الى الامتناع عن الادلاء ببيانات سياسية بعضها ضد البعض وذلك لمساعدة مسيرة السلام في المنطقة » (٢٤) · كان السناتور دول يصرح بأن « الضفة الغربية لنهر الاردن هي ارض محررة وليست أرضا محتلة » واستطرد قائلا « اننا لا ندافع عن الاحتلال الاسرائيلي لكننا لا نقر ايضا الاحتلال العربي » (٢٥) · وفي وقت لاحق كان هنالك من يحذر قائلا « انه ليس من الصواب أحياء أوهام لدى العرب » (٢٦) في هذا الوقت كان مناحيم بيغن « يضيع » مسألة الحدود بين

الاردن واسرائيل بقوله « لم يحدث في يوم من الايام ان كانت هناك حدود معترف بها بين اسرائيل والاردن ، وفي هذا الاطار يمكن الاسرائيليين والاردنيين توزع المسئوليات في الضفة الغربية » (٢٧) ٠

والرئيس امريكي الخائف من التعبيرات الاستفزازية ، كان منسجما مع رأي بيغن الداعي لعدم الكلام وضبط اللسان ولذلك « حث الزعماء العرب والاسرائيليين على ضبط النفس في بياناتهم وعدم تسخين الوضع » (٢٨ ) ولكن ونظرا لان عدم التصريحات وضبط اللسان والنفس ، لا تلغي الحقيقة الماثلة للعيان ، كاستمرار اسرائيل في عمليات الاستيطان ، « ولانه سيكون من الصعب على الرأي العام قبول ذلك » ، حسب رأي كارتر ، واستجابة الى طلبات بيغن الذي يتعرض الى « ضغط من المستوطنين الجدد لاقامة مستوطنات جديدة قلت ـ اي كارتر ـ أنه قد يكون من السهل قبول توسيع المستوطنات القائمة بدلا من اقامة مستوطنات جديدة » (٢٩ ) ، وفي اقتراح كارتر هذا ، كان يؤيد صنع وقائع استيطانية جديدة ، ولكنه في الوقت نفسه لا يستفز مشاعر احد ! انها العقلية الامريكية ، وطريقتهم في العمل التي أثارت اعجاب الملك الاردني فوصفها قائلا « ان اصدقاءنا يتقنون العمل » (٣٠) ٠ هذا الكلام الذي قيل اثر زيارة سايروس فانس وزير الخارجية الامريكي للاردن من ضمن جولة له في الشرق الاوسط ، تلك الجولة التي افتتحها الوزير الامريكي بتصريح خطير جدا ، ردا على سؤال وجه اليه ، يقول السؤال « اذا كان الامر غير شرعي بالنسبة لاسرائيل فيما يتعلق بانشاء مستوطنات في الضفة الغربية فمن هو الذي يملك اذا « **حقا شرعيا** » في الضفة الغربية » فرد فانس « اعتقد ان هناك سؤالا مطروحا حول من له حق شرعي في الضفة الغربية » (٣١) ٠ والملفت للنظر ان هذا الخبر قد وزع من قبل مكتب المعلومات التابع للسفارة الامريكية في بيروت ، الامر الذي يعكس حرص المعنيين على ضمان ايصال وجهة نظر الولايات المتحدة الامريكية بشأن المسألة المطروحة ، الى العواصم التي سيزورها المسئول الامريكي ، قبل وصوله اليها، وفي حينه ، فأن المقترحات التي قدمها فانس ، كانت انطلاقا من وجود تساؤل حول من له « حق شرعي » في الضفة الغربية ، اسرائيل أم الاردن ؟٠ بأعتبار « ان منظمة التحرير الفلسطينية يجب ان تتبخر » حسب رغبة كارتر وبرجنسكي وبيغن ٠ مقترحات فانس التي حملها للعربية السعودية وموقف الاخيرة من المقترحات أشارت اليه جريدة النهار البيروتية بقولها « تعتقد المصادر المطلعة ان السعودية ستطلب ادخال تعديلات على اقتراح أميركي ٠٠٠ يتعلق بشكل الوصاية التي يفترض ان تمارس على الضفة الغربية في حال موافقة اسرائيل على الانسحاب منها ٠٠٠ [ و ] ٠٠٠ان الاقتراح الذي يحمله فانس بالنسبة الى هذا الموضوع يشير الى نوع من الوصاية الاسرائيلية ـ الاردنية تسبق استفتاء ينظم لاهالي الضفة ٠ أما التعديل المقترح فيدعو الى وصاية هيئة محايدة كالامم المتحدة ، مثلا قبل الاستفتاء » (٣٢) ٠

وربما (!) انه نوع من توارد الخواطر بين السيد فانس وزير خارجية الولايات المتحدة وموشي دايان وزير خارجية اسرائيل ، الذي اقترح بعد حوالي اسبوع من تقديم فانس لمقترحاته تقسيما وظيفيا للضفة الغربية ، فقد نقلت صحيفة «يديعوت احرونوت» عن دايان قوله « أن واشنطن تؤيد خطته القائلة بعدم اعادة الضفة الغربية الى الاردن وقطاع غزة الى مصر وبأن لا يكون هنالك تقسيم في الاراضي ٠٠٠ وبدلا من ذلك سيتم تقسيم الضفة الغربية تقسيما وظيفيا » (٣٣) وقد فسر ناطق بأسم وزارة الخارجية هذا التعبير بأنه يعني ان يعيش الاردنيون والاسرائيليون معا في الضفة الغربية من دون حل مسألة

السيادة » (٣٤) ٠

وقد اشار دايـــان أيضـا الى « أن وزير الخاجيـــة الامريكي لم يلمـح قـــط في أثناء محادثاته مع المسئولين الاسرائيليين الى ان على اسرائيل ان تعيد الضفة الغربية ، بل كان رأيه على العكس من ذلك » ، واضاف دايان انه « في المباحثات الاخيرة ( جولة فانس ) التي اجريت مع الامريكيين لم يكن هناك اي تلميح قط ، الى تقسيم الضفة الغربية، ولكن الاسرائيليين سمعوا منهم حديثـــا عن انشاء تعايش سلمي مع السكان » (٣٥) ٠ والرئيس جيمي كارتر الذي دعا في السابق لتوسيع المستوطنات القائمـــة ، وليس انشاء مستوطنات جديدة والذي اعتبر أن انشاء اسرائيل ثلاث مستوطنات جديدة « يخلق عقبـة غير ضرورية في طريق السلام » سئل عما اذا كان ينوي الذهاب الى أبعد من الاعـــراب عن قلقه واعلان وقف المساعدات ؟ فأجاب « لا انوي الاقدام على ذلك » ! بل واكثر من ذلك فقد تلقى تطمينات من مناحيم بيغن بأن اقامة المستعمرات في الضفة الغربيـة لا تعني ان اسرائيل تنوي الاستمرار في احتلالها هذه الاراضي » (٣٦) أي أن أبداء القلق (!) أكثـر فعالية من وقف المساعدات ٠ نيات موشي دايان كانت بدورها حسنة (!) فهو يناغم كارتر فيقول « لنا الحق ، من دون طرد أي من العرب ، في شراء الارض هناك واقامة مستوطنات يهودية عليها وهذا امر ليس غير قانوني ٠٠ وليـــس عقبة في طريـــق السلام» (٣٧)، الاسرائيلي طبعا ، **وتستمر دموع التماسيح** بالتدفق من عيني وزير الخارجية الاسرائيلـي فـ «أعرب عن تفاؤله بمستقبل السلام في الشرق الاوسط مكررا ان كل شيء قابل للتفاوض مع العرب بما في ذلك الضفة الغربية والقدس ٠٠» ويستطرد دايان « متوســـلا ( ! ) « دعونا نحاول أيجاد طريق لا لتقسيم المنطقة ، بل لكيفية العيش معا » (٣٨) ٠

نعم ، لقد احسن السيد بيغن ، اختيار وزير خارجيته دايان ، تلميذ بـــن ـ غوريون: صاحب المقولة الشهيرة « ان عمل وزارة الخارجية تبرير أعمال جيش الدفاع الاسرائيلي في عيون العالم » (٣٩) ٠

قد يكون هذا هو السبب وراء « نعومة » دايان ، انما هنـــاك سبب اخر ، وجيه، وجيه جدا ، ففي هذا الوقت وكما اتضح لاحقا ، كان دايان قد وقع مع السيد حسن التهامي نائب رئيس الوزراء المصري ، بروتوكول زيارة انور السادات لاسرائيل ، تلك الزيـارة التي كان يجب أن تتم ، حتى ولو اضطر وزير خارجية اسرائيل « لتوسل » (!) العيش المشترك مع العرب (!) وتبقى الزيارة أثمن بالنسبة لاسرائيل من كل وعود وكلام معسول، يصدر عن وزير يعرف جيدا كيف يضحك على الذقون ، خصوصا عندما يشاركه اللعبة، رئيس ، هو في أسوأ الاحوال ، ساذج ، وعلى الاغلب متواطىء ، هـو أنور السادات، وعراب العملية عميد الامبريالية العالمية ، الذي يلبس ثياب كاهن ٠

ولان « كل شيء قابل للتفاوض » بدأت تبرد التصريحات الاسرائيلية ، استعـدادا للزيارة التي قام بها الرئيس المصري للقدس ، والتي كانت « بداية اختراق لجبهـة العداء العربية المتراصة [و] لخلق سابقة » ٠ واذا كانت هذه رغبة الون ، وكان يطمح ان يكون بطلها ملك الاردن ، فقد حققها مناحيم بيغن من خلال أنور السادات ٠

قبل تناول هذه المرحلة في مسيرة « مشاريع » بيغن لا بد لنا من اعادة التذكير بأن الموقف الامريكي ، ورغم « نويات الغضت » التي كانت تنتابه احيانـــا ، من الموقـف الاسرائيلي الذي كان يهمل الشكليات الضرورية ، فانه كان متناسقا بدرجـة عالية مـع

جوهر الموقف الاسرائيلي القائم على الاستعداد للتفاوض ، لضمان مسيرة التسوية، بل ومبرر الوساطة الاميريكية ، وفي الوقت نفسه عدم الاستعداد للتنـــازل عن الضفـــة الغربية وقطاع غزة ، تحت مبررات متعددة ، ولم يعد المبرر التاريخي السبب الوحيد ، بل ، اعيد « الاعتبار الامني » للتداول ثانية ، وفي مراحل لاحقة ، تم التركيز على فرصة العيش المشترك بين العرب واليهود التي يتيحها بقاء الضفة الغربية تحت الحكم الاسرائيلي· واذا كان الموقف الامريكي ، غير المعلن ، يقر اسرائيل على افكارها ، بشأن الضفة والقطاع، فان الموقف الامريكي المعلن قد انتقل نقلة واسعة باتجاه الموقف الاسرائيلي، حين بـــدأ يطرح للتساؤل ، عمن له حق شرعي في الضفة الغربية »، ولذا ، فقد اقترح الاميركيون وصاية اسرائيلية اردنية عليها مدة ثماني سنوات وذلك بلسان الوزير الامريكي فانس· والذي كان اقتراحه بدرجة او بأخرى الوجه الاخر لما كان قد اقترحه موشي ديان عـــن التقسيم الوظيفي في الضفة الغربية بين الاردن واسرائيل ·

كان يجب ان تتم زيارة السادات لاسرائيل ، تلك الزيـــارة التي أعطت لاسرائيـــل نتائج فورية لم تكن تحلم بها ، كانت قيمة الحدث بوقوعه ، مجرد وقوعه ·

كان يعني هذا ، ان حاجز العداء العربي قد خرق · الزيارة التي لم تكن تعني استعداد مصر للحل المنفرد ، فحسب ، بل اقفال اي طريق اخر امام السادات ، غير السير على طريق الاستسلام لطلبات اسرائيل · كان تراجعه يعني سقوطه ، لذا لم يعد من خـــوف لدى الاسرائيليين او الامريكيين بامكانية ان ينسحب السادات من التسوية · بعد ان فقد كل قدرة على التراجع او المناورة · واكثر من ذلك فقد حصلت اسرائيل منه على اعتراف بشرعية وجودها ، ليس على اساس الامر الواقع ، بل على اساس الحق التاريخـــي لليهود في فلسطين حين اشار في خطابه امام الكنيست الى « المبرر القانوني والاخلاقي لاقامة وطن قومي على ارض لم تكن كلها ملكا لكم » (٤٠) .

بعد ان وقعت تلك الزيارة ، بما ترتب عليها من نتائج ، بدأت اسرائيل ، مراعاة بعض الاعتبارات الشكلية ، قدر الامكان ، التي هي ضرورية لعملية التسوية الاسرائيلية ، لكنها لا تؤثر في النتائج النهائية المترتبة عليها ، وهي اعتبارات اثبتت التجربـــة ضرورتها اضافة الى ان الولايات المتحدة الامريكية تحرص عليها دائما · وهي اعتبارات تبدأ بطريقة صياغة المقترحات ، وتنتهي بمحاولة اظهار اسرائيـــل بمظهر المتنـــازل والمتساهل (!)

في هذه النقطة كان موقف بيغن ، ولاسباب عدة ، متناقض تماما مع موقف حكومات المعراخ ، القائمة على ما يعرف بسياسة « القضم التدريجي » وصولا الى ابتلاع كامـل المناطق الفلسطينية المحتلة سنة ١٩٦٧ · على العكس من ذلك ، فالمسألة بالنسبة لليكود تبدأ باعلان السيادة على الكل ، ومن ثم التنازل عن «بعض» هذه السيـــادة ، وبين السياستين فرق واضح جدا · ويقول اريئيل شارون عن هذه المسألة، حين سئل عن « معنى تنازل اسرائيل الذي تتحدث عنه» رد شارون قائلا « أي تنازل نقدمه يقولون لنا دائما ما الذي تتنازلون عنه ؟ انه شيء لم يكن لكم بالاساس ؟ وهذا اصل الخطأ السابق· فطيلة ثلاثين عاما لم تذكر الحكومة الاسرائيلية أو حتى المعارضة ، امر الضفة الغربية وغزة والقدس كأجزاء من اسرائيل احتلت عام ١٩٤٨ ··· لو اننا عملنا طيلة الاعوام الثلاثين على ترسيخ هذا الامر لكان أسهل بكثير على اسرائيل عرض مشروعها كتنازل ذا أبعاد كبيرة لتضحي فيه بما تملك ··· وهذه هي الحقيقة .» (٤١) .

## مشروع بيغن للحكم الذاتي

انطلاقا من هذه «الفلسفة» ومن كل الاعتبارات التي سبق الاشارة اليها تقدمت حكومة اليكود بمشروعها « لتشكيل حكم ذاتي اداري للضفة الغربية وقطاع غزة ، ويتكون المشروع من ٢٦ بندا ، ينص على «الغاء الحكم العسكري » وان «يقام في الضفة والقطاع حكم ذاتي اداري » و « ينتخب السكان مجلسا اداريا يتألف من ١١ عضوا مدة ولايته اربع سنوات ، مقره بيت لحم ، صلاحياته جميع المسائل الادارية ، ويعهد لشؤون الامن والنظام العام الى السلطات الاسرائيلية ، للسكان حق الاختيار الحر بين الجنسيتين الاسرائيلية والاردنية ، وللاول حقوق المواطنية الاسرائيلية من انتخاب وترشيح ، وتشكل لجنة من ممثلين عن اسرائيل والاردن والمجلس الاداري ، وتتخذ قرارات هذه اللجنة بالاجماع ، وخصوصا قراراتها بشأن الهجرة من الداخل للخارج ، تتمسك اسرائيل بحقها ومطلبها في السيادة على الضفة والقطاع ، ضمان حرية وصول ابناء جميع الديانات الى الاماكن المقدسة الخاصة بهم ، تخضع هذه المبادىء لاعادة النظر فيها بعد مدة خمس سنوات ٠

وفي تفسير من بيغن للبنود الاساسية لمشروعه أكد على بندين بدونهما « ليست هناك اهمية لمشروع الحكم الذاتي » ، وهما ١ ــ « يعهد بشؤون الامن والنظام العام في مناطق يهودا والسامرة وغزة الى السلطات الاسرائيلية » و « أن وجود جيش الدفاع الاسرائيلي أمر بديهي ، » والنقطة الثانية التي أكد عليها هي موضوع السيادة اذ قال « وفي البند ٢٤ جزمنا بالقول : تتمسك اسرائيل بحقها ومطلبها في السيادة على يهودا والسامرة وقطاع غزة ٠ ولعلمها بوجود مطالب اخرى فهي تقترح ــ من اجل الاتفاق والسلام ابقاء مسألة السيادة مفتوحة » (٤٢)٠

ان المشروع الذي تقدم به بيغن ، والذي يتكون من مجموعة بنود جوهرية ، واخرى اجرائية ، يتمسك بالموقف الاسرائيلي التقليدي تجاه المناطق الفلسطينية المحتلة سنة ١٩٦٧ ٠ وهو وان غير من «شكل» الحكم الاسرائيلي فانه قد حافظ على طبيعة هذا الحكم، فقد تضمن المشروع ست نقاط رئيسية : (١) قيام حكم اداري ذاتي (٢) تشكيل لجنة ثلاثية ، وبعضوية اسرائيل ، للبت بموضوع الهجرة للداخل وللنظر في القوانين المعمول بها ، وتتخذ القرارات بالاجماع ٠ أي أن لاسرائيل حق الفيتو ٠ (٣) حق اسرائيل بالتواجد العسكري حق بديهي ، (٤) شؤون الامن والنظام من صلاحيات اسرائيل ، (٥) حق اسرائيل بالاستيطان في المناطق المحتلة سنة ١٩٦٧ بالتملك في مناطق الاحتلال سنة ١٩٤٨ ، (٦) تتمسك اسرائيل بحقها في السيادة على الضفة والقطاع ٠

ماذا يعني ما تقدم ؟ انه يعني ببساطة شديدة تمسك اسرائيل بالنقطة الجوهرية ، الا وهي موضوع السيادة ، وما يتبعها من حق الاستيطان والتواجد العسكري ، وما تبقى من « تنازلات » فانها لا تؤثر على جوهر المخطط الاسرائيلي بل على العكس من ذلك ، فانها تسهل تنفيذه ، تحت غطاء جديد ، خصوصا اذا ما تذكرنا قول بيغن ، الذي وضع مسألة سيادة اسرائيل ، ومسئوليتها عن الامن والنظام ، وحق الفيتو المعطى لها ، بشأن الهجرة والقوانين المعمول بها ، باعتبارها عناصر ضرورية يصبح المشروع بدونها لاغيا ٠

## ردود الفعل على مشروع بيغن

واذا كان لا فرق، في الجوهر ، بين اطروحات الليكود والمعراخ ، فان اطروحات كليهما ، قبل حرب تشرين ، وما بعدها ، قبل المبادرة ، وما بعدها ، هي نفسها ·· وهي نفسها التي تحققت في مؤتمر « كامب ديفيد » · وقبل تناولنا لنتائج هذا المؤتمر ، ولكي تسهل علينا المقارنة ، لا بد من استعراض سريع لردود فعل اسرائيل ، مصر ، الولايات المتحدة ، على مشروع بيغن للحكم الذاتي ، وذلك خدمة لغرض المقارنة ، خصوصا وان تعليقات وتوضيحات المسؤولين الاسرائيليين ، هو في النهاية ، جزء من وجهة النظر الاسرائيلية وتعطي تفسيرا لاي غموض قد يحيط ببعض بنود مشروع الحكم الذاتي ·

### اسرائيليا :

تركزت الانتقادات الاسرائيلية لمشروع الحكم الذاتي حول نقطتين ، فقد تخوف اسحق رابين من « ان الحكم الذاتي ··· سيؤدي حتما الى ··· اقامة الدولة الفلسطينية » (٤٣) دون ان يوضح كيف ، والنقطة الثانية أشار اليها احد نواب ليكود في الكنيست الذي انتقد « الافكار التي يقترحها بيغن والتي ستنجم عنها اخطار كبيرة ··· اذ اقترح بيغن مراكز سكن يهودية في الضفة الغربية ومراكز سكن عربية في اسرائيل » وهذا برأيه سيؤدي الى« هجمة كثيفة من اللاجئين الذين سيقيمون قرب المدن الاسرائيلية الكبيرة» (٤٤) ولكن المسألة من وجهة نظر شموئيل كاتس ، الذي يوصف بأنه احد منظري اليمين الاسرائيلي ··· ومن الاشخاص القريبين من رئيس الوزراء ، مختلفة ، فمن رأي كاتس « يجب اعطاء الفلسطينيين العرب كل ما يرضيهم شرط عدم اثارة مسألة السيادة الاسرائيلية على كل اراضي-اسرائيل التي وردت في التوراة » (٤٥)·

ان تخوفات اسحق رابين ، لا تعني عدم موافقة حزب العمل الاسرائيلي على مشروع بيجن ، وأثر لقاء السادات بشمعون بيريس في النمسا ، صرح الاخير في مؤتمر صحفي عقده بحضور السادات : « ليس في اسرائيل الا حكومة واحدة رأيها يمثل الجميع· وان وجوده على رأس المعارضة لا يعني عدم التزامه كليا بكل مواقف حكومة مناحيم بيغن··· ان هذه الحكومة هي التي ستتولى السياسة الخارجية ولا خلاف معها حولها » (٤٦) ·

أما بشأن الحكم الذاتي وهل هو حل مؤقت ام دائم ، فقد اوضح دايان هذه المسألة بقوله « ان اقامة منطقة تتمتع بحكم ذاتي ، لن تكون جزءا من حل مؤقت وانما تشكل احد العناصر الاساسية لسلام شامل في الشرق الاوسط ··· ومن المؤكد انه يمكن مراجعة البنود المتعلقة بهذه المنطقة بعد خمس سنوات او مثل ذلك ، الا ان هذا لن يحدث من دون موافقة اسرائيل » (٤٧) ، ورغم هذا فقد « دعا موشي دايان الاردن مرة اخرى الى الاشتراك ··· في كل مفاوضات السلام » (٤٨) ·

وردا على خلط البعض بين «الحكم الذاتي» و « حق تقرير المصير » ، قطع مناحيم بيغن الشك باليقين بقوله « ليس للفلسطينيين العرب حق تقرير المصير كما يفهم من الاصطلاح في القانون والعرف الدوليين » (٤٩) معتبرا بذلك الفلسطينيين مثل « بضعة ملايين من المكسيكيين الاميركيين الذين يعيشون في الولايات المتحدة · ولا يطلبون انشاء دولة مكسيكية» (٥٠) ·

ولذا فقد اكد بيغن موقفه التقليدي ، رفض الانسحاب من الضفة الغربية ·· « حتى

ولو كان هذا يعني وقوف اسرائيل وحدها ضد الرأي العام الخارجي » (٥١) · ولكن بيغن ليس وحده ، فقد كانت معه الولايات المتحدة التي « توافق على بقاء القوات الاسرائيلية في الضفة بعد التوصل الى تسوية شاملة في المنطقة » (٥٢) ·

**مصريا :**

بعد حوالي ستة شهور من الاخذ والرد والنقاشات ، وردا على اسئلة امريكية وجهت للحكومة الاسرائيلية كان الموقف الاسرائيلي كما عبر عنه موشي دايان هو «مشروع الحكم الذاتي المحدود في الضفة الغربية وقطاع غزة · حل نهائي وليس لفترة انتقالية ولن تكون لاية دولة غير اسرائيل سيادة عليهما » (٥٣) · وفي حينه غضب عيزر وايزمان وخرج من اجتماع لمجلس الوزراء الاسرائيلي قائلا « انا ذاهب لاعداد قوتي للحرب »· واتضح فيما بعد ، انه قد اساء الظن بأنور السادات ، الذي كان يعد حقيبته للسفر الى كامب ديفيد ، للاستسلام الى طلبات مناحيم بيغن ، رغم ان الموقف المصري في البداية كان معترضا على بعض مقترحاته · متغاضيا عن البعض الاخر ، وفي بعض الاحيان « تقويل » المشروع ما لم يقله فقد ادعت صحيفة الاهرام « ان المشروع الاسرائيلي يضمن انهاء السيادة الاسرائيلية على الضفة الغربية وغزة ، ومنح شعبها حق الاختيار بين الجنسية الاسرائيلية والجنسية الاردنية بعد خمس سنوات واعتبار القوات الاسرائيلية في الضفة الغربية وغزة بمثابة قوات امن وليست قوات احتلال « ، واستطردت الاهرام قائلة ، وقد رفضت مصر ذلك تماما ورد الوفد المصري على ذلك بأنه « ليست هناك أراض عربية بلا سيادة وتمسك باسقاط السيادة الاسرائيلية عن الضفة الغربية وغزة بحيث تتبعه تلقائيا عودة السيادة للشعب الفلسطيني ، وانه لا مساومة على هذه النقطة » (٥٤) !

وأما أنور السادات فقد قال « ان مصر ضد وجود القوات الاسرائيلية في الضفة الغربية » (٥٥) · وتحدث الرئيس المصري عن نقطة خلافية اخرى الا وهي ان الاسرائيليين قد « اقترحوا حكما ذاتيا واقترحنا نحن حق تقرير المصير » (٥٦) · وأعاد السادات تكرار تأكيد موقفه ، الذي تراجع عنه في كامب ديفيد ، اذ صرح « ان مصر ضد وجود القوات الاسرائيلية في الضفة الغربية » (٥٧)·

وفي وقت لاحق ، وتعليقا من القاهرة على موقف اسرائيل الذي اعلنه موشي دايان ردا على الاسئلة الامريكية ، والذي كان « الحكم الذاتي حل دائم ، واسرائيل لن تتنازل عن سيادتها على الضفة » (٥٨) ، كان رد فعل القاهرة « اسف لاستمرار التعنت، وان الرد الاسرائيلي غير مقبول بالنسبة الى الفلسطينيين والعرب والرأي العام الدولي على السواء » (٥٩) ·

هذا الموقف « المتعنت « «غير المقبول » ، وضع على طاولة المفاوضات في مؤتمر كامب ديفيد ، والذي انتهى الى نجاح ، فماذا تم في كامب ديفيد ؟ هل تم تراجع ام استجابة للتعنت ؟

**بين كامب ديفيد ومشروع بيغن**

يمكن لنا ايجاز الموقف الاسرائيلي ، سواء كما ورد في مشروع بيغن للحكم الذاتي أو ما لحقه من توضيحات بثلاث نقاط رئيسية ، النقطة الاولى ، الموقف الاسرائيلي يقول

بسيادة اسرائيلية ولا تنازل ، بينما الموقف المصري يقول بسيادة الشعب الفلسطيني على الضفة والقطاع · النقطة الثانية ، الموقف الاسرائيلي ، كان يقول بوجود عسكري ، والموقف المصري كان ضد قوات اسرائيلية في الضفة الغربية ، والنقطة الثالثة حول الحكم الذاتي ، وكان رأي اسرائيل ان الحكم الذاتي ، هو حل دائم ، وفي اطار السيادة الاسرائيلية على الضفة الغربية وقطاع غزة ، في حين ان الموقف المصري لم يكن يرفض الحكم الذاتي فحسب ، بل يطالب بحق تقرير المصير للفلسطينيين ·

في ضوء هذه النقاط الثلاث ومشروع بيغن للحكم الذاتي ، والمشروع المصري الذي قدم لمؤتمر كامب ديفيد ، سوف نحاكم نتائج المؤتمر المذكور ، واين هي من الموقف الاسرائيلي ومن الموقف المصري ، رغم تهافته ؟

يتكون اي مشروع او اتفاق ما ، عادة من نقاط جوهرية ، واخرى تفصيلية ، ذات صفة تنفيذية محضة ، دورها تسهيل وضع المسائل الجوهرية موضع التطبيق العملي ، وفي حين لا تحتمل المسائل الجوهرية اي مجال للمرونة ، فان المسائل الاجرائية تحتمل امكانية كبيرة للمرونة او التبديل ، ذلك التبديل الذي لا يغير من الجوهر بشيء · وهذا الامر ينطبق على مشروع بيغن للحكم الذاتي ، وعلى اتفاق كامب ديفيد ·

اننا ونحن نجري مقارنة بين المشروع والاتفاق علينا ان نبقى مشدودين الى المسائل الجوهرية ، خصوصا وان هناك حملة اعلامية تحاول ان «تنفخ» بالشكليات بتبديل مواضع الجمل احيانا ، وادعاء امور لم تحدث ، احيانا اخرى « لتبرهن » على ان اتفاق كامب ديفيد مختلف عن مشروع بيغن للحكم الذاتي ·

في معرض تناولنا لمشروع الحكم الذاتي خلصنا الى وجود ثلاث نقاط خلافية حوله، بين مصر واسرائيل · الامر الثاني الذي لا بد من الاشارة اليه ، هو تحديد ما يمكن اعتباره جوهر الموقف الاسرائيلي · علق مناحيم بيغن على مشروعه للحكم الذاتي حين قدمه ، مؤكدا على البندين (١١) و (٢٤) منه معتبرا انه بدونهما ، ليست هناك اهمية لمشروعه ، والبند ( ١١) يقول « يعهد بشؤون الامن والنظام العام في مناطق يهودا والسامرة وغزة الى السلطات الاسرائيلية » · واما البند (٢٤) فينص على : « تتمسك اسرائيل بحقها ومطلبها في السيادة على يهودا والسامرة وقطاع غزة ولعلمها بوجود مطالب اخرى ، فهي تقترح ـ من اجل الاتفاق والسلام ـ ابقاء مسألة السيادة في تلك المناطق مفتوحة » (٦٠) والحكمة من وراء هذا الاقتراح واضحة ، وهي الفصل بين حصولها على السلام ، مقابل تنازلها عن المناطق المحتلة سنة ١٩٦٧ ، كما يقول القرار ٢٤٢ ، ومشروع بيغن يمكنها من الحصول على السلام الفوري ، دون ان يقترن هذا بتنازلها عن المناطق الفلسطينية المحتلة سنة ١٩٦٧ ·

ان قراءة متأنية لبنود اتفاق كامب ديفيد ، تبين لنا انها قد حققت لاسرائيل الاهداف الجوهرية لمشروع بيغن للحكم الذاتي ، فقد نص الاتفاق على « توفير حكم ذاتي كامل لسكان الضفة الغربية وغزة » وهو ما نصت عليه مقدمة مشروع بيغن ، والنقطة الثانية نصت على ان « الحكومة الاسرائيلية العسكرية وادارتها المدنية ستنسحبان منهما بمجرد ان يتم انتخاب سلطة حكم ذاتي من قبل السكان · » وهو ما نصت عليه المادة (٢) من مشروع بيغن » · وهنا محاولة تلاعب واضحة على الالفاظ ، لما لكلمة « انسحاب » من اغراء وقيمة دعاوية كبيرة ، خصوصا عندما يكون المعني بها « الحكومة الاسرائيلية العسكرية » ! علما بأن هذه الفقرة قد ضبطت ، من خلال فقرة اخرى واضحة وصريحة ولا تحتمل تفسيرين ·

فقد نص الاتفاق على بقاء القوات الاسرائيلية حين أشار الى « اعادة توزيع للقوات الاسرائيلية التي ستبقى في مواقع معينة » اعادة التوزيع هذه المحكومة بـ « ترتيبات لتأكيد الامن الداخلي والخارجي والنظام العام » وهذا ما يحقق البند الحادي عشر من مشروع بيغن للحكم الذاتي ، والذي اعتبره شرطا ضروريا ، دونه يصبح المشروع لاغيا · بالتأكيد فانها ليست عملية بريئة على الاطلاق ابراز بعض الجهات ، ووسائل الاعلام المشبوهة الفقرة الاولى عن « الانسحاب » دون الاشارة الى الفقرة الثانية القائلة باستمرار الوجود العسكري الاسرائيلي والذي « سيعاد توزيعه » في الضفة والقطاع طبعا !·

« ولمناقشة تفاصيل **الترتيبات الانتقالية** فان حكومة الاردن ستكون مدعوة الى الانضمام الى المحادثات على اساس هذا الاطار ، وهنا يتضح حجم دور الاردن ، والترتيبات المشار اليها محددة بـ « مبدأ حكم الذات لسكان هذه الاراضي ، ولاهتمامات الامن الشرعية لكل من الاطراف التي يشملها النزاع » اي ان سقف الحكم الذاتي هو « الامن الاسرائيلي » ·

كما نص الاتفاق على « ان تتفق مصر واسرائيل والاردن على وسائل اقامة سلطة الحكم الذاتي المنتخبة وقد تضم وفدا يضم مصر والاردن ووفدا من الفلسطينيين من الضفة الغربية وقطاع غزة او فلسطينيين آخرين ، وفقا لما يتفق عليه » · ويلاحظ في هذه النقطة الاتفاق على «وسائل» اضافة الى تعبير « وفقا لما يتفق عليه » اي ان المسائل تحل بالاتفاق ، الامر الذي يعطى لاسرائيل حق الفيتو فيما لو رفضت ·

كما نص الاتفاق على « تشكيل قوة بوليس محلية قوية قد تضم مواطنين اردنيين » ، وهو ما قد اشار اليه البند العاشر من مشروع بيغن حين اشار الى « قوة شرطة محلية» · الجديد في اتفاق كمب دافيد هو اضافة صفة ( قوية ) الى قوة الشرطة (!) اضافة الى احتمال اشتراك « مواطنين اردنيين » في هذه القوة ، وهذا التعبير وان اتى عرضا ، لكنه يحمل معان ذات دلالة ، لانه يفرق بين مواطنين اردنيين ، ومواطنين غير اردنيين وبالتأكيد فان المقصود بهؤلاء ليس الاسرائيليين ، والمقصود بهم مواطني الضفة والقطاع، وهي محاولة اسرائيلية لالغاء صفة « المواطنية الاردنية » عن اهالي الضفة ، واستطرادا الغاء شرعية اردنية لصالح شرعية اسرائيلية في النهاية · وهي المسألة التي توضحها الفقرة التالية من اتفاق كامب ديفيد والتي نصت على ان « تشترك القوات الاسرائيلية في دوريات مشتركة وفي تقديم الافراد لتشكيل مراكز مراقبة لضمان أمن الحدود » وهي فقرة ــ فكرة مركبة ، ظاهرها محاولة توريط الاردن في عمل أمني مشترك ، وهي مسألة خطيرة ، ولكن الاخطر ، اشتراكهما في « ضمان أمن الحدود » ، وهنا التساؤل اي حدود ؟ وهل هي محاولة انتزاع اعتراف ضمني من الاردن بأن حدوده تقف عند حدود الضفة الشرقية مع الضفة الغربية ؟ وبالتأكيد فان هذا ما قصده اتفاق كامب ديفيد من وراء ايراده هذه النقطة ، وقد اشار اليها هارولد ساوندرز مساعد وزير الخارجية الامريكي لشؤون الشرق الادنى ، الذي قال « ان اطار كامب ديفيد يدعو الاردن الى ان يكون طرفا لاننا كنا نشعر هناك بأن من الاهمية بمكان ان يكون الفريق المجاور الاخر للمناطق التي هي موضع البحث طرفا في هذه المفاوضات » (٦١) أي ان حدود علاقة الاردن بالمسألة هي « الجيرة » ليس الا ؟ وهذه النقطة تحقق لاسرائيل البند ( ٢٤ ) من مشروع بيغن القائل بـ « ابقاء مسألة السيادة في تلك المناطق مفتوحة » وهنا وان لم يتمكن بيغن من اخذ موافقة على «سيادة اسرائيلية » لكنه ، نزع « سيادة اردنية » عن الضفة الغربية ، كخطوة ، على طريق تكريس السيادة الاسرائيلية · نشير الى هذا ليس دفاعا عن السيادة الاردنية ، بل لان محاولة نفي هذه السيادة ، هي لصالح

الاسرائيليين وليس لصالح الممثل الشرعي الوحيد ، للشعب الفلسطيني ، منظمة التحرير الفلسطينية ٠

لقد ابقى اتفاق كامب ديفيد « مسألة السيادة » مسألة مفتوحة ، حين اشار الى انه « بحلول نهاية الفترة الانتقالية ٠٠٠ ستجري المفاوضات لتحديد الوضع النهائي للضفة الغربية وغزة ٠٠٠ »

وثمة مسألة اخرى اشار اليها اتفاق كامب ديفيد وتخدم بدورها غرضا مزدوجا ، ومتناقضا ، الا وهي الحديث عن « اتاحة الفرصة للممثلين المنتخبين من السكان في الضفة الغربية وغزة لتحديد الكيفية التي سيحكمون بها انفسهم تمشيا مع نصوص الاتفاق » وهو حديث اقترن باشارات متعددة الى مفاوضات بين اسرائيل ومصر والاردن والممثلين المنتخبين لسكان الضفة الغربية وغزة » ٠ ظاهر الحديث ، يبدو ، وكأن استفتاء ديموقراطيا سيجري ، وان سكان الضفة الغربية وقطاع غزة سيقررون مصيرهم، ولكن واقع الامر ، ان حدود دور « الممثلين المنتخبين » هو « تحديد الكيفية التي سيحكمون بها انفسهم تمشيا مع نصوص الاتفاق » ، و «الاتفاق ». المشار اليه ليس « اتفاق » كامب ديفيد ، بل « الاتفاق » الذي سيجري بين اسرائيل والاردن ومصر والممثلين المنتخبين لسكان الضفة الغربية وقطاع غزة « اي انه لن يعرض « اتفاق » لا ينال رضى اسرائيل ، وبالتالي فلن يقدم للنقاش الا ما توافق عليه اسرائيل الامر الذي يبين حدود ما دعاه اتفاق كامب ديفيد « اتاحة الفرصة للممثلين المنتخبين ٠٠٠ الخ ٠» وهي المسألة التي اوضحها موشي دايان بعد حوالي اسبوعين من اعلان بيغن ، حيث طمأن بعض المتخوفين في الاوساط الاسرائيلية بقوله « من المؤكد انه يمكن مراجعة البنود المتعلقة بهذه المنطقة ـ الضفة والقطاع ـ بعد خمس سنوات او قبل ذلك الا ان هذا لن يحدث من دون موافقة اسرائيل » (٦٢)٠

وقد اوضح اتفاق كامب ديفيد الغرض من وراء تشكيل « قوة بوليس قوية » حين اشار الى انه «سيتم اتخاذ كل الاجراءات والتدابير الضرورية لضمان امن اسرائيل وجيرانها خلال الفترة الانتقالية وما بعدها ٠ وللمساعدة على توفير مثل هذا الامن ستقوم سلطة الحكم الذاتي بتشكيل قوة قوية من الشرطة المحلية » ٠

ونظرا لان هنالك من تخوف من تدفق اللاجئين الفلسطينيين الى « منطقة الحكم الذاتي » اشار الاتفاق الى تشكيل لجنة من « ممثلي مصر واسرائيل والاردن ٠٠٠ تقرر باتفاق الاطراف صلاحيات السماح بعودة الافراد الذين طردوا من الضفة الغربية وغزة في سنة ١٩٦٧ ٠٠٠ »

ان ما تقدم يشير الى ان اتفاق كامب ديفيد ، قد اعاد صياغة افكار ومقترحات مناحيم بيغن ، محققا بذلك مقترحاته التي تضمنها مشروعه للحكم الذاتي ، وبالتجديد على صعيدي السيادة، والوجود العسكري في الضفة الغربية وقطاع غزة ٠ اضافة الى عدم تناول مسألة القدس ، باعتبارها خارج النقاش ، وانها عاصمة لدولة اسرائيل ! وقد قال المسؤولون الاسرائيليون كلاما واضحا ودقيقا يوضح تفسيرهم للاتفاق المذكور توضيح، هو من الاهمية بمكان ، خصوصا وانه يشير الى الصيغة التي ستلزم بها اسرائيل في المستقبل ، والتي لن تخرج عن التفسير الاسرائيلي لاتفاق كامب ديفيد ، وهنا ابرز المسائل :

١ ـ حول القدس ، والتي لم يتناولها الاتفاق ، ولم تطرح اساسا للنقاش ، كسر

المسئولون الاسرائيليون موقفهم المعلن ، والمعروف « القدس موحدة ، وعاصمة لدولة اسرائيل » ، وحسب تعبير مناحيم بيغن « لن يرفرف بعد الان اي علم عربي فوق القدس، الا اذا كان هذا العلم فوق سفارة عربية » (٦٣) ٠

٢ ـ المسألة الثانية هي موضوع الوجود العسكري في الضفة والقطاع ، بعد فترة الخمس سنوات ٠ هنا ايضا كان لبيغن موقف واضح ، فقد صرح قائلا : « اذا كان هنالك من يقول ان قواتنا ستبقى في يهودا والسامرة وقطاع غزة لمدة خمس سنوات ، فانني اعلن انها ستبقى بعد السنوات الخمس » (٦٤) ٠

٣ ـ اما بشأن موضوع الاستيطان في الضفة الغربية وقطاع غزة ، فلم يمل الخمس سنوات ٠ هنا ايضا كان لبيغن موقفا واضحا ، فقد صرح قائلا « اذا كان هنالك المسؤولون الاسرائيليون من التأكيد على ان تجميد الاستيطان هو لمدة ثلاثة اشهر فقط ، وهي الفترة التي من المتوقع ان يستغرقها انجاز الاتفاق مع مصر (٦٥)٠ ولكن هذا التعهد المؤقت ، تم التراجع عنه لاحقا ، ففي حين كانت الانباء تتحدث من اوسلو عن منح بيغن والسادات جائزة نوبل مناصفة ، كان رئيس وزراء العدو يعلن في مهرجان في تل ابيب « بأن اسرائيل لن تتخلى عن حقها الثابت » في الاستيطان » وان للشعب اليهودي حقا لا يتزعزع في الاستيطان في اي مكان ضمن ارض اسرائيل في الضفة الغربية وقطاع غزة » وكان بذلك يرد على الولايات المتحدة الاميركية التي كان سفيرها بتل ابيب قد سلم مناحيم بيغن رسالة من الرئيس كارتر صيغت بلهجة « حازمة جدا » اعرب فيها عن «قلق شديد » من خطة الاستيطان الجديدة » وتعبيرا عن « الحزم » و «القلق » و «الاستياء الامريكي » من قرار تل ابيب توسيع مستوطناتها ٠٠٠ اكد الناطق الرسمي باسم البيت الابيض بأن الرئيس الامريكي ٠٠٠ لن يقابل بيغن » (٦٦) كان ذلك يوم ١٩٧٨/١١/١ ، ولكن يوم ١٩٧٨/١١/٢ كانت الانباء تتحدث عن ان « كارتر اجتمع برئيس الوزراء الاسرائيلي » والمبادرة كانت من الرئيس الاميركي « الحازم » و « القلق » فقد «اعلن مصدر رسمي ان الرئيس كارتر دعا بيغن الى مقابلته وذلك خلافا لما كان متوقعا » واياكم وسوء الظن بالرئيس الامريكي فـ «المقابلة تهدف فقط (!) الى اظهار ان لا فتور بين الرجلين، وعلم ان قرار المقابلة اتخذ في اللحظة الاخيرة» (٦٧)٠

٤ ـ ادانة حيازة الارض بالقوة ، وقد قال بيغن بشأن هذه المسألة انه خلال القمة بذل كارتر والسادات ضغوطا قوية لكي يوقع وثيقة يدين فيها حيازة الاراضي بالقوة٠ ٠٠ لكنا رفضنا توقيعنا على هذه الكلمات ٠٠٠ وقد كسبت الجولة في النهاية » (٦٨)٠

٥ ـ تجنبا لان يساء فهم بعض التعابير فقد اوضحت اسرائيل موقفها ، فالضفة الغربية الواردة في الوثيقة هي بالنسبة لاسرائيل « اليهودية والسامرة » والشعب الفلسطيني هم « عرب أرض اسرائيل » ومن هنا فقد أوضح مفهومه « لتعبير » الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني ومتطلباته العادلة بأنه « اعتراف بحقوق عرب اسرائيل التي طالما اعترفت بها » (٦٩) ٠

رغم ان اسرائيل قد تعودت على الشكوى الدائمة ، ومن كل شيء ، ولكنها المرة الثانية في العقد الاخير التي ترقص بها اسرائيل في الشوارع ، الاولى كانت سنة ١٩٦٧ ، والانتصار الاسرائيلي الذي تحقق ٠ والثانية بعد كامب ديفيد ، حيث تكرس لاسرائيل انتصارها الذي بدأ سنة ١٩٦٧ ٠ رقص سيستمر طول الليل ٠ هذا ما اعلنه محافظ القدس ٠ فرح الجميع ، قاعدة وقيادة ، فرح رئيس دولة اسرائيل، خرج عن وقاره ، وهو يصف ساعة الاتفاق بأنها لحظة الحقيقة التي تحدثنا عنها كثيرا ٠٠ هذا يوم تاريخي ٠٠ ساعة عظيمة وانجاز كبير ٠٠ ساعة عظيمة في تاريخنا ٠٠ (٧١) ٠ وأما « حركة السلام

الان » وهي التي طالما احتجت على بيغن فقد قال زعماؤها انهم سيستقبلون بيغن استقبال الظافرين » (٧٢) ٠

ولان اسرائيل حققت ما تريد ، صوت الكنيست بالموافقة ، وبأغلبية كبيرة على اتفاق كامب ديفيد ، ولانها « ساعة عظيمة » ، اختلطت اوراق المعارضة بالحكومة ، و « كأنه لم تعد هنالك معارضة ، ولم يعد هناك ائتلاف » (٧٣) ٠

لم يكن امام الرئيس المصري لتغطية تخاذله وخيانته سوى الكذب مدعيا « لقدحصلت على ما اردت » مبشرا عرب الضفة والقطاع بـ « أن الليل الطويل على وشك ان ينجلي والفجر المشرق سيطلع عليكم» (٧٤)٠ وحبس المسؤولون الاسرائيليون انفاسهم وهم يسمعون السادات وادعاءاته ٠ اكثر المتفهمين لظروف السادات كان مناحيم بيغن الذي « لا يريد الاساءة الى مشاعر لسنا معنين بالاساءة اليها ٠ ومن المحتمل ان يجري استغلال هذه الامور ضد الرئيس السادات ونحن غير معنين بذلك » (٧٥) ٠ وبالتأكيد فان المسألة لم تكن مسألة مشاعر السادات بل حرصا على مصلحة اسرائيل ، لانه اذا كان السادات قد نسي التاريخ ، فالاسرائيليون لم ينسوه ٠ لقد تذكروا حاكما مصريا اخر هو اسماعيل صدقي رئيس وزراء مصر سنة ١٩٤٦ الذي اجرى مفاوضات مع بريطانيا بشأن قناة السويس وموضوع السودان ، ولم يحقق شيئا ، واراد اسماعيل صدقي ان يصنع من نفسه بطلا و « عاد الى مصر وبشر الشعب بأنهاء المشكلة الكبيرة التي استمرت ٦٠ سنة » ٠ ولكن لم تمض ايام الا وتكشفت الحقيقة ، فكانت ، حسب رأي البروفسور شمعون شمير ، من جامعة تل ابيب ، « فضيحة مخجلة في التاريخ المصري ولم يجد اسماعيل صدقي امامه من طريق سوى الاستقالة » (٧٦) ٠ ولقد بدأت الحقيقة تصل الى الناس ، رغم عمليات القمع والتنكيل وتعطيل الحريات ، فكان هنالك من صرخ بوجه السادات في مجلس الشعب المصري متهما اياه « بتوقيع اتفاقية ضد مصالح الشعب المصري » (٧٧) ٠ وقال الاعضاء القدامى في مجلس قيادة الثورة كلمتهم عبر مذكرة وجهوها للسادات قالوا فيها ان « اتفاقات كامب ديفيد تتبنى مشاريع بيغن ولا تقيم سلاما وتتناقض مع تاريخ مصر » (٧٨) ٠ وقالت المنظمات الحزبية ، من اقصى اليمين الى اقصى اليسار كلمتها ، واستقال وزير الخارجية المصري ، وتململ الجيش ، فاقيلت قيادته ٠٠٠ وعين قيادة جديدة أوكل لها مهمة السفر الى واشنطن ، لاستكمال تنفيذ ما بدأته يداه في كامب ديفيد ، وما زالت مصر تتمخض ويدور في احشائها الشيء الكثير ٠

ان اثار اتفاق كامب ديفيد ، ستبقى ولدى ليس بقصير ذات اهمية كبرى وستترك بصماتها على الصراع العربي ـ الاسرائيلي ٠ واخراج مصر من حلبة الصراع ، وعقدها للصلح ، واقامتها لعلاقات طبيعية مع اسرائيل ، سيوفر للاخيرة ، الظروف الموضوعية المناسبة التي ستمكنها من ان تجعل الترجمة العملية الوحيدة « لمشروع الحكم الذاتي » هو ابتلاع الضفة الغربية وقطاع غزة ٠ وهي المسألة التي لا تخضع لاعتبارات ايديولوجية صهيونية ، بل تقف في طريقها مصلحة صهيونية ايضا ، لان اسرائيل حريصة على ان تدمج المناطق بأقل ثمن ممكن ، وبأدنى حد من الخطورة قد يحمله المستقبل ٠ وما كان قد قاله يجال الون من « الحد الاقصى من الارض والحد الادنى من السكان » لم يكن رأيا شخصيا ، بل رأيا صهيونيا ، لا يستطيع حتى بيغن الا مراعاته ٠ وهو الامر الذي ستؤمنه لبيغن اتفاقية كامب ديفيد بنصوصها المعلنة ، او بالظروف الموضوعية التي ستؤدي الى خلقها ٠

## الحواشي

(١) الجنرال بيرنز ، **بين العـــرب واسرائيل** ، لندن ، ١٩٦٢ ، ص ١٨١ ٠

(٢) **مشاريع التسوية الاســرائيلية** ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، بيــروت ١٩٧٨ ، ص ٦٧ ٠

(٣) **المصدر نفسه** ، ص ٦٧ ، ص ٦٨ ٠

(٤) **المصدر نفسه** ، ص ٥٥ ، ص ٥٦ ٠

(٥) **المصدر نفسه** ، ص ٧٠ ٠

(٦) **المصدر نفسه** ، ص ٥٩ ٠

(٧) جميع الفقرات الخاصة بوثيقــة جاليلي والنقاشات التي جرت حولــه ، مأخوذة من « يديعوت أحرونوت » موجودة في « كتاب مشاريع التسوية » ، **مصــدر سبق ذكره** ، ص ٧٧ ـ ١١٨ ٠

(٨) **عل همشــمار** ، ١٩٧٣/٩/١٦ ، ذكرها كتاب مشاريع التسوية ، ص ١١٧ ٠

(٩) **المصدر نفسه** ، ص ١١٧ ، عــن ملحق عل همشمار ، ٧٣/٨/٢٤ ٠

(١٠) **المصدر نفسه** ، ص ١١٨ ، عــن معاريف ، تاريخ ١٩٧٣/٨/١٠ ٠

(١١) جميع الفقرات المحصورة بأقواس، مقتبسة من « مشاريع التسوية » ، **مصدر سبق ذكره** ، ص ٨٧ ـ ١١٨ ٠

(١٢) **هآرتس** ، ١٩٧٣/١٢/٧ ٠

(١٣) **هآرتس** ، ١٩٧٣/١١/٣٠ ٠

(١٤) **ر١٠١٠** ، ١٩٧٨/٩/٢٨ ٠

(١٥) **المصدر نفسه** ٠

(١٦) مشاريع التسوية ، **مصدر ســبق** ذكره ، ص ٦٦ ٠

(١٧) **السفير** ، ١٩٧٧/٥/٣١ ٠

(١٨) **المصدر نفسه** ، ١٩٧٧/٧/٣ ٠

(١٩) **المصدر نفسه** ، ١٩٧٧/٦/١٩ ٠

(٢٠) **النهار** ، ١٩٧٨/١/٨ ٠

(٢١) **السفير** ، ١٩٧٧/٦/١٩ ٠

(٢٢) **ر١٠١٠** ، العدد ١١٥٥ ٠

(٢٣) **المصدر نفسه** ٠

(٢٤) **النهار** ، ١٩٧٧/٧/٩ ٠

(٢٥) **المصدر نفسه** ٠

(٢٦) **المصدر نفسه** ، ١٩٧٧/٧/١٢ ٠

(٢٧) **المصدر نفسه** ، ١٩٧٧/٧/١٦ ٠

(٢٨) **السفير** ، ١٩٧٧/٧/٢٥ ٠

(٢٩) **النهار** ، ١٩٧٧/٧/٢٩ ٠

(٣٠) **المصدر نفسه** ، ١٩٧٧/٨/٨ ٠

(٣١) **السفير** ، ١٩٧٧/٧/٣١ ٠

(٣٢) **النهار** ، ١٩٧٧/٨/٨ ٠

(٣٣) **السفير** ، ١٩٧٧/٨/٢٠ ٠

(٣٤) **المصدر نفسه** ٠

(٣٥) **النهار** ، ١٩٧٧/٨/٢٠ ٠

(٣٦) **المصدر نفسه** ، ١٩٧٧/٨/١٤ ٠

(٣٧) **المصدر نفسه** ٠

(٣٨) **المصدر نفسه** ٠

(٣٩) بين العرب واسرائيل **مصــدر سبق ذكره** ٠

(٤٠) نص الخطــاب فــي **شــؤون فلسطينية** ، بيروت ، مركز الابحاث ، العدد المزدوج ٧٤/٧٥ ، ص ٣٤١ ٠

(٤١) **هآرتس** ، ١٩٧٨/٧/١٤ ، ترجمة غير منشورة ، محفوظات مركز التخطيط ـ منظمة التحرير الفلسطينية ٠

(٤٢) مشاريع التسوية ، **مصدر ســبق** ذكره ، ص، ١٤ ـ ١٨ ٠

(٤٣) **النهار** ، ١٩٧٧/١٢/٢٠ ٠

(٤٤) **المصدر نفسه** ٠

(٤٥) **المصدر نفسه** ٠

(٤٦) **السفير** ، ١٩٧٨/٢/١٢ ٠

(٤٧) **النهار** ، ١٩٧٧/١٢/٣١ ٠

(٤٨) **السفير** ، ١٩٧٧/١٢/٣١ ٠

(٤٩) **النهار** ، ١٩٧٨/١/٥ ٠

(٥٠) **المصدر نفسه** ٠

(٥١) **السفير** ، ١٩٧٨/٣/٩ ٠
(٥٢) **المصدر نفسه** ، ١٩٧٨/٣/٣٠ ٠
(٥٣) **المصدر نفسه** ، ١٩٧٨/٦/٢٠ ٠
(٥٤) **المصدر نفسه** ، ١٩٧٧/١٢/٢٩ ٠
(٥٥) **المصدر نفسه** ٠
(٥٦) **النهار** ، ١٩٧٧/١٢/٢٩ ٠
(٥٧) **المصدر نفسه** ٠
(٥٨) **السفير** ، ١٩٧٨/٦/٢٠ ٠
(٥٩) **النهار** ، ١٩٧٨/٦/٢٠ ٠
(٦٠) مشروع بيغن للحكم الذاتي ، « مشاريع التسوية » **مصدر سبق ذكره** ، ص ١٧ ـ ١٨ ٠
(٦١) **النهار** ، ١٩٧٨/١٠/١٧ ٠
(٦٢) **المصدر نفسه** ، ١٩٧٧/١٢/٣١ ٠
(٦٣) **السفير** ، ١٩٧٨/٩/٢٢ ٠
(٦٤) **المصدر نفسه** ٠
(٦٥) **المصدر نفسه** ٠
(٦٦) **النهار** ، ١٩٧٨/١٠/١٢ ٠
(٦٧) **النهار** ، ١٩٧٨/١١/٣ ٠
(٦٨) **السفير** ، ١٩٧٨/٩/٢٢ ٠
(٦٩) **المصدر نفسه** ، ١٩٧٨/٩/٢١ ٠
(٧٠) **المصدر نفسه** ، ١٩٧٨/٩/١٩ ٠
(٧١) ر١٠١٠ ، العدد ١٥٨٧ ٠
(٧٢) **السفير** ، ١٩٧٨/٩/١٩ ٠
(٧٣) ر١٠١٠ ، العدد ١٥٩٤ ٠
(٧٤) **السفير** ، ١٩٧٨/٩/١٩ ٠
(٧٥) ر١٠١٠ ، العدد ١٥٨٧ ٠
(٧٦) **المصدر نفسه** ٠ راجع ايضا : طارق البشري ، **الحركة السياسية في مصر ١٩٤٥ ـ ١٩٥٢** ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٢ ٠ ص ١١٦ ـ ١٣١ ٠ الفصل الخاص بمفاوضات صدقي ـ بيفن ٠
(٧٧) **السفير** ، ١٩٧٨/١٠/٣ ٠
(٧٨) **المصدر نفسه** ، ١٩٧٨/١٠/٨ ٠

نـرنيـه قـوره

# أي حكـم ذاتي؟

في عام ١٩٤٧ ، كان ثمة سبع دول في وطن العرب ، وكانت دولا مستقلة ، يتجسد دليل استقلالها في كونها اعضاء داخل هيئة الامم المتحدة ٠

كانت القوة العسكرية الحاسمة ، في اربع من هذه الدول ، تتمثل في القوات العسكرية الاجنبية ، التي كان هدفها المعلن حماية هذه البلدان من الغـــزو السوفياتي٠ وكانت اثنتان ، من بينها ، تعتمدان في بقاء الهيئة الحاكمة فيهمـا كما تعتمدان في مصروفهما اليومي على رضا وكرم شركات النفط العاملة فـي اراضيهما ٠ وفي واحدة اخرى ، كان امير الهيئة الحاكمة لا يملك تحديد حجم مخصصه الشهري ٠ وفي أخرى كان كل ما يجري خارج حدودها لا يعنيها ٠ واخرى اتخذت من التوازن والحياد عقيدة ، واي خروج عن التوازن والحياد يجر الهلاك الفوري ٠

في ظل هذه الاوضاع جاء مشروع تقسيم فلسطين ٠ وفي فلسطين كـان قد حدث تطوران في الفترة الممتـــدة بين عامي ١٩١٧ و ١٩٤٧ ٠ ازداد عـــدد السكان اليهود ، بفعل الهجرة اساسا ، من ٥٠ الفا ، في بداية الفترة ، الـى نحو ٦٥٠ الفا في نهايتها ٠ وفي الفترة نفسها ، ازداد عدد العرب من نحـــو ٦٠٠ الف الى ما يقرب من ١ر٤ مليون نسمة وامتلك اليهود في نهاية هذه الفترة ما يقرب من ٥٪ من مجموع اراضي فلسطين ٠ وفي مشروع التقسيم قـــررت اللجنة الدولية ، التي اعدت المشروع ، منح اكثر من ثلثي اراضي فلسطيـــن للدولة اليهودية ، التي سوف يتألف سكانها من عرب ويهود يتواجدون بأعداد متقاربة ٠ أما الدولة العربية في فلسطين فقد ضمت الاراضي التي لا يعيـش فيهـا اليهود ٠

لم يكن قبول المشروع ممكنا بالنسبة الى السكان العـــرب في فلسطين · فالاراضي الخصبة ، ومئـات الالـوف مـن العرب ، كـان مصيرهـم ، بموجب مشروع التقسيم ، خاضعا لمقتضيات واحتياجات السلطة الصهيونية البحتة · وعدم امكانية قبول مشروع التقسيم كان واضحا وضوحا تاما لدى واضعـي مشروع التقسيم ·

الامر الذي لم يلق ما يستحق من عناية هو ان القيادات الصهيونية ، كلها، كانت ترفض مشروع التقسيم أيضا · فالدولة اليهودية التي كان مستقبلهـا مرهونا باستقبال مئات الالوف من المهاجرين اليهود ، لم تكن تستطيع تحقيـق هذا الهدف في ظل شروط مشروع التقسيم · فوجود مئات الالوف من العـرب الذين يمتلكون القسم الرئيسي من الاراضي داخل حدود الدولة اليهودية كـان يشكل عائقا يستحيل تجاوزه في وجه نمو الدولة اليهودية سواء من الناحيـة السكانية او من الناحية الاقتصادية او من الناحية العسكرية · مستلزمات وجود وبقاء المشروع الصهيوني كانت مرهونة بتحقيق الشعار القائل : « ارض بـلا شعب لشعب بلا ارض » · أما مشروع التقسيم ، اذا اخذ بحرفيتـه ، واذا تناسينا النيات المبيتة ، فقد كان يتعارض مع الضرورات الاولية لتحقيق المشروع الصهيوني ·

في المعسكر الصهيوني كانت هناك سياستان ، والسياستان لا تقعان ضمـن مجال « تحديد الاهداف » بمقدار ما تقعان ضمن مجال « العلاقات العامة » · سياسة تقوم على الاعلان عن الهدف الصهيوني وعن الاجزاءات الضروريـة لتحقيقه : الحدود النهائية التي تضم بالاضافة الى فلسطين ، جنوبي لبنان حتى الليطاني وحوران وشرقي الاردن حتى الخط الحجازي ، افهام العرب ضرورة مغادرة اراضي الدولة اليهودية ، سواء بالبيع والشراء ، او بالقوة المسلحة ، وذلك بالاضافة الى التفاوض العلني مع الدول التي تمتلك طوائف يهودية لطرد هذه الطوائف وترحيلها الى فلسطين عنوة ، ان لم تـأت اعـداد كافيـة منهـا اختيارا ·

أما السياسة الاخرى فكانت تتعمد تجنب استعمال كلمة « دولـة يهودية » وتستبدلها بعبارة « وطن قومي لليهود في فلسطين » او بعبارة كومنولث يهودي في فلسطين · وفي الحالتين الاخيرتين يستطيع القائد الصهيوني ان ينفـي النية في طرد العرب او احتلال اراضيهم · وما دامت هذه المدرسة الصهيونية قد نجحت في تجنب استخدام عبارة « دولة يهودية » فأنها تعفي نفسها من رسم حدود لهذه الدولة · وما دامت لم ترسم الحدود فأنها تنجح في عدم اعطـاء فكرة واضحة عن عدد اليهود اللازم لملء هذه الدولة وتلبية احتياجاتها السكانية · وبالتالي فأنها تطمئن اليهود غير الراغبين في الهجرة بأنهـا لا تتآمر مـع حكومات البلدان التي يعيشون فيها لطردهم وترحيلهم الى فلسطين ·

كانت المدرسة الثانية هي الاقدر على قيادة الحركة الصهيونية ، سواء خلال عهد الانتداب او في الفترة التي تلت اعلان الدولة ٠

مشروع التقسيم لم يكن يرضي طموحات اي من المدرستين ٠ ولكن الطريقة التي يتم بها رفضه وافشاله تحدد مستقبل الدولة اليهودية في المنطقة ٠ الحركة الصهيونية لم تكن تملك وسيلة لرفض مشروع التقسيم في عام ١٩٤٧ ٠ ولكنها لم تكن مضطرة لذلك ٠ فالحل ، كما هو الحال دائما مع الحركة الصهيونية ، يأتي من الخارج ٠ وأي شيء أفضل من أن يأتي الرفض من الممثلين الرسميين للهيئات الحاكمة في وطن العرب ؟ رفض الفلسطينيين لم يكن كافيا ٠ فهذا الرفض منطقي وطبيعي ومبرر ٠ وفي حد ذاته يعبر عن رغبات الجماهير الفلسطينية ، وفي نفس الوقت يشكل عملية دفاع مشروع عن الذات ٠ والرفض الفلسطيني لا يخدم الصهيونية ولا يخدم بالتالي مشروعات الولايات المتحدة الاميركية ، ولا بريطانيا التي لم تعد دولة عظمى بعد الحرب العالمية الثانية ٠

الرفض الفلسطيني رفض حقيقي ، وهو ، لانه حقيقي ، يتجسد فورا في جهد تنظيمي وعسكري منصب على آلة الحرب الصهيونية ٠ وفي عام ١٩٤٧ كان الرفض الفلسطيني قادرا على اقتحام المستعمرات اليهودية وخوض معارك ناجحة واحراز انتصارات حقيقية ، يعترف بها المؤرخون الصهيونيون ٠

الرفض الفلسطيني ، في عام ١٩٤٧ ، المسلح بكل حوافز الدفاع عن الذات وعن البيت ، وعن الشجر وعن الارض وعن الاطفال وعن النساء ، حتى مع نقص السلاح ، كان قادرا على امتلاك عوامل القوة ، وكان قادرا على تحديد الاهداف ، وكان بالتالي قادرا على ان يصنع سياسة وان يناور وان يخاتل وان يضعف جبهة العدو الصهيوني وان يجرد العدو الانجلو ـ سكسوني من اثواب البراءة والحياد ٠ كان قادرا ، اذا مالت كفة الحرب ضده ، ان يتراجع ، وكان قادرا ، اذا مالت كفة الحرب معه ان يتقدم ٠ كان قادرا ان يخلي موقعا ليصون مواقع ٠

ولم تكن الامبريالية العالمية قادرة على ان تشن هجمة امبريالية شرسة ضد قرى الفلاحين الفلسطينيين ، وضد فقراء يافا ٠ الفلاحون الفلسطينيون وفقراء يافا لم يكونوا يملكون أية وسيلة للاعلام ، لا اذاعة ولا جرائد ، ولا حتى آلة ستانسل للمنشورات السرية ٠ كانت هناك وسيلة وحيدة لرفض الاغتصاب الصهيوني : السهر مع البندقية خلف شباك الدار ٠

لاخضاع الرفض الفلسطيني كان لا بد من تلويثه : وهكذا اعلن حكام البلدان العربية المستقلة السبع رفضهم لمشروع التقسيم ٠ فضاع رفض الفلاحين وسط ضجيج الاذاعات ٠ وبات امير شرقي الاردن ، الذي لم يكن يملك تحديد مخصصه الشهري من موازنة الجيش البريطاني ، ولي امير جيوش العرب التي دخلت

فلسطين « لتمنع التقسيم بالقوة » · وبات هذا الامير ، نفسه ، هو الذي يقرر مصير « المتعاونين مع العدو » ·

بعد عام ١٩٦٥ استعاد الفلسطيني بندقيته · والبندقية في يد الفلسطيني تعرف طريقا واحدا · ليست لهذا الطريق اسماء كثيرة · اسم واحد لهذا الطريق هو الطريق الى فلسطين ·

ومنذ العشرينات عرف الانجلو ـ سكسون طريقة قطع الطريق الى فلسطين · لهؤلاء أيضا ليست هناك سوى طريقة واحدة : عرض مقترحات تبدو في ظاهرها معقولة ولكنها مشروطة بشروط تجعل الخصم يرفضها · ومن يتأنى في رفضها او يعلن رغبته في دراستها يتوفر من يدمغه بالخيانة فورا · ومن يقف ليعلن ان العدو يناور ـ فلنتعلم اسرار صنعة المناورة ، لنضيف اسرار هذا العلم المقدس الى مخزوننا من المعرفة ـ يفقد حقه في حمل البندقية ·

دائما لدى الانجلو ـ سكسون مشروع · هذا المشروع لا يريدونه هم لانه لا يكفي لسد احتياجاتهم · في العشرينات كان مشروع المجلس التشريعي الفلسطيني الذي كان يحرص المندوب السامي على ان يضيف اليه بندا يتعلق بحق المرأة في الترشيح والانتخاب ، بعد ان يتأكد ان الزعماء العرب يرفضون ذلك · ويرفضون ، او يستأجر المندوب السامي من يرفضه ، ويطلقون يد المندوب السامي البريطاني في التصرف · وكذا الامر في الثلاثينات · هناك لجنة تدرس المشكلة الفلسطينية وتقدم توصيات ، لا تكون مقبولة من البريطانيين او الصهيونيين ، وبالطبع لا تكون مقبولة من العرب ، فيسارعون الى رفضها دون الاخذ بعين الاعتبار مدى جديتها · وكذلك من يقبلها لا يأخذ بعين الاعتبار مدى جديتها ، وفي كل الحالات لا يدركون ان الهدف منها هو قتل روح المقاومة لدى شعبنا · والامر كذلك في عام ١٩٤٧ · مشروع التقسيم ليس هو الهدف الصهيوني · وقبولنا ورفضنا له سواء · لو قبلنا لما اخذنا شيئا · وفي حالة الرفض نصبح متطرفين · كذلك كان الامر في عام ١٩٦٩ وفي عام ١٩٧٤ وفي عام ١٩٧٨ · مشروع التقسيم لم يكن جديا · المشاريع الكثيرة التي عرضتها لجنة التوفيق الدولية لم تكن جدية وغيرها من لجان الخمسينات والستينات لم تكن جدية · قرار ٢٤٢ لم يكن قرارا جديا · قرار ٣٣٨ لم يكن قرارا جديا · اقتراح اقامة دولة فلسطينية لم يكن قرارا جديا · واقتراح اقامة حكم ذاتي في الضفة الغربية لقطاع غزة لم يكن قرارا جديا ·

ما هو الجدي اذن ؟ الكيان الصهيوني آلة حرب تستخدمها الولايات المتحدة الاميركية لاخضاع المنطقة العربية والحفاظ على التجزئة فيها ومنعها من احراز اي تقدم · الكيان الصهيوني غير مؤهل لان يلعب اي دور آخر غير دور الآلة العسكرية ، المعبأة والجاهزة الدائمة « لانزال العقاب القاسي

بكل من يتجاوز في قلة ادبه تجاه الغرب الحدود المناسبة » ٠

والحروب التي تشنها آلة الحرب الصهيونية يجب أن تبدو في ظاهرها حروب دفاع عن الذات ٠ لا السلم الدائم ولا الحرب الدائمة يستطيع الكيان الصهيوني ان يتحمل ما يترتب عليهما ٠

وفي الوضع الراهن ، وضع التدهور الذي لا يتوقف ، الذي يمر به الكيان الصهيوني بسبب نفاد احتياطي الهجرة اليهودية ، واتساع موجات النـزوح عاما بعد عام ، وخراب البنية الاجتماعية للكيان الصهيوني ، وما يترتب علـى ذلك من اعتماده المتزايد على قوة العمل العربية القادمة من قطاع غزة والضفة الغربية ، وعدم قدرته على الاستغناء عن قوة العمل هذه دون ان تتعرض مرافقه والفروع الاساسية للاقتصاد للشلل ، وما يترتب على ذلك من تناقص الاحتياطي البشري المتمتع بالمواصفات المناسبة لآلة الحرب ، يضاف الى ذلك ويتوجه ارتفاع فعالية الكفاح المسلح داخل الارض المحتلة ، كل هذه العوامل تخلـــق ضرورة زيادة تحكم الصهيونية بالضفة الغربية وقطاع غزة وليس العكس ٠

مرة اخرى يعمد الانجلو ـ سكسون ، الجهة الوحيدة المستفيدة من بقـــاء المشروع الصهيوني ، الى القاء مشروع آخر في الساحة الفلسطينية ٠ ويأملون ان يجدوا من يتبناه ٠ وحسب قوانين الجدل الهيغلي ، ستخلق الاطروحة نقيضها فيكون هناك من ينظم الاجتماعات والمظاهرات لرفضه ٠ وينجح الاعداء مرة اخرى ٠ ويزيدون في عمر المشروع الصهيوني سنوات اخرى ٠ ويضيفـــون الى العقل العربي طبقات اخرى من شحم البلادة التي تتجدد كلما بزغ امل في ذوبان احدى طبقاته ٠

لسنا واثقين من أن أطروحة الحكم الذاتي ستكون الاخيرة ٠ ولكننا نأمـــل ان يكون عمرها قصيرا ٠

محمد الشاعر

# نظريـــة الاحتمـالات

## ودورهـا في اتخـاذ القـرارات السيـاسـية والعسكريـة

كانت الافكار السائدة حتى نهاية القرن التاسع عشر تنكر علاقة علم السياسة او الحرب بالعلوم الرياضية ، على اعتبار انه احد فـروع علـم الاجتمـاع · فالسياسة تعني بالسلطة واسلوب الحكم في ادارة البـلاد ، وبالدبلوماسيـة والعلاقات الدولية وغيرها من القضايا التي تعالج مشكلات الافراد والجماعات ، اما الحرب ، فهي بمعناها الواسع والشامل ، ليست الا امتدادا « للنشاطـات السياسية، غايتها تحقيق الاهداف السياسية بوسائل العنف والصراع المسلح»·

ان ما يهمنا في هذه الدراسة ، هو معرفة نظرية الاحتمالات ومدى تأثيرهـا او الاستفادة منها في حل القضايا والمسائل السياسية والعسكرية ، وخاصـة ما يتعلق باتخاذ القرار ، على اعتبار ان تشابك نشاطاتها ، وتعدد مظاهرها ، وما يخرج عنها من احتمالات وفرضيات ، يصعب حلها واختيار افضلها دون الرجوع للاساليب العلمية والمحاكمات العقلية ، حتى انه بات من الصعب حـل بعض القضايا السياسية او العسكرية بشكل صحيح ، دون الرجوع او الاستعانة بالالات الحاسبة والكمبيوتر · كل ذلك يستند على النظريات الرياضية الحديثة وفي مقدمتها نظرية الاحتمالات ، التي سنرى ، على ضوئها ، ان معظم التطبيقات

---

العميد الركن محمد الشاعر ، ممثل منظمة التحرير الفلسطينية في الاتحاد السوفياتي ، دافع في شهر ايلول ( سبتمبر ) الماضي عن اطروحته « الثورة الفلسطينية واهم قضاياها العسكرية » من ١٩٤٧ ـ ١٩٧٥ في اعلى المعاهد العسكرية السوفياتية ، فنال شـهادة الدكتوراه بدرجة امتياز · من اهم مؤلفاته : « نظرية الاحتمالات في السياسة والحرب » و « الاقتصاد الحربي ودوره في الصراع العربي الاسرائيلي » و « جغرافية فلسطين العسكرية » ·

العلمية لها تصادف عددا كبيرا من العاملين في مختلف قطاعاتـــه وفروعه ، وغيرهم ، حتى ولو ان معظمهم لم يتخصص في علم الرياضيات ٠

ان دراسة نظرية الاحتمالات في السياسة والحرب تهدف الى الشرح المبسط ، والعرض الشامل للقادة السياسيين والعسكريين بوجه خاص ، وللعاملين فـــي مختلف الميادين بوجه عام ، لابراز اهمية هذه النظرية واستخدام طرق الحسابات الاحتمالية ، وذلك باعطاء امثلة تطبيقية تساعد على استيعاب الاسس النظريـة واهميتها في الحياة العلمية ، وحل القضايا الاجتماعية المعقدة ، وخاصة فـــي السياسة والحرب والاقتصاد ٠

ان نظرية الاحتمالات هي اقرب الى الرياضيات الحديثة منها الى الرياضيات الكلاسيكية ، وقد بحثها علماء امريكيون وفرنسيون وانكليز وسوفيات ، كـــان ابرزهم خينشتين وجندينكو السوفياتيان ، وكان الاخير قد كتب منذ ثلث قـــرن كتابا حول المبادىء الاولية لنظرية الاحتمالات ، ابرز فيه اهمية هذه النظرية في معظم فروع العلم والحياة واستخدامها من اجل حل عدد من المسائل العلميـــة والاحصائية والتكنيكية وغيرها ٠

ان هذه النظرية استحدثت جذورها من الرياضيات الكلاسيكية ، الا انهـــا شقت طريقها في حل القضايا والمسائل المعقدة معتمدة على الرياضيات الحديثة٠

## نظرية الاحتمالات واهميتها في التنبوء السياسي والعسكري

ان اهم ما يواجه القائد السياسي او العسكري هو مجموعة من الطـــرق المفتوحة لقضية ما ، يحتار ايا منها يختار على اعتبار ان كل الطرق السالكـــة لا تؤدي في معظم الاحيان للهدف المطلوب ، من هنا تأتي اهمية معرفة الاحتمالات التي قد تقع عندما يختار القائد طريقه من بين طرق متعددة ، كما وان التنبـوء العلمي لا يمكن باي حال من الاحوال ان يأتي صحيحا اذا لم يستند على دراسة الطرق والاحتمالات والفرضيات التي يبحثها القائد مع اركانه بعـدة اساليب ، « كلعبة الحرب » المتبعة لدى ضباط الاركانات او « اللعبة السياسية » وشجـرة الاحتمالات والمصفوفات التي يتبعها رجال السياسة عند اتخاذ القرار السياسي٠ في الحياة السياسية والعسكرية تحدث، تحت تأثير الحوادث المتبدلة ،والنشاطات اليومية ، المختلفة ، تغييرات نوعية عميقة بحيث لا يستطيع القائد او المسؤول ان يحدد افاق التطورات والاحداث المقبلة ، واسس التنظيم للقوى والوسائط مـــن دون الاحساس بالجديد والتنبوء العلمي ، اذ ان التنبوء والتحليل والتجربـــة وسائل ضرورية لادراك عمليات الحرب ، او الاحداث السياسية ، وتفهم جوهرها ومحتواها ، ومعرفة ما قد يستجد في قوانين تطورها ، كما تلعب دور الحوافـز التي تدفع عجلات كل تطور سياسي او عسكري ٠

ان التنبؤ العلمي يعتمد على الاحكام النظرية العامة ، والخبرة العلمية والتجربة هي المحك الحقيقي لصحة التنبوء ، والتحليل العلمي لعوامل التطور يلعب دورا هاما الى جانب التنبوء ، اذ يعتبر اسلوبا لادراك الظواهر وافاق تطورها ، والتكهن بما لم يكتشف بعد ، ولكن يحتمل حدوثه في المستقبل · والمعرفة العميقة للحقائق المعاصرة شرط من الشروط الاساسية للتنبوء العلمي، وتحليل تطور الاحداث التي قد تقع في المستقبل · وتبرز هنا اهمية الخبرة والتجربة العلمية ، ايضا ، ولكن لا يجوز ان يضع القائد السياسي او العسكري كل اماله على هذه الخبرة ·

ان التنبوء العلمي في السياسة او الحرب هو من العمليات المعقدة · ويرجع ذلك الى تنوع العلاقات والارتباطات ، وسرعة تبدل الاحداث بين مختلف جوانب الفاعليات السياسية والعسكرية ، وعدم توفر كافة المعلومات عن الموقف ، وضرورة معالجة المعلومات وغير ذلك من الاعتبارات خلال وقت محدد ، والدور الذي تلعبه المصادفات والحوادث العشوائية في بعض الاحيان على اختلاف اشكالها ، وسعي الطرفين المتخاصمين الى اخفاء قواتهما ونواياهما ووسائلهما وتضليل العدو ·

ويلعب التنبوء العلمي دورا هاما في تطوير الاساليب السياسية والدبلوماسية بحيث تتلاءم والمستوى الذي يتبعه العدو على الصعيدين المحلي والعالمي ، او في تطوير الاسلحة والمعدات القتالية على النطاق العسكري · ان علم السياسة والحرب يجب ان يتطلع الى المستقبل ، وعلى اساسه تتحد مهام العلماء لاختراع انواع جديدة وجيدة من الاسلحة والمعدات القتالية ، مع مراعاة القدرات الاقتصادية والبشرية ، وكل ذلك يتطلب التعمق في التحليل والاهتمام بجميع عوامل التطور والتنبوء بالتغييرات المحتملة ، وهنا يلعب الديالكتيك ، ونظرية الاحتمالات ، دورهما الفعال في حل القضايا الاجتماعية والسياسية والعسكرية ، بحيث يتخذ القرار الملائم في الزمان والمكان المناسبين · وهنا تجدر الاشارة الى انه لا ينبغي الاعتقاد بان التنبوء يجب ان يتميز به نشاط الدوائر القيادية العليا سياسية كانت أم عسكرية وحدها اذ يحتاج اليه جميع القادة والرؤساء على مختلف مستوياتهم ·

## المدخل لدراسة نظرية الاحتمالات وتطبيقها على القضايا والمسائل السياسية والعسكرية

اصبحت نظرية الاحتمالات في السنوات العشرين الاخيرة احد فروع علم الرياضيات التي تتقدم بخطى سريعة ، فالنتائج النظرية الجديدة تفتح الباب امام امكانية استخدام طرق نظرية الاحتمالات في التطبيقات النظرية والعملية

وبدقة اكثر ، والدراسة الدقيقة المفصلة للظواهر الطبيعية وللعمليات السياسية والعسكرية والانتاجية والتكنيكية والاقتصادية تدفع المشتغلين بنظرية الاحتمالات الى البحث عن طرق وقواعد جديدة اثناء هذه الدراسات · ان نظرية الاحتمالات قد تحولت في نصف القرن الاخير الى فرع من فروع علم الرياضيات قائم بذاته وله مشاكله وطرق ابحاثه الخاصة ·

لقد اتضح ان حل المسائل الملحة في الطبيعة والمجتمع ( ومنها العمل السياسي والعسكري والاقتصادي ) يعتبر من اهم المشكلات التي تستحوذ على اهتمام المشتغلين بنظرية الاحتمالات كأحد فروع علم الرياضيات · لقد ظهرت نظرية الاحتمالات في منتصف القرن السابع عشر ، وارتبط ظهورها باسماء كثيرة مثل فيرما ( ١٦٠١ ـ ١٦٦٥ ) ، وباسكال ( ١٦٢٣ ـ ١٦٦٢ ) وغيرهما ·

فقد ظهرت بشكل اولي ابحاث هؤلاء العلماء حول مفاهيم احتمال وقوع الحادثة العشوائية والقيمة المتوسطة للكمية العشوائية · لقد كانت المسائل المتعلقة بالعاب القمار هي نقطة الانطلاق في ابحاثهم ، وفي هذا الصدد كتب هيجنز ( ١٦٢٥ ـ ١٦٩٥ ) في مقالة عن ( الحسابات في العاب القمار ) يقول : « وعلى القارىء ان يلاحظ انه ليس امام لعبة ولكن الامر يتعلق بنظرية هامة وعميقة » ·

لقد طور العلماء الروس هذه النظرية · ففي القرن الماضي اكتشف العالم العبقري الروسي تشيبتشيف طريقة جديدة لتطويرها · وقد حصل هذا العالم ، ومن بعده تلميذاه ماركوف وليابونوف ، على نتائج اساسية بواسطة هذه الطريقة ( قانون الاعداد الكبيرة ) ـ نظرية ليابونوف ·

## مفهوم احتمالات الحوادث استنادا على نظرية الاحتمالات ( امثلة سياسية وعسكرية )

اصبح من السهولة بمكان معرفة احتمال وقوع حادثة معينة اثناء اجراء عمليات متكررة ، فالعمليات الكبيرة المتشابهة ما هي الا تكرار للعملية الواحدة، ويهمنا من مجموع العمليات نتيجة معينة في كل عملية منفردة من هذه العمليات، وتسمى النسبة المئوية ( او النسبة العامة ) لعدد النتائج الناجحة في هذه العمليات التكرارية باحتمال الحصول على النتيجة التي تهمنا · وهنا يجب الاخذ بالاعتبار، دائما ، ان الحديث عن احتمال وقوع حادثة معينة ( الحصول على النتيجة المطلوبة ) لا يكون ذا معنى الا اذا اثبتنا الشروط التي تجري كافة العمليات تحتها ، واي تغيير في هذه الشروط يعني ، بدوره ، تغييرا في الاحتمال المطلوب الحصول عليه ويمكننا فهم هذه النظرية من الامثلة التي نوردها في هذه الدراسة مبتدئين بالامثلة المبسطة ثم المركبة ·

## أ ـ مثال بسيط

بطارية مدفعية عيار ١٥٥ ركزت رماياتها على هدف معين للعدو ( وليكن مركز قيادة لواء ، وقد اصابت البطارية الهدف بنسبة ٨٢٪ ، فهذا يعني انه اذا اطلقت البطارية مئة طلقة في ظروف معينة ( من عدد معين من المدافع وعلى نفس الهدف المذكور ومن البعد نفسه بين الهدف ومكان تمركز البطارية ) ، فهذا يعني ان كل ١٠٠ قذيفة تصيب الهدف في المتوسط ٨٢ مرة ، اي ان ١٨ قذيفة تقريبا لا تصيب الهدف ٠ وهذا لا يعني بالطبع ان كل مائة قذيفة تصيب الهدف ٨٢ مزة بالتأكيد ، فاحيانا تصيبه ٨١ مرة او ٨٠ ٠ واحيانا ٨٣ او ٨٤ مرة وهكذا ، وقد تتمكن البطارية في بعض الاحيان من ان تصيب الهدف بعدد اكبر بكثير من ٨٢ مرة ، او اقل بكثير منه ، ولكن اذا كان عدد المحاولات كبيرا ، والظروف واحدة لا تتغير ، فان هذه النسبة تبقى ثابتة في المتوسط ما دام لا يجري تغيير ما طوال فترة اطلاق قذائف المدافع ( مثلا تحسن في مستوى سدنة المدافع الذين يطلقون القذائف بان يرفعوا متوسط الاصابة من ٨٢ الى ٨٥ ) ٠ وتدل التجربة على ان عدد القذائف الصائبة التي يطلقها رجال البطارية المذكورة تقارب في اغلب الاحيان نسبة ٨٢ قذيفة ، من مئة قذيفة ٠ ولكنهم قد يصيبون الهدف بنسبة اقل او اكثر ٠ الا ان هذه الاحوال نادرة رغم حدوثها ، والنسبة ٨٢ ٪ التي تحدد مستوى الرمي ، غالبا ما تكون ثابتة ٠

ويمكن ترجمة هذه العملية رياضيا بالمعادلة البسيطة التالية :

اذا فرضنا انه في احدى العمليات التكرارية وقعت الحادثة (أ) اصابة الهدف مثلا في المتوسط (ب) مرة ، وكذلك كلما اجرينا (ج) عملية منفردة ( اطلاقات قذائف مثلا ) فان احتمال وقوع الحادثة (أ) تحت شروط معينة يساوي ب/ج او (٪ب ١٠٠/ج ) ولذا فانه يمكن القول بان احتمال الحصول على نتيجة ناجحة في كل عملية منفردة ما هو الا نسبة العدد المتوسط لمشاهدة النتيجة الناجحة الى العدد الكلي للعمليات المنفردة ٠ ومما لا شك فيه انه اذا كان احتمال وقوع حادثة ما يساوي ب/ج ففي كل مجموعة مكونة من ج عملية منفردة يمكن ان تقع هذه الحادثة اكثر او اقل من ب مرة ولكنها في المتوسط تقع ب مرة تقريبا وفي الغالبية العظمى من هذه المجموعات المتكونة من ج عملية منفردة يكون عدد وقوع الحادثة أ قريبا من ب وخاصة اذا كانت ج عددا كبيرا ٠

## ب ـ مثال مركب لنظرية الاحتمالات في رمي الاسلحة المضادة للطائرات

لو اخذنا عدد المدافع المضادة للطائرات ( م/ط ) الموجودة في فرقة المشاة بدءا من فوج المدفعية ( م/ط ـ عيار ٥٧ ملم ) وحتى المدافع الموجودة في كتائب الفرقة ذات العيارات الصغيرة ١٢ر٧ ملم واردنا ان نطبق قانون الاحتمالات المركب لمعرفة الامكانيات القتالية ضد الطيران للفرقة للتمكن من الحصول على نتائج تقريبية كالتالي :

م = ب × ق × كو × كي ٠

على اعتبار ان :

م = التوقيع ( الاحتمال ) الرياضي لعدد الطائرات التي تم اسقاطها ٠

ب = احتمال الاصابة ( بسرية او بكتيبة او بفوج م/ط ) ٠

ق = عـدد الرمايات ٠

وتشمل ق ن / هـ ٠

حيث ان ن = عدد الطلقات التي ترميها وحدة مدفعية م/ط في زمن محدد ٠

هـ = عدد الطلقات التي يمكن ان ترميها وحدة م/ط في انقضاض واحد للطائـــرات المعاديـــة ٠

كو = عامل القيادة ويتراوح من ( ٧ر٠ ــ ٨ر٠ ) ٠

كي = عامل الجاهزية ويساوي في معظم الاحيان عامل القيادة ٠

لنأخذ بعض الحالات مبينين عاملي القيادة والجاهزية :

**الحالة الاولى** : خلال رماية واحدة ( اي انقضاض واحد ) بشرط ان يكون :

كو = كي = ( ٤ر٠ ــ ٨ر٠ ) ٠

أ ــ للفوج م/ط في حال الجاهزية والقيادة ( ٤ر٠ ) يمكن للفوج ان يدمر ( ٢٤ر٠ ) طائرة خلال ١٥ ــ ١٠ ثانية ٠ واذا كان عامل القيادة والجاهزية ( ٨ر٠ ) يكون التدميـر ( ٩٦ر٠ ) طائـــرة ٠

ب ــ بالنسبة للفرقة ( اذا رمت بكافة وسائطها م/ط على الطيران المغير وكان العاملان كو وكي يساويان ٤ر٠ تكون النتيجة كالتالي : ( ٦٣ر٠ ) طائرة ٠

واذا كان العاملان ٨ر٠ يرتفع التدمير الى ٥٢ر٢ طائرة وذلك بمرور واحد ٠

**الحالة الثانية** خلال غارة مدتها ١٥ دقيقة وعامل القيادة والجاهزيـة ٤ر٠ يمكن ان يسقط الفوج ٥ر١ طائرة واذا كان العاملان ٨ر٠ يسقط بحدود ٦ طائرات ٠

اما بالنسبة للفرقة ( العاملان ٤ر٠ ) يمكن ان يدمر ٥٨ر٥ طائرة معادية واذا كـــان العاملان ٨ر٠ يسقط ٣٢ر٢٢ طائرة ٠

**الحالة الثالثة** : في حال استهلاك وحدة نارية كاملة من مختلف الاعيرة في الفرقة :

ــ للفوج : العاملان ( ٤ر٠ ) الاسقاط ٧ر١ طائرة ٠

ــ للفوج : العاملان ( ٨ر٠ ) الاسقاط ٤٨ر٦ طائرة ٠

ــ للواء : العاملان ( ٤ر٠ ) الاسقاط ٢٣ر٥ طائرة ٠

ــ للواء : العاملان ( ٨ر٠ ) الاسقاط ٩٢ر٢٠ طائرة ٠

وهنا يجب ان نتساءل بماذا تميز مثل هذه القوانين المركبة لنظرية الاحتمالات ؟

والجواب هو ان هذا القانون ، الذي استخدمناه سابقا ، وغيره من قوانين الاحتمالات، هي قوانين تجريبية ، وليست وضعية واستنتاجية تعتمد على وحدات ثابتة ، ونتائـــج متساوية ومتكررة ، تحت عدة شروط وظروف متساوية ٠ ان قوانين الاحتمالات هي اكثـر

القوانين تطورا وتبدلا وفقا لتبدل الظروف وتطور القوى ، خاصة الالة التي تستخدم في الانتاج والسلاح الذي يستعمل في الحرب · يضاف الى ذلك العوامل النفسية والمعنوية ودرجة الكفاءة واستيعاب الالات المعقدة وتطور التكنولوجيا وجودة استخدامها من قبل الافراد والجماعات ·

من هنا يمكن تفسير تفاوت القيمة العددية لعامل القيادة وعامل الجاهزية المار ذكرها في مثال الاسلحة المضادة للطائرات وتطبيق القانون ( م = ب × ق × كو × كي ) حيث وجدنا ان قيمتها تتراوح من ( ٤ر٠ ـ ٨ر٠ ) ·

ـ بماذا يتعلق عاملا القيادة والجاهزية ؟

ـ عامل القيادة يتعلق باسلوب وجودة الاستطلاع الجوي للعدو وصلاحية وجاهزية المدفعية المضادة للطائرات ووسائل الاتصال اللاسلكية ·

اما عامل الجاهزية فيتعلق بعدة شروط منها :

ـ وصول الانذار المبكر اذ ان بضع ثوان او دقيقة يؤثر في نجاح الاسقاط او عدم نجاحه ·

ـ التنظيم والانضباط الجيدان للعناصر والسرايا المناوبة ·

ـ صلاحية العتاد وجودة الذخيرة ·

ـ مستوى تدريب الافراد والطواقم ··· الخ ·

من كل ذلك نستنتج بان الانسان او بمعنى ادق الجندي المدرب جيدا والواعي لمهماته ودرجة خطورتها هو الذي يلعب الدور الحاسم في المعركة واكبر دليل على ذلك اننا نرى في الحالات المار ذكرها :

١ ـ في الحالة الاولى عندما كان عامل الجاهزية وعامل القيادة يساوي كل منهما ( ٤ر٠ ) كان الاسقاط ٢٤ر٠ طائرة ·

وعندما ارتفع العاملان الى ( ٨ر٠ ) ارتفع الاسقاط الى ٩٦ر٠ طائرة وهذا يعود لجودة التدريب والسلاح والانضباط والذخيرة وغيرها ·

٢ ـ في الحالة الثانية :

العاملان ( ٤ر٠ ) اسقط الفوج ٥ر١ طائرة ·

العاملان ( ٨ر٠ ) زاد الاسقاط الى ٦ طائرات ·

٣ ـ وفي الحالة الثالثة :

العاملان ( ٤ر٠ ) اسقطت اسلحة الفرقة ٢٣ر٥ طائرة ·

العاملان ( ٨ر٠ ) اسقطت اسلحة الفرقة ٩٢ر٢٠ طائرة ·

**جـ ـ مثال لنظرية الاحتمالات ( على مستوى استراتيجي وعمليات ) مستقى من حرب السادس من تشرين سنة ١٩٧٣**

ان هذا المثال يعطي صورة تقريبية عن اهمية تصور المعركة والتوقعات المنتظرة على مسارح العمليات ، وخاصة سلوك العدو واحتمالات ضرباته المعاكسة ٠

كان الاسبوع الثالث للحرب هو اسبوع الهجوم الكبير ٠ ولقد كان من الواضح ان المصريين والاسرائيليين اصبحوا في وضع يسمح لهما بشن هذا الهجوم وحشد قوات ضاربة ضخمة لهذا الغرض ٠ وكان من المنتظر ان يتجه الهجوم المصري في اتجاه منطقة المرتفعات والممرات ٠ مع التركيز بصورة خاصة على المحور الاوسط الممتد من الاسماعيلية الى الجفجافة ، وتحقيق الخرق في هذا الممر واجراء حركة تطويق في اتجاه ممر متلا ، وكان امام الاسرائيليين احتمالان هما :

جذب المصريين الى المرتفعات وابعادهم عن قواعد صواريخهم واستنزافهم عند الممرات وشن الهجوم الكبير شرقي الممرات او القيام بالعملية الهجومية على المسرح الواقع غربي الممرات والمحصور بين المرتفعات والبحر ، وكان الاحتمال الاول يؤمن للعدو ضرب المصريين بعد ان تطول مواصلاتهم ، وتبتعد قواتهم عن قواعد حمايتها الجوية ، وتستنزف قواهم في معارك الممرات ، وكانت سلبيات هذه الخطة تتمثل بالخسارة المعنوية التي ستنجم عن هذا الانسحاب الارادي وخطورة تمركز المصريين عند المرتفعات وعدم تقدمهم بعد ذلك ، وتحسين مواقعهم لشن حرب استنزاف طويلة الامد ، الامر الذي لا يلائم القيادة العسكرية الاسرائيلية ٠

اما الاحتمال الثاني : فيؤمن للعدو الدخول في المعركة المباشرة والاتجاه نحو القناة لعبورها والقيام بعد ذلك بحركة مروحة تنفتح في اتجاه الشمال والجنوب لتطويق القوات المصرية التي عبرت الى الضفة الشرقية وقطع طرق مواصلاتها، ولكن سلبياته كثيرة تتمثل بمجابهة خصم لم يستنزف بعد ، ويعمل قريبا من قواعد امداده وتحت حماية دفاعاته المضادة للطائرات ٠

ولقد اختار الاسرائيليون الحل الثاني ، بعد تعديله ، فجمعوا قوة مدرعة كبيرة زودوها باحدث الاسلحة والمعدات التي وصلت من الولايات المتحدة الامريكية ، ودفعوها على شكل اسفين بين الجيشين المصريين الاوسط والجنوبي ، وكان هذا الاسفين عبارة عن قوات مكلفة بمهمات متباينة ٠ وكانت مهمة رأس الاسفين الاندفاع نحو القناة وعبورها ، والعمل وراء القوات المصرية وضرب طرق مواصلاتها وبطاريات مدفعيتها ، وتدمير قواعد الصواريخ ارض ـ

جو ( سام ـ ٢ وسام ـ ٣ ) الموجودة على الضفة الغربية للقناة ، وخلق افضل الظروف لعمل القوات البرية التي ستتقدم من سيناء الى الضفة الغربية ، عبر الممر الواقع بين الجيشين وتهيئة الجو لعمل الطيران اللازم لدعم هذه القوات٠

وكلفت قوات مدرعة وميكانيكية بمهاجمة الجيب المصري على المحور الاوسط ، ومشاغلته ، بل وتدميره او ضغطه الى ابعد حد ممكن ، ومنع القوات المدرعة المحتشدة فيه من التوجه نحو الجنوب وقطع الممر الذي يصل القوة الموجودة على الضفة الغربية بقواعدها في سيناء ٠ واضافة الى ذلك ، فقد انتشرت على طول الممر قوات مدرعة وصواريخ مضادة للدبابات مهمتها حماية جانبي الممر من الهجمات المعاكسة الاتية من الشمال ٠

وفي يوم ١٦/١٠ بدأ العبور الاسرائيلي عند شمالي البحيرات المرة ، وقامت بالموجة الاولى دبابات برمائية اجتازت البحيرات بغتة وبدأت عملها فورا في تدمير قواعد الصواريخ المضادة للطائرات ، وخلق رأس جسر صغير عند الدفرسوار ٠ وفي ليلة ١٦ ـ ١٧ عبرت وحدات مدرعة اخرى على عبارات معديات وعززت رأس الجسر وبنى الاسرائيليون في الليل ٣ جسور على القناة٠ واندفعت قوات برية كبيرة من سيناء الى الضفة الغربية عبر هذه الجسور وعززت رأس الجسر وفي يوم ١٧ كانت القوة الصغيرة العاملة على الضفة الغربية تحاول تدمير اكبر عدد ممكن من قواعد الصواريخ ولكن القوات الاسرائيلية فوجئت بان معظم قواعد الصواريخ كانت هيكلية للخداع ٠واعتبارا من يوم ١٨ كان في وسع الطيران الاسرائيلي العمل في نقطة العبور بامان نسبي٠ وازداد معدل تدفق القوات من الضفة الشرقية الى الضفة الغربية ٠

ولقد قامت القوات المصرية بهجمات معاكسة لتقليص حجم رأس الجسر ، واشتركت المدفعية والطائرات في دعم هذه الهجمات المعاكسة ، وقصف نقاط العبور وكان من الواضح ان الهجمات المعاكسة المصرية الجدية بدأت متأخرة بعد ان تدعم رأس الجسر ٠ وأخذ شكل جيب اتسع بالعرض والعمق ودعمته قوات جديدة برية ومظلية ٠ ودارت معارك دبابات عنيفة على الضفة الشرقية للقناة ، اذ حاول المصريون تدمير المدرعات الاسرائيلية والوصول الى الممر لقطعه ، ولكن هجمات المصريين هذه لم تحسم المعركة رغم ما ألحقته بالعدو من خسائر وبقي الممر مفتوحا ٠ كما دارت معارك بالدبابات والصواريخ المضادة للدبابات على الضفة الغربية لتقليص حجم الجيب وحرمانه من حرية الحركة والتوسع ٠

بيد أن استمرار نشاط القوات الاسرائيلية على الضفة الغربية واستمرار وصول التعزيزات اليها واتساع المنطقة التي سيطرت عليها ودمرت فيها عددا من قواعد الصواريخ المضادة للطائرات زاد حرية عمل الطيران المعادي فوق

مسرح العمليات ، الامر الذي قلل حرية عمل القوات الاحتياطية المصرية واضعف حدة هجماتها المعاكسة ٠

في يوم ٢٠ بلغ حجم القوات الاسرائيلية العاملة على الضفة الغربية(حسب التقديرات الامريكية ) حوالي ١٢ الف رجل و٢٠٠ ـ ٣٠٠ دبابة وسيطرت هذه القوات على شريط يوازي القناة ويقع بين شمالي البحيرات المرة وجنوبي الاسماعيلية ، وكان امامها ٣ احتمالات للعمل :

١ ـ التقدم في اتجاه الشمال الغربي لقطع طريق الاسماعيلية ـ القاهرة وتطويق القوات المصرية العاملة على القطاع الاوسط (الجيش الثاني ) ٠

٢ ـ التقدم باتجاه الجنوب الغربي لقطع طريق السويس ـ القاهرة وتطويق القوات المصرية العاملة على القطاع الجنوبي ( الجيش الثالث ) ٠

٣ ـ التقدم في الاتجاهين على شكل مروحة ، ولقد جرب العدو العمل وفق الاحتمال الاول نظرا لقرب الطريق من مكان الجيب ولكنه اضطر الى التراجع تحت ضغط الضربات المعاكسة وسدود نيران المدفعية وبقي الجيب محصورا ومحدود المساحة والفاعلية حتى وقف اطلاق النار يوم ٢٢ / ١٠ وكان وضع هذا الجيب عند وقف اطلاق النار ومصيره غير واضحين تماما ٠ اذ كانت القوات الاحتياطية تهاجمه من الغرب والشمال الغربي محاولة تقليصه وتدميره٠ وكانت القوات المدرعة على الضفة الشرقية تتابع ضغطها في اتجاه الممر لعزل الجيب عن سيناء وكان من الممكن ان يتحول الجيب الى مقبرة كبيرة للقوات الاسرائيلية التي غامرت بالدخول فيه ٠

ومن المؤكد ان الجيب حقق في الايام الاولى بعض النجاحات واستفاد من المطارات الامامية الثلاثة الموجودة فيه لزيادة وتيرة الامداد والاخلاء، كما استفاد من المحروقات التي عثر عليها لتموين دباباته ٠ ولكن من المؤكد ايضا ان حجم قواته لم يكن كافيا للقيام بمعركة حاسمة تبدل مجرى الحرب ، وان القيادة الاسرائيلية كانت غير قادرة على زيادة هذا الحجم بقوات اخرى تسحبها من سيناء حتى لا تضعف حماية الممر ويسهل على المدرعات المصرية قطعه ، علما بأن عدد الدبابات الاسرائيلية المحتشدة على الضفة الشرقية لحماية الممر هو ٦٠٠ دبابة مقابل ٨٠٠ دبابة مصرية ( حسب التقديرات الامريكية )٠

وفي ليلة ٢٢ ـ ٢٣ استغل الاسرائيليون قرار وقف اطلاق النار ـ تماما كما استغلوه في حرب ٤٨ ووسعوا رقعة الارض المحتلة على جميع الجبهات وفي حرب ١٩٥٦ على الجبهة المصرية وكذلك في حرب ١٩٦٧ على الجبهة السورية ودفعوا قواتهم نحو الجنوب الغربي في منطقة خالية من الدفاعات حتى وصلت طلائعهم الى طريق السويس ـ القاهرة ٠ وهنا اعلنوا انهم يطوقون الجيش المصري الثالث الموجود على المحور الجنوبي عند مدينة السويس ، ومع

هذا الوضع الجديد لم يعد قادة العدو يكتفون من قواتهم على الضفة الغربية بازعاج مؤخرات المصريين وتحقيق كسب سياسي يستخدمونه كورقة في المساومة السايسية ، بل قرروا تحقيق كسب عسكري مادي ايضا يتمثل بالحاق الهزيمة بالجيش المصري الثالث ليمسحوا بذلك الاثار السلبية التي خلفتها هزائمهم في المراحل الاولى من الحرب ٠

وعلى الرغم من قراري وقف اطلاق النار في ٢٢ و ١٠/٢٣ تابع العدو ارسال القوات الى الجيب وركز جهده الجوي والبري على مؤخرة الجيش المصري الثالث وكرر هجماته المادية وحربه النفسية على القوات المصرية العاملة في مدينة السويس طوال يومي ٢٤ و ٢٥ ٠ ولكن القوات المصرية صدته في كل مرة والحقت به خسائر فادحة ، وتدل حدة هجمات العدو وتكرارها على رغبة القادة الاسرائيليين في تحقيق نصر عسكري ممكن في هذا القطاع ، والاستفادة من هذا النصر سياسيا واعلاميا في الداخل والخارج ، خاصة وانهم يعرفون ان واشنطن موافقة ضمنيا على خرق وقف اطلاق النار واستغلال الظروف المواتية الحالية لاعطاء اسرائيل بعض المكاسب ٠ بيد ان موقف الجيش المصري الثالث كان لا يزال يوم ١٠/٢٦ سليما ٠ وكانت وحداته متماسكة ترد ببسالة على محاولات العدو البائسة كما ان محاولات احتلال مدينة السويس فشلت تماما ٠

ولندرس الان الاسفين الاسرائيلي لاجراء تحليل سريع لماهيته واسباب وقوعه ٠٠٠ وتعتبر العملية الاسرائيلية تنفيذا ناجحا لعملية الخرق الذي يليه انتشار على شكل مروحة ٠ وتستهدف هذه العملية عادة التطويق رغم عدم وجود مجنبات صالحة للالتفاف ٠ وهي في جوهرها استراتيجية غير مباشرة تحاول ضرب المؤخرة واجبار الخصم على القتال على جبهة معكوسة بدلا من مجابهته من الامام ٠٠٠ وذلك عن طريق المفاجأة والضرب على المحور غير المتوقع واخذ مكان يعمل في طياته احتمالات التقدم في عدة اتجاهات ثم الاندفاع في اتجاه خط المقاومة الاضعف ٠ ولقد حقق العدو النجاح في هذه العملية للاسباب التالية :

١ ــ وجود ثغرة غير مراقبة بين المحورين الاوسط والجنوبي٠

٢ ــ اختيار العدو لمكان غير متوقع ( تكون الدفاعات وراء الانهار او القنوات ) ٠

٣ ــ استغلال معدات مصرية لتنفيذ الخدعة ٠

٤ ــ الاعداد المسبق لهذه العملية طوال السنوات الماضية التي كان العدو مسيطرا فيها على الضفة الشرقية ( ولقد وضع العدو قبل تنفيذ هذه العملية سبعة احتمالات وجد منها ست حالات ناجحة وحالة واحدة غير ناجحة ودرست

هذه الاحتمالات فنيا ورياضيا وعسكريا وهذا ما شجعه للقيام بالهجوم المفاجىء على الضفة الغربية للقناة ) ٠

ـ الاستفادة من صور طائرات التجسس والاقمار الصناعية الامريكية التي رصدت المؤخرات الدفاعية الضعيفة للقوات المصرية ٠

٦ ـ سرعة حركة العدو ومبادهته واستعداد قيادته للمغامرة لاستعادة سمعتها التي فقدتها في سيناء والجولان ( الحملة على دايان ومطالبة وزير العدل يعقوب شابير باستقالته نظرا لفشله في اعداد الدفاع وما سببه هذا الفشل من خسائر في الارواح والمعدات ) ٠

٧ ـ بطء الهجمات المعاكسة يومي ١٦ ـ ١٧ واعتمادها على النار بدلا من تركيزها على النار والصدمة العنيفة ٠

٨ ـ عودة سلاح الطيران الاسرائيلي الى اجواء المعركة بعد تدمير عدد من قواعد الصواريخ ارض ـ جو ٠

٩ ـ استغلال اسرائيل لوقف اطلاق النار بغية نشر المروحة نحو الجنوب وتوسيع الجيب الى بداية الطريق ٠

١٠ـ وصول الامدادات الامريكية وخاصة الطائرات والصواريخ والقنابل بالاسلحة الحديثة على نطاق واسع ٠

١١ ـ تأخر الهجوم المصري الكبير نحو الشرق الذي كان من المفروض ان يبدأ يوم ١٢ و ١٣ على ابعد تقدير ، الامر الذي اعطى الاسرائيليين فرصة المبادرة بهجوم اجهاضي لم يخرق الجبهة فحسب بل واوقف الهجوم المصري الكبير المنتظر في اتجاه الممرات ٠

وخلاصة الموقف هو ان التقاط الاسرائيليين لانفاسهم وتدفق الاسلحة الحديثة عليهم ، ورغبتهم في تحقيق انتصار عسكري ما قبل وصول وحدات القبعات الزرقاء ، وعقيدتهم الهجومية التعرضية دفعتهم رغم الضربات التي تلقوها الى القيام بعمليتهم التي غرست في الجبهة المصرية اسفينا لا يستهان به ٠ وكان هذا العمل اول تحول اساسي في اتجاه العمليات العسكرية على الجبهة المصرية ٠ ثم استغلوا وقف اطلاق النار وتوجهوا نحو طريق السويس ـ القاهرة ، وكان هذا التحول الاساسي الثاني ٠ وبالرغم من اهمية هذين التحولين فانه من المستبعد ان يكونا حاسمين ، ولا يبدو الموقف في السويس نصرا اسرائيليا او كارثة على الصعيد العربي بالشكل الذي تصوره اساليب الحرب النفسية المعادية ٠

## اتخاذ القرار على ضوء التنبؤ ودراسة الاحتمالات

خلافا للمفاهيم السائدة عن التنبؤ في كثير من العلوم الطبيعية ، يتحدد معنى التنبؤ في العلوم الاجتماعية باختلاف الهدف منه وبالتالي تختلف الاساليب العملية المتبعة لتحقيقه ، فاذا كان الهدف من عملية التنبؤ هو مجرد معرفة احتمال وقوع حدث معين ، فان ذلك يتم بتصور ظروف معينة في وضع المستقبل واستنباط اثارها باتباع اساليب استنتاج نظرية مثل : الفروض والنظريات والقوانين العلمية المتعارف عليها · اما اذا كان هدف التنبؤ هو وضع قرار سياسي معين او رسم سياسة عامة فتكون مهمة القائم بعملية التنبؤ هي ان يبدأ بتحديد هدف معين تسعى الدولة لتحقيقه ويستنبط من اسس نظرية التغيرات البيئية وغيرها من الاجراءات التي يجب ان تتم لتحقيق هذا الهدف · ومن الامور الاساسية ان يكون هذا الفارق بين نوعي التنبؤ واضحا امام الباحث او صانع القرار السياسي ، حتى لو كانت المسألة موضع البحث واحدة · فمثلا ، قد يطلب صانع القرار معرفة الوضع الذي ستكون عليه جماعة سياسية معينة في النظام السياسي بعد عشر سنوات ، وتقدير نفوذها وامكانياتها ، واحتمالات تزايد او تناقص شعبيتها او اعضائها · في هذه الحالة يكون على الباحث السياسي ان يدرس ، بعناية ، ودقة كافية ، انماط نمو هذه الجماعة في الماضي واستخلاص فروض نظرية معينة · ثم عليه ان يقيم وضعها الحالي في ظل الظروف المعينة القائمة ، وهي الظروف التي سينقلها الى المستقبل ، وباستخدام اطار نظري – يضمن له تناسق وترابط هذه الظروف وفروضه المستخلصة من التجارب التاريخية – يستطيع التنبؤ بالاحتمالات الممكنة لاوضاع ونفوذ هذه الجماعة ·

ان الفوائد التي تتحقق من هذه الدراسات تغطي كل ما يمكن ان تتكلفه من جهد ومال ، فالتنبؤ السياسي يجعل من الممكن تحقيق الاهداف المرغوبة ويستطيع ايضا ان يجعل غير المرغوب فيه صعب الحدوث · وبه يمكن تخفيف عواقب سياسات او قرارات او تغييرات سيئة ، والاستفادة من اثار تغيرات وقرارات جيدة ·

اي ان الهدف الاساسي من التنبؤ هو صنع المستقبل السياسي بما يحقق للدولة افضل النتائج بالاضافة الى هذا فللبحث في مجالات المستقبل منافع اخرى متعددة منها :

١ – وضع اطر نظرية متزايدة الدقة بتكرار التنقيح ، وبالاستخدام المستمر، وتجميع عدد من الفروض النظرية التي تصبح – باستمرار التحقق منها في قضايا بحث متعددة – اسسا نظرية للعاملين في مجالات اخرى من البحث السياسي وصنع القرارات ·

٢ ـ توضيح ومناقشة المسائل الحيوية التي تهم أمن الدولة الخارجي والداخلي ، والتنبيه الى مسائل قد لا تظهر اهميتها لصانع القرار او للباحث العادي ، والكشف عن تشابك قضايا متعددة قد تبدو للعين المجردة منفصلة كل عن الاخرى بلا اثار وعواقب متبادلة ٠

٣ ـ تنشيط خيال وأفق الباحثين السياسيين والعاملين بأجهزة صنع القرار السياسي وتعميق ابعاد اهتماماتهم وخلق روح النقاش والتحدي والتعاون العلمي بين تفرعات العلوم الاجتماعية بما يحقق اقصى فائدة لاجهزة صنع السياسة وكذلك المؤسسات الاكاديمية ، ويكسب الاخيرة ثقة في قدراتها وبمساهمتها ومشاركتها في صنع القرار السياسي ، الامر الذي يخلق نخبة مثقفة واعية ومسؤولة ٠

٤ ـ زيادة قدرة صانعي القرارات والمتخصصين في عمل التقديرات والتنبؤات على التعرف على انماط جديدة للسلوك السياسي وظروف الازمات الدولية والداخلية والتعود على تصنيف المسائل حسب اهميتها ٠ فالمعروف ان قدرة المخطط السياسي على التمييز بين المواقف حسب درجة اهميتها تلعب دورا رئيسيا في نجاح السياسات الموضوعة وفي حسن تنظيم وقت صانع القرار ٠

٥ ـ تحديد وتوضيح بدائل القرار السياسي ، فالاختيار السياسي لا معنى له ما لم تفهم جيدا بدائله ٠ الا ان القرار السياسي ـ قبل اتخاذه ـ لا يوجد دليل على جودته او ضعفه الا في ضوء مختلف البدائل المدروسة دراسة مستفيضة ، بحيث يصير الاختيار النهائي هو ذلك الذي يحقق اكبر منفعة بأقل اخطار او تكاليف ممكنة ٠ فضلا عن ذلك ، فان الاختيار ذاته الذي يتخذ قرارا سياسيا يصير اختيارا سيئا اذا لم تكن نواحيه السلبية قد درست دراسة جيدة ووضعت التوصيات اللازمة لمواجهتها اذا استلزم الامر ٠

## مناهج التنبؤ

للتنبؤ مناهج متعددة ، الا انها تنطلق جميعها من منطلق واحد ، كخطوة اولى قبل البدء في الدراسة الفعلية للموضوع قيد البحث ، هذا المنطلق هو حصيلة اتفاق علماء السياسة والاقتصاد والاجتماع والمتخصصين في فروع الدراسات المتعلقة بالتقدم التكنولوجي حول الاتجاهات العامة في فروع تخصصاتهم ، فقد لا يختلف علماء الاجتماع والاقتصاد في ان هناك اتجاها عاما يمثل تزايدا مخيفا في السكان في مناطق العالم الثالث ، ويتفق رجال الاقتصاد والتكنولوجيا في ان افاقا جديدة للعلم تنفتح باستمرار وتضمن حدا ادنى لزيادة الانتاج ٠ واتفق بالفعل علماء السياسة الدولية على ان النظام

الدولي سيواجه في الاجل المتوسط مشكلة المواجهة بين العالم الثالث والعالم الصناعي ، او بين الجنوب والشمال · كما اتفقوا على ان الهوة التـــي تفصل بين القطبين والاقطاب الناشئة كالصين واوروبا واليابان تضيق تدريجيـــا · من هذه المسلمات الاساسية وغيرها ينطلق الباحث السياسي ، او صانـــع القرار المهتم بالتنبؤ بالمستقبل او التخطيط له ·

واهم المناهج المعروفة في التنبؤ هي تلك التي حذق فيها علماء الاقتصـــاد والسكان ، يتم تطويرها ، حتى تتفق وطبيعة الاستقراء السياسي والاجتماعي · من هذه المناهج منهج السيناريو ومنهج المستقبلات البديلة · والمنهج الاول يفترض قيام الباحث السياسي بترتيب احداث افتراضية بهدف تركيز الاهتمام على عمليات سببية وهي تخدم غرضين هامين في عملية التنبؤ :

١ ــ التعرف بدقة على الخطوات المتعاقبة التي تنتهي بتجسيد موقف معين·

٢ ــ ما هي البدائل الممكنة لكل طرف من اطراف الموقف محل البحث ، ولكل خطوة من الخطوات المؤدية الى هذا الموقف ولكل ما يمكنه ان يمنع او يسهل حدوث الموقف او يحول مساره ·

ويستخدم المنهج الثاني « منهج المستقبلات البديلة » لاغراض مختلفة :

١ ــ خلق سيناريوهات متعددة ·

٢ ــ ادخال او حذف عوامل معينة بطريقة تحكمية ·

٣ ــ عمل مقارنات علمية لمواقف افتراضية ، هذه المقارنات تفترض توحد الاطار النظري وتوحد التقسيمات والتفرعات ·

٤ ــ تحليل وفحص مسائل وقضايا معينة داخل اطر نظرية موحدة ·

ويفيد هذا المنهج فائدة خاصة في استبيان افضل المسارات والاساليـــب لتحقيق سياسة معينة ، فتعدد المسارات واختلاف الظروف في ظل مسلمات صحيحة يمكن الباحث من رؤية تلك المتغيرات التي يجب تقاربها ، او العمل على توفيرها، بالاضافة الى ذلك فان المتتبع الدقيق لمسارات المواقف يسمـــح للباحث ان يتلمس نقاطا معينة على المسار قد تتشعب عندها مسائل فرعيـــة بعواقب واثار محددة من الصعب ان ينتبه لها صانع السياسة او المخطط اذا اتبع اسلوبا او منهجا للتنبؤ والتخطيط السياسي لا يضمن له هذه الدقة ·

## ( نموذج ) لاتخاذ القرار بعد تحديد استراتيجيتنا واستراتيجية العدو

ان اولى المهمات التي تقع على القيادات السياسية او العسكرية هي وضوح الرؤية وتحديد استراتيجيتنا واستراتيجية العدو لانه بدون ذلك لا يمكن كشـــف

مستقبل الصراع السياسي او العسكري ، وبمعنى آخر زج قواتنا البشرية والمادية لمعركة لا يعرف مصيرها وبالتالي لا يمكن وضع القرارات الصائبة الا بعد تقدير الموقف تقديرا يستند على الحقائق والاسس المادية التي تشكل القاعدة الاساسية لكل قرار ٠

ان القرارات التي تتخذ تتأثر بردود فعل كل من الصديق والعدو وتسمى القرارات التي تتخذ في مثل هذه الحالة ( اي تصور القرار قبل وضعه في مرحلة التنفيذ ) بنظرية المباريات ، فقد يكون للعدو مثلا استراتيجيات مختلفة تتخذ بحسب استراتيجياتنا وقد تتغير استراتيجيته بحسب تغير استراتيجياتنا٠

وتتضمن نظرية المباريات ـ في مثل هذه الحالة ـ على تحديد مختلف الاستراتيجيات الممكن اتخاذها ومختلف استراتيجيات العدو الممكن اتخاذها على ضوء استراتيجياتنا ، ومختلف النتائج الناجمة عن هذه الاستراتيجية وتقرير الاستراتيجية الاكثر عطاء او مردودا ، وحتى يمكن لهذه الاستراتيجية النجاح يجب البحث عن استراتيجيات العدو الممكنة وعدم تسرب استراتيجياتنا اليه ٠

بالنسبة لاستراتيجيات العدو يمكن تحديد ثلاثة استراتيجيات امكن معرفتها خلال الصراع العربي ـ الاسرائيلي ، الدائر منذ ما يقارب الثلاثين عاما ٠ ولكي نحدد هذه الاستراتيجيات علينا اولا تحديد العوامل والاعتبارات والاساليب التي تشكل القاعدة الاساسية لكل استراتيجية سواء كانت لنا ام للعدو ٠

ان العوامل الاساسية التي تنبثق منها الاستراتيجيات الاسرائيلية تنبع من :

١ ـ الاقتصاد بالموارد المادية نتيجة لوضعها المحدود واحيانا شحها وعدم تلبيتها للحاجات الضرورية ٠

٢ ـ ضآلة حجم القوى البشرية بالمقارنة مع المهمات والاطماع التي تضعها الصهيونية العالمية لتنفيذ مخططاتها ٠

٣ ـ الموقع : وكونه محاصرا ما عدا البحر بدول عربية معادية لاسرائيل تتفاوت درجة العداء في ضوء انظمة كل دولة من دول المواجهة ٠

٤ ـ المساحة : والتي لم تعلن اسرائيل صراحة ما هي الحدود الدنيا والقصوى «لدولة اسرائيل » ٠

٥ ـ طبيعة ارض المعارك : وهي تختلف وتتنوع ، فحدود « اسرائيل » مع مصر بصورة عامة صحراوية ، ومع الاردن جبلية وسهلية ، ومع سوريا متنوعة بين

جبلية وسهلية ، ومثل ذلك حدودها مع لبنان ٠

ان هذه العوامل الرئيسية الخمسة انبثقت عنها عدة اعتبارات اهمها :

١ ـ استحالة صمود « اسرائيل » في حرب طويلة الامد مع العرب ٠

٢ ـ صعوبة تحقيق اهدافها المطلوبة وخاصة بعد ان اخذت الامة العربية تدرك مدى الخطر الاسرائيلي وترفع باضطراد مستوى قواتها المسلحة ٠

٣ ـ استحالة التفوق العددي ٠

٤ ـ صعوبة التوفيق بين متطلبات الدفاع ومتطلبات التنمية حتى ولو بقيت الموارد الامريكية وغيرها كألمانيا الغربية تغذيها باستمرار ٠

٥ ـ صعوبة الدفاع عن جبهات متعددة ٠

٦ ـ الافتقار للعمق الاستراتيجي حتى ولو بقيت محتلة للقسم الاكبر من شبه جزيرة سيناء ٠

٧ ـ خطورة عامل الزمن ٠

٨ ـ تجميع مراكز السكان والنشاط الاقتصادي في اماكن محددة وضيقة ( مثال منطقة تل ابيب والقدس وحيفا ) ٠

٩ ـ صعوبة الدفاع عن حدود طويلة وغير طبيعية ٠

١٠ ـ صعوبة الدفاع عن مواقع ثابتة في الصحراء ( مثلا صحراء النقب وسيناء )

١١ ـ صعوبة القيام بالعمليات العسكرية النهارية ٠

١٢ ـ سهولة عزل القوات الاسرائيلية في حال دخول دول المواجهة العربية في حرب جدية ضد « اسرائيل » ٠

وعلى هذا الاساس يمكن التركيز على استراتيجيتين للعدو نرمز لهما بالحرفين (س) و (ص) ٠ هذا لا يمنع من استنتاج استراتيجيات اخرى غير اننا سنعتبر ان س ، ص هما الاستراتيجيتين الرئيسيتين للعدو الاسرائيلي اللتين برزتا على ضوء تجاربنا نتيجة لدخول العرب ضد « اسرائيل » في خمس حروب ( اعتبرنا الحرب الاخيرة بين الفدائيين الفلسطينيين ومعهم القوى التقدمية اللبنانية ضد « اسرائيل » هي الحرب الخامسة ) ٠

**استراتيجية س :** تعتمد على الحروب الخاطفة التي تعتمد على مبادىء المباغتة والاعتماد على السلاح الجوي / سرعة الحركة ثم الاعتماد على التدخل الاجنبي لوقف الاشتباكات ( البوليس الدولي مثلا ٠٠ ) عندما يشعر القادة

الاسرائيليون ان نتيجة الحرب لن تكون لصالحهم ٠

**استراتيجية ص :** الانتقال من الدفاع او الهجوم او العكس دون الاعتماد على التفوق العددي حيث تعوضه اسرائيل بالتفوق النوعي ولتحقيق ذلك تعتمد على:

أ ـ الدفاع المتحرك ٠ ب ـ الهجوم المفاجىء ( المباغتة ) ٠ ج ـ التعاون في تشكيل مجموعات القتال بشكل مرن ٠

وفي كل الحالات ، التركيز على التدريب العنيف المستمر لرفع كفاءة القوات المقاتلة (بصورة خاصة القتال الليلي) ٠ وتحاول «اسرائيل» استخدام كل الطرق: التركيز على جبهة واحدة وتجميد الجبهات الاخرى حتى يتم تأمين الجبهة الاولى مستفيدة من تناقضات الدول العربية ثم الانتقال الى جبهة اخرى ٠

مقابل ذلك يمكن تحديد استراتيجيتين عسكريتين للمواجهة نرمز لهما بـ ( ب ) و ( ج ) ٠

**استراتيجية ( ب ) :** قيادة عسكرية عربية موحدة ـ وضع خطة مرحلية لتحرير الاراضي التي احتلت عام ١٩٦٧ ـ وان امكن استثمار الفوز لتحرير فلسطين بهدف هزيمة الجيش الاسرائيلي ، ثم خلق الظروف الموضوعية لانشاء دولة ديموقراطية يتعايش فيها العرب واليهود وباقي الاديان والطوائف على قدم المساواة وهذا يتطلب الاتي :

١ ـ الاعتماد على خطة سياسية موحدة ٠

٢ ـ تصفية الخلافات ٠

٣ ـ تأمين العمق العربي لجبهات القتال وخاصة دور العراق وجيشه الذي يلعب دورا حاسما في تحقيق النصر ٠

٤ ـ تهيئة الامة العربية ماديا ومعنويا لمواجهة الحرب الطويلة الامد اذا اقتضت الظروف ذلك ٠

٥ ـ كسب الرأي العام الدولي ٠

**استراتيجية ( ج ) :** الدخول في حرب ضد « اسرائيل » دون تأمين عنصر المبادرة بأيدي الدول العربية ( وهذا ضعف لا يزال قائما ) ويستثنى من ذلك ما حدث في حرب التحرير ( تشرين سنة ١٩٧٣ ) لحد ما ٠ مع عدم ضمان استمرار الحرب حتى تحقيق النصر بسبب عدم تماسك الجبهات العربية والافتقار لقيادة المعارك من قبل قيادة مركزية موحدة ، عدم اشراك الشعب واستغلال طاقاته وامكاناته في حال امتداد الحرب ٠

**ملاحظة**

ان ما ذكرناه بالنسبة لاستراتيجياتنا واستراتيجيات العدو هو فرضيات قابلة للجدل والتعديل على اعتبار ان تحديد اي استراتيجية سواء لنا او للعـــدو بشكلها النهائي والدقيق انما يخرج عن نطاق بحثنا ٠ فالهدف من مناقشة مثل هذه الاستراتيجيات مع مراعاة قربها بقدر الامكان من الواقع ان هو الا طريق لمعالجة اسلوب اتخاذ القرار العسكري او السياسي ٠

ولتوضيح كيفية اتخاذ القرارات في مثل الحالات المذكورة اي على اساس وجود استراتيجيتين للعدو (س) و (ص) واستراتيجيتين لنا (ب) و (ج) مـــع اعتبار نتائج هذه الاستراتيجيات ـ من وجهة نظرنـــا ـ مقاسة بدرجة وعـي عناصرنا وكفاءاتها في تقدير الموقف هي :

| استراتيجياتنـــا | | استراتيجيات العدو |
|---|---|---|
| ( ب ) | ( جـ ) | |
| ٢٠ | ٧٠ | س |
| ٨٠ | ١٠ | ص |

فلو تبنى العدو استراتيجية (س) لكان لزاما علينا تبني استراتيجية ( جـ ) لانها تعطي مردودا اعلى ، اي ٧٠ بدلا من ٢٠ ٠ ولكن العدو قد ينتقل الى اتباع استراتيجية (ص ) ، حيث تحقق قيمة ١٠ فقط ٠ ولكـن قد ننتقـــل الى تبنـي استراتيجية ( ب ) ، حيث نحقق ٨٠ ٠ وقد يكون من الافضل لنا ، دوما ، اتباع استراتيجية ( ب ) ، لاننا سنحقق ٢٠ و٨٠ وفق ردود الفعل ٠

هـاني حوراني

# مقدمات نشوء الطبقة العاملة والحركة النقابية في الاردن "١٩٥٠ - ١٩٥٧"

ظهرت بدايات تشكل الطبقة العاملة في الاردن ، في خضم جملة معقدة من الظروف والتحولات السياسية والاجتماعية والاقتصادية العاصفة ، وكثمرة من ثمار هذه التحولات. ولقد شكلت نتائج حرب ١٩٤٨ الفلسطينية المقدمة المباشرة، والاولية ، التي سرعت عملية تبلور الطبقة العاملة وحركتها النقابية ، كما شكل الوضع الجديد الناشيء عن الحاق وضم الضفة الغربية والشعب الفلسطيني الى السيادة الاردنية « اي قيام وحدة الضفتين » ، وانخراط الشعبين الاردني والفلسطيني في النضال الموحد ضد السيطرة البريطانية والدكتاتورية الحاكمة ، ومن اجل التحرر الوطني والديمقراطية ، الاطار العام ، الذي تحددت من خلاله ملامحها ، وتشكلت منظماتها النقابية ، واندفعت تخوض معاركها الاولى ، الوطنية منها والطبقية .

ان مراجعة تاريخية سريعة لنتائج حرب ١٩٤٨ من جهة ، ولظروف الاردن بضفتيه في الخمسينات ، تساعد على معرفة الممهدات والظروف الموضوعية التي سرعت من تبلور الملامح الاولى للطبقة العاملة ولنشوء حركتها النقابية ، كما تساعد على رؤية مميزاتها العامة آنذاك .

## النتائج المباشرة لحرب ١٩٤٨

١ ـ ادت الحرب عام ١٩٤٨ الى احتلال القسم الاكبر من الارض الفلسطينية ، والى افقاد غالبية الشعب الفلسطيني وسائل انتاجه ، ومصادر تشغيله الرئيسية ، من ارض ومؤسسات انتاجية صناعية وحرفية ، ومن مرافق خدمية مختلفة .

**ولقد ادى انهيار البناء الاقتصادي الخاص بالشعب الفلسطيني ، بسبب الاحتلال والتشريد والهجرة الواسعة ، الى افقاد غالبية الشعب الفلسطيني المرتكز المادي الثابت ، والى تفكيك تركيبه الاجتماعي ، وافقاده وحدته وتماسكه** · ذلك ان الاحتلال مثلما حرم الغالبية العظمى من العمال والشغيلة والمستخدمين بأجور من مصادر تشغيلهم وعملهم السابقة ، فقد ادى ايضا الى افقاد غالبية الفلاحين والمنتجين بفئاتهم الاجتماعية المختلفة وسائل انتاجهم ، وباستثناء قلة قليلة استطاعت اخراج اموالها ومدخراتها او بعضها ، وتمكنت بذلك من استعادة موقعها الطبيعي السابق ، فان الغالبية العظمى من الفلاحين والحرفيين والتجار الصغار باتوا في عداد اللاجئين المعدمين تماما ·

ومن بين اللاجئين الفلسطينيين الذين غادروا مناطقهم ، هاجر الى ضفتي الاردن حوالى ٦٥٪ منهم ، اي ما بين ٤٣٠ الفا و ٤٩٠ الف مواطن (١) · ولقد اتجه القسم الاعظم منهم الى الضفة الغربية ( حوالى ٤٣٪ مقابل قرابة ١٢٪ الى الضفة الشرقية ) (٢) · ولقد ضاعف هذا من مشكلات الضفة الغربية التي تضررت بقوة من جراء الاحتلال الاسرائيلي للقسم الاكبر والاكثر حيوية في فلسطين · ذلك ان قسما كبيرا من القوة العاملة لسكان الضفة الغربية كان يعمل في القسم المحتل من فلسطين ، والذي تركزت فيه الصناعة والخدمات والمرافق العامة والزراعة الحديثة · وعلى سبيل المثال ، فان ٢٠ الف مواطن من الضفة الغربية كانوا يعملون في اجهزة الادارة الحكومية او الجيش من اصل ٥٥ الف عربي يعملون فيها (٣) · مما يدل على درجة اعتماد سكان الضفة الغربية على مصادر العمل القائمة في الجزء المحتل من فلسطين ·

وبالاضافة الى الاعباء الناجمة عن هجرة اعداد كبيرة من اللاجئين الى الضفة الغربية ( ٢٠٤ الاف نسمة لعام ١٩٥٢ ، او ٥ر٢٧٪ من سكان الضفة الغربية ) (٤) والمحرومين من فرص العمل ، وعن فقدان جزء هام من القوة العاملة في الضفة الغربية ، مصدر معيشتها في المناطق التي باتت محتلة ، لحقت خسائر كبيرة بفلاحي القرى الامامية ، حيث نجم عن تعديل خطوط الهدنة عام ١٩٤٩ فقدان ٣٨٪ من اراضي القرى الامامية ، مع العلم انها كانت افضل اراضي الضفة الغربية ، واكثرها انتاجا ( زراعة فواكه وزراعات مروية ) (٥)· مما ادى بالتالي الى اضافة ١٤ الف عائلة او ٨٠ الف شخص الى عداد فاقدي مصادر معيشتهم · وبشكل عام ، بلغ عدد السكان المعتمدين على الزراعة في الضفة الغربية ٣٦٥ الف نسمة ، في حين كان عدد السكان ، الذين بالكاد تكفي الاراضي الصالحة للزراعة لاعالتهم ، لا يزيد على ٢٣٠ الف نسمة ، مما يعني ا ن١٣٠ الف نسمة من مزارعي الضفة الغربية كانوا محرومين من الاراضي الكافية لاعالتهم (٦) ( شكلت مساحة الضفة الغربية ٥٠٠ر٥ كم٢ ، كانت ما مساحته ٠٠٠ر٢ كم٢ صالحة للزراعة ، وبلغ المستغل منها في زراعة الخضار

والفواكه ٦٥٠ كم٢ ، في حين كانت المساحة الباقية ( اي ٥٠٠ر٣ كم٢ ) اراض غير صالحة للزراعة او هي حرجية او غابية ٠

اما الضفة الشرقية ( شرقي الاردن ) فقد لحقت بها خسائر مباشرة من جراء الاحتلال الاسرائيلي لغالبية فلسطين ٠ وتتمثل هذه الخسائر في فقدان السوق الفلسطيني كسوق رئيسي للصادرات الاردنية ، او كمعبر للتصدير الخارجي ، كما فقد شرقي الاردن فرصته في الاستفادة من موقعه الوسيط كمعبر ـ ترانزيت ـ لتجارة بعض الاقطار العربية ( ولا سيما العراق ) مع فلسطين وموانئها على المتوسط ٠ ولقد ارتفعت بعد الاحتلال الاسرائيلي نفقات الاستيراد والتصدير ، بعد استبدال ميناء حيفا بميناءي بيروت والعقبة ٠

لكن الخسارة الاكبر لشرقي الاردن كانت فقدان فلسطين كسوق عمل لحصة كبرى من القوة العاملة الشرق اردنية ، والتي كانت تتراوح بين ٣٠ الفا في منتصف الثلاثينات ، و ٤٠ الفا عام ١٩٤٧ (٧) ٠

ونظرا لتقسيمة العمل الداخلية ما بين فلسطين وشرقي الاردن ، فقد تسببت الحرب والاحتلال ببعض المضار للاقتصاد التقليدي الاردني ، ولا سيما للاقتصاد الزراعي والرعوي ، اذ كانت فلسطين سوقا للمنتجات الزراعية والحيوانية الاردنية ، ولا سيما للحبوب واللحوم ، كما كانت سوقا لبعض المنتجات الاستخراجية ، ولا سيما الفوسفات ٠

ان جملة النتائج المترتبة على حرب ١٩٤٨ ، واحتلال القسم الاكبر من فلسطين ، قد اسهمت في بلورة مشكلة مباشرة فائقة الاهمية ، وهي بروز جيش واسع العدد من العاطلين عن العمل ، والمحرومين من فرص التشغيل الدائم ٠ وبروز مشكلة البطالة بأشكالها المختلفة ، كمشكلة اجتماعية واقتصادية جدية ، طيلة السنوات التالية لهذه الحرب ٠

ووفقا لبعض التقديرات غير الشاملة ، كان ١٠٠ الف شخص من النازحين في سن العمل يعانون من البطالة ، ويعيلون ٤٧٤ر٨٠٠ شخص ، بالاضافة الى وجود ٢٢٠ الف مواطن من سكان الضفة الغربية كانوا في حالة معدمة ، او يعانون من الفقر المدقع ، بسبب فقدان معيلهم ٠ واذا اضفنا ، الى هؤلاء ، الاسر الاردنية المتضررة من فقدان ٤٠ الف مواطن اردني فرص عملهم في فلسطين المحتلة ، امكن تقدير حجم البطالة التي كانت تعاني منها غالبية القوة العاملة في الضفتين ، ولا سيما اللاجئون ، وسكان الضفة الغربية ٠ ( انظر الجدول رقم «١» ورقم «٢» ) (٨) ٠

**جدول رقم (١)**

| سبب فقدان التشغيل | عائلة | افـراد |
|---|---|---|
| ١ ـ فقدان الاراضي في القرى الامامية | ١٦ر٠٠٠ | ٨٠ر٠٠٠ |
| ٢ ـ عدم كفاية الاراضي | ١٠ر٠٠٠ | ٥٠ر٠٠٠ |
| ٣ ـ فقدان التوظيف في الحكومة والجيش | ٤ر٠٠٠ | ٢٠ر٠٠٠ |
| ٤ ـ فقدان مصادر التوظيف المدينية الاخرى | ٤ر٠٠٠ | ٢٠ر٠٠٠ |
| **المجموع** | **٣٤ر٠٠٠** | **١٧٠ر٠٠٠** |

Porter, R.S, *Economic Survey of Jordan,* ( 1953 ) p. 19.

**جدول رقم (٢)**

| | غير العاملين من الذكور البالغين | مجموع الاشخاص فاقدي مصادر الدخل |
|---|---|---|
| اللاجئون الفلسطينيون | ١٠٠ر٠٠٠ | ٤٧٤،٨٠٠ |
| فقدان اراضي في الضفة الغربية | ٢٩ر٥٠٠ | ١٣٠ر٠٠٠ |
| فقدان مصادر التشغيل المديني | ٨ر٥٠٠ | ٤٠ر٠٠٠ |
| **المجموع** | **١٣٨ر٠٠٠** | **٦٤٤ر٨٠٠** |

*Ibid*, p. 19.

٢ ـ لقد ادى الاحتلال الاسرائيلي لغالبية فلسطين ، والحاق القسم الشرقي منها بالسيادة الاردنية ، الى **انهاء وتصفية المؤسسات الاجتماعية الخاصة بالمجتمع الفلسطيني ، اي كافة مؤسسات البناء الفوقي** ، كالمؤسسات السياسية والعسكرية والاحزاب والجمعيات والنقابات ، وكذلك التشريعات والقوانين السارية في فلسطين ، والصحف الوطنية وغيرها من المؤسسات الاعلامية والثقافية ٠

لقد بقي مجال الفعل الرئيسي للمؤسسات السياسية والاجتماعية الفلسطينية هو الضفة الغربية وقطاع غزة ، وفعلا استمر عمل هذه الهيئات والاجهـــزة المختلفة لفترة وجيزة قبل نهاية الحرب ، الا ان الاطماع الهاشمية في الالحاق والضم برزت منذ بداية دخول القوات العسكرية الاردنية للاراضي الفلسطينية ، وبدأت تظهر مساعيها الجادة لتصفية كافة المؤسسات المعبرة عن شـــخصية الشعب الفلسطيني وهويته الوطنية ، فلم يخف عبد الله نواياه العدائية تجـاه قيادة الشعب الفلسطيني آنذاك ، فأعلن في منتصف ايار ١٩٤٨ ان الهيئة العربية العليا لم تعد تمثل عرب فلسطين ٠

ورغم ان جزءا بسيطا من الاراضي الفلسطينية ( منطقة القدس ـ اريحا ) كانت تحت سيطرة الجيش الاردني بعد نشوب القتال ٠ الا انه سرعان ما بدأت اشكال المضايقة ثم التصفية للمؤسسات الخاصة بالشعب الفلسطيني ، لقد عين الملك في ١٩٤٨/٥/١٩ حاكما عسكريا عاما على المناطق التي تحت اشـراف القوات الاردنية ، واعلن الاخير عن خضوع المناطق لقانون الدفاع عن شـرق الاردن لعام ١٩٣٥ والانظمة الصادرة بمقتضاه ، الامر الذي يعني وقف مفعول القوانين الضامنة لحقوق وحريات المواطنين المدنية ، وبين٦ و ٢٥ نيسان ١٩٤٩ كانت المناطق الفلسطينية الواقعة تحت سيطرة الجيش العراقي قد انتقلت الى يد الجيش الاردني ، كما انسحبت القوات المصرية وسلمت المناطق الواقعة تحـت سيطرتها الى القوات الاردنية في اواخر نيسان ١٩٤٩ ٠

وفي غضون ذلك كانت اجراءات التعقب والمطاردة بحق المنظمات الوطنـية السياسية والعسكرية تجري على قدم وساق ٠ ففي ١٩٤٨/٩/٢٨ اصدر الفريق غلوب ، قائد الجيش الاردني ، الى ضباطه امرا بمصادرة اسلحة الجهـــاد المقدس ، وفي مطلع تشرين الاول ١٩٤٨ كانت القوات الاردنية تتلقى الاوامر باخضاع الجهاد المقدس لادارتها ، وكان هذا يترافق مع تصاعد الموقف العدائي الهاشمي من قيادة الشعب الفلسطيني ، التي كانت قد اعلنت عن قيام حكومـة عموم فلسطين ٠ ففي ١٩٤٨/٩/٢٢ كان الملك عبد الله يبلغ امين عام الجامعة العربية عدم استعداده لادخال يد ثانية في مسؤوليات الضفة الغربية التي كانت تحت مسؤوليات حكومته العسكرية (٩) ٠

ولقد ذهبت الحكومة الاردنية ابعد من ذلك ، اذ انها دعت لعقد مؤتمر عمان في ١٩٤٨/١٠/١ ، اي في الوقت نفسه الذي انعقد مؤتمر غزة لاعطاء الثقـة بحكومة عموم فلسطين ، وذلك لنزع ثقة المؤتمر ( اي مؤتمر عمان ) بالهيئـة العربية العليا ، ولاعطاء الملك عبد الله تفويضا مطلقا بالتحدث باسم الشعـب الفلسطيني ، ومعالجة قضيته بما يرى ٠ ثم طالب الملك عبد الله على اثـر ذلـك ( ١٠/١٥ ) بحل حكومة عموم فلسطين ٠

وغني عن البيان ، ان السلطات الاردنية قد حالت ، ما امكنها ، دون مشاركة الشخصيات الوطنية الفلسطينية في مؤتمر غزة ، واجبرت المندوبين على التوجه الى مؤتمر عمان تحت قوة السلاح ، وهددت كل من يشارك في مؤتمر غـــزة بالاعتقال ، وبمنعه من العودة الى بلده · ولقد نصبت الحكومة الاردنية هيئات على الشعب الفلسطيني واعطيت حق التحضير والدعوة لمؤتمر عمان دون ان تتمتع بأي قوة تمثيلية وطنية وشعبية ، وكانت هذه الهيئات من عتاة الرجعيين ، ورجال الدين التقليديين ، والاقطاعيين ، وزلم ادارة الانتداب · وعلى اثر ذلك صعدت الاجراءات القمعية والتصفوية بحق المؤسسات الوطنية ولا سيما تجاه الفصائل المسلحة · ففي ١٩٤٩/١/١٨ حوصر مقر الجهاد المقدس في بيرزيت وصودرت اسلحته وقبض على افراده · ثم تكررت حوادث مداهمة مقار الجهاد المقدس الاخرى ، الامر الذي اضطر مقاتلي الجهاد المقدس اللجوء الى الاراضي الواقعة تحت ادارة مصر ، وقد خرجوا من البلاد بخروج القوات المصرية (١٠)·

واعتمادا على قانون الدفاع المذكور ، كان الحاكم العسكري العام ، وسائر الحكام العسكريين للالوية ، يتمتعون بصلاحيات مطلقة في قمع الجماهير ، حيث كانت تفرق تظاهراتهم بقسوة ، ويقبض على المئات ويساقون الى السجون او المنافي الاردنية ·

ورغم ان الجماهير عارضت الالحاق الهاشمي بقوة ، فقد مضي فيه ضـد ارادة الجماهير وقواها الوطنية · فقد سارت التظاهرات المحتجة على الالحاق والضم ، وعارض هذا الضم الحزب الشيوعي ( عصبة التحرر الوطني ) والهيئة العربية العليا ، وهيئات وطنية اخرى ، ولم تجد الرجعية الهاشمية من سند لها في اعطاء الالحاق شرعية مزيفة سوى من الاقطاع والكومبرادور الفلسطيني ، ومن رجال الانتداب وحزب الدفاع ، وهي القوى التي شاركت في مؤتمر اريحا ( ١٩٤٨/١٢/١ ) واعطت موافقتها على الضم وعلى تتويج الملك عبد الله ملكـا على فلسطين · ولا بد من التنويه الى ان بعض الشخصيات الوطنية شاركـت في المؤتمر من منطلقات قومية ووطنية ، وظنت ان بوسعها الحفاظ على شيء من الحقوق الوطنية من داخل المؤتمر المذكور · ولم يلبث الحاكم العسكري الاردني ان اعلن ان العديد من المنظمات الوطنية والتقدمية المعارضة للالحاق منظمـات غير مشروعة ، وطوردت بقسوة (١١) ·

بعد استتباب الالحاق ، جرى رفع الحكم العسكري عن الاراضي الفلسطينية وحل محله قانون الادارة العامة في فلسطين رقم ١٧ لسنة ١٩٤٧ ، وعين حاكم اداري عام على الضفة الغربية بدلا من الحاكم العسكري العام · لكن هذا لـم يعن ان الجماهير باتت اكثر حرية من قبل · وفي الواقع جرى حرمان الجماهير الفلسطينية من كل الحقوق والمزايا النسبية التي كانت توفرها التشريعات السارية

في فلسطين ، في عهد الانتداب · اما مع السيطرة الهاشمية ، فقد حرم المواطنون من الحقوق والحريات النسبية المتوفرة من قبل · لقد اعطى الملك عبد الله نفسه ومن يفوضه حريات مطلقة في التصرف بشؤون الشعب الفلسطيني ، استنادا الى القانون ٤٩ لعام ١٩٤٩ · وفي منتصف كانون الاول ١٩٤٩ الغي الحكم الاداري للضفة ، واتبعت مناطقها بوزارة الداخلية ، ثم جرى تجنيس الفلسطينين بالجنسية الاردنية ، والغيت الاجراءات الجمركية بين الضفتين في اواخر ١٩٤٩، وشرعت السلطة بالتحضير لاول انتخابات نيابية للضفتين ، وجرت هذه فعلا في ١٩٥٠/٤/١١ (١٢) ·

وفي غضون الفترة التي سبقت نهاية الحرب ، وحتى الالحاق الرسمي للضفة الغربية بالحكم الهاشمي ، كانت تجري عملية تصفية للمؤسسات الوطنية الخاصة بالشعب الفلسطيني ، واستبدالها بمؤسسات اخرى متناسبة مع المطامع الالحاقية للنظام الهاشمي · فقد حلت السلطة العسكرية كسلطات واقعية على الجماهير بدلا من سلطات الادارة السابقة للانتداب ، وأحلت الحكومة الاردنية نفسها مكان الهيئة العربية العليا بوصفها الهيئة السياسية القيادية للشعب الفلسطيني ، ثم جرت تصفية القوات والفصائل الخاصة بهذه الهيئة ( الجهاد المقدس ) وطوردت مجموعات الفدائيين والمقاتلين الاخرى ، واخليت الاراضي الفلسطينية منها ، وساد التحكم المطلق للحكم العسكري الاردني ، ثم جرى ايقاف مفعول القوانين السارية في البلاد باعلان قانون الدفاع ، الذي كفل سلطة مطلقة للحكم العسكري · ومع اعلان المنظمات والاحزاب والجمعيات الوطنية كأحزاب ممنوعة ، كان يجري دعم الاحزاب الرجعية في فلسطين ، كحزب الدفاع ، وجرت فبركة اشكال مختلفة من التنظيمات الرجعية من قبل الحكام العسكريين للضفة الغربية واعوانهم ، ولوحقت الاحزاب والتجمعات الوطنية ، كعصبة التحرر الوطني ، وحزب الجيل الجديد ( فرقة سياسية من حزب البعث الذي تشكل لاحقا ) وصودرت الصحف او مورست ضدها رقابة شديدة ، وكانت تحذف منها مقالات بأكملها ، وقمعت الاضرابات العمالية ، وحلت المنظمات النقابية وطوردت قياداتها ·

لقد استخدمت وسائل قمعية مباشرة في اعادة بناء مؤسسات الادارة والحكم المحلي في الضفة الغربية ، لصالح ارساء وترسيخ الالحاق · فقد سبق مؤتمر اريحا والضم الرسمي للضفة الغربية ، تعيين اتباع الالحاق في المراكز الادارية الحساسة في الضفة كحكام الالوية ورؤساء البلديات ، واجبر كل من يوافق على حضور مؤتمر اريحا على ترك منصبه ، عوضا عن مطاردة ومضايقة العناصر الوطنية الشريفة · وفي الواقع ، جرى بناء واعادة تنشيط اجهزة الادارة في الضفة الغربية اعتمادا على اتباع الحكم الهاشمي في فلسطين ، كأزلام حزب الدفاع ، وعلى رجال حكومة الانتداب السابقين ، وعلى الوجهاء والاقطاعيين

ورجال الدين الرجعيين ، وقد فضحت الصحافة الوطنية آنذاك ، ما وسعها ، الطابع الوصولي والاستحذائي الذي صبغ التعيين في مراكز الادارة في الضفة الغربية ٠

ولم يلبث ان ادخل الى الوزارة الاردنية ابناء الاسر الوجيهة والنافذة طبقيا ، وبعضهم كان من عتاة الرجعيين ٠ هكذا اضيف ثلاثة وزراء فلسطينيين في ١٩٤٩/٥/٧ الى الحكومة الاردنية : روحي عبد الهادي ( للخارجية ) ، خلوصي الخيري ( للتجارة والزراعة ) ، موسى ناصر ( المواصلات ) ٠ وفي اب ١٩٤٩ اضيف راغب النشاشيبي ( وزارة اللاجئين ) زعيم حزب الدفاع الرجعي ، المناهض لقيادة الحاج امين الحسيني الوطنية ، والمتعاون مع سلطات الانتداب البريطاني والاطماع الهاشمية مبكرا ٠

وكانت خاتمة المطاف في اجراءات فرض الالحاق واعطائه طابعا شرعيا ، هو قيام برلمان واحد للضفتين على اثر الانتخابات النيابية في ١٩٥٠/٤/١١ ، حيث انتقلت مقدرات الشعب الفلسطيني الى ايدي السلطة الحاكمة في الاردن بشكل كامل ، وبدأت تفرض نفسها ممثلا لهم (١٣) ٠

٣ ـ لقد تلت الحرب والنزوح والالحاق جملة من التحولات السكانية والاجتماعية ـ الاقتصادية المتسارعة ٠ **فمن جهة اولى ، انتقل الثقل الرئيسي للاجئين من الضفة الغربية الى الضفة الشرقية** ٠ فلقد عانت الضفة الغربية بعد الحرب من اكتظاظ سكاني كبير لا يتناسب مع قدراتها آنذاك ، ولا مع وتيرة نمو هذه القدرات في ظل الحكم الاردني ٠ لقد كانت الاراضي الزراعية في الضفة الغربية تؤمن بالكاد معيشة نصف السكان ، فكيف مع وجود اعداد كبيرة من اللاجئين المعدمين الذين لم تتوفر اية فرص جدية لعملهم فيها ٠ لذلك نمت الضفة الشرقية سكانيا على حساب الهجرة المتزايدة للاجئين ولمواطني الضفة الغربية اليها ٠ ولذلك وصلت نسبة المواطنين الفلسطينيين ( وجلهم من اللاجئين ) الى حوالي ٢٩٪ من سكان الضفة الشرقية عام ١٩٥٢ ، ثم الى ٤٠٪ في نهاية الخمسينات وبداية الستينات ( تعداد السكان لعام ١٩٦١ ) (١٤) ٠

لقد اتخذت هذه الهجرة طابع **الهجرة الاقتصادية** ، شأنها شأن الهجرة السكانية الفلسطينية الى خارج الضفتين ٠ ان سبب هذه الهجرة التي شملت اللاجئين ومواطني الضفة الغربية الاصليين على حد سواء ، **هو ضعف وتيرة** النمو الاقتصادي في الضفة الغربية ، وتركز المشاريع الاقتصادية والاستثمارات والادارة الحكومية والقسم الاكبر من الخدمات في الضفة الشرقية ، الامر الذي ادى الى ازدياد الهجرة للضفة الشرقية ، وبالتالي نقص معدلات النمو السكاني للضفة الغربية ، سنة بعد اخرى ، عن معدل الزيادة الطبيعية للسكان ٠ وقد لاحظ جميل هلال ان معدل الزيادة السنوية لسكان الضفة الغربية لم تزد عن

٩٪ سنويا في حين ان الزيادة الطبيعية كانت تقارب ٣٪ · ولذلك ، وبدلا من ان يزداد عدد سكان الضفة الغربية بمقدار ٢٣٠ الف نسمة خلال سنوات ٥٢/٦١ ، فان الزيادة اقتصرت على ٦٣ الف نسمة · اما باقي السكان فقد اضطـــروا للنزوح بمعدل ١٨ر٨٠٠ نسمة سنويا (١٥) · ويصل نزيه قورة الى النتيجـــة نفسها تقريبا حيث يلاحظ ان الزيادة الفعلية اقتصرت على ٦٦ر٤٥٢ شخصا ، وان ١٨٦ر٩٧٦ شخصا قد تركوا الضفة الغربية خلال ٥٢/١٩٦١ (١٦) · واذا كانت الضفة الغربية لم تتأثر في البداية من نتائج الهجرة المستمرة ، والواسعة ، نظرا لوجود فائض واسع في القوة العاملة خارج العمل ، فلم تلبث الضفـــة الغربية ان عانت فيما بعد من جراء هذا النقص الذي افرغها من افضل الطاقات الشابة ، حيث تدنت نسبة الشباب ( بين سن ٢٥ ــ ٤٥ ) في الضفـــة الغربيـــة مقارنة مع الضفة الشرقية ، خاصة وان ٧٨٪ من الذكور المهاجرين من الضفة الغربية كانوا من الشباب ، منهم ٦٠٪ اعمارهم بين ٢٠ ــ ٢٩ سنة (١٧) ·

ومقابل النمو السكاني المؤقت لمدن الضفة الغربية بعد حرب ١٩٤٨ مباشرة ، الذي لم يلبث ان تراجع بقوة خلال السنوات اللاحقة ، فان مدن الضفة الشرقية شهدت نموا سكانيا متعاظما منذ البداية ، وظلت تحافظ على وتيرة عالية فـــي نموها السكاني ، تكاد لا تضارعها فيه مدن اية دولة اخرى · فمن جراء الهجرة من الضفة الغربية ، والهجرة من الريف الاردني ، ازداد عدد سكان مدن عمان والزرقاء واربد بنسب خيالية · فعمان زاد عدد سكانها بين عامي ٥٢ ــ ١٩٦١ بمقدار ١٢٨٪ ، كما فاق نمو سكان الزرقاء حد التصور ، اذ نمت خلال الفترة نفسها بنسبة ٢٣٨٪ ، ونمت اربد بنسبة ٦٠٪ والعقبة بنسبة ١٧٠٪ في الفترة ذاتها · واذا اخذنا بالاعتبار ان جملة المدن المذكورة كانت قـــد استقبلت هجرة واسعة من الفلسطينيين قبل عام ١٩٥٢ ، لتبين لنا ان اهم المراكز المدينية فـــي شرق الاردن قد اكتسبت طابعها المديني هذا ، على هذه الهجرة السكانيـــة وبفضلها · فبعد ان كان عدد سكان المدن الثلاث الرئيسية في الضفة الشرقية ( عمان ، الزرقاء ، اربد ) يوازي ٢ر٢٧٪ من السكان عام ١٩٥٢ ، بات يشكل ٤ر٤٣٪ من السكان عام ١٩٦١ (١٨) ·

ان مجمل التحولات السكانية المذكورة ، تبين لنا الارضية العامة للتحولات الاجتماعية السياسية العاصفة التي شهدتها ضفتي الاردن بعد حـــرب ١٩٤٨ والالحاق · حيث شهدت الضفة الشرقية بداية عملية امتزاج واسعة ، سكانية واجتماعية واقتصادية وثقافية بين الشعبين الفلسطيني والاردني ، اذ ادت هذه الهجرة السكانية الكثيفة الى الضفة الشرقية ، ولا سيما الى مدنها الرئيسيـــة الى تحولها الى معاقل الصراع السياسي والاجتماعي في مطلع الخمسينات ، والى تعاظم النضال المعادي للامبريالية والرجعية الحاكمة ، والى زيادة تسييس الجماهير الاردنية وزيادة مشاركتها في النضال المناهض للسيطرة الاجنبية ،

ومن اجل الحريات الديمقراطية والتحرر الوطني والتقدم الاجتماعي ، كما ادت في المدى الابعد الى حفز المجتمع الاردني على استيعاب وتقبل التحولات النوعية في الانتاج والعلاقات الاجتماعية ، والى تغلغل العادات والقيم الجديدة ٠

٤ ـ كانت ابرز النتائج الاجتماعية للحرب والنزوح والالحاق بالنسبة الى المجتمع الفلسطيني ، هي انشطار بنيته الداخلية ما بين نازحين ومقيمين على ارضهم ، وافتقاد صلاته وترابطه الطبيعي السابق ٠ **لقد ادى هذا الى انشطار الطبقات الاجتماعية ، والى تبعثر اجزائها وتراتبها الطبقي السابق ، المستند الى نظام الانتاج الاجتماعي الفلسطيني القائم قبيل الحرب ٠**

**ان الحرب والنزوح قد اديا الى افقاد القسم الاعظم من السكان الاساس الاقتصادي الذي كانت تستند اليه العلاقات الاجتماعية ، والذي كان يحدد مكانة كل طبقة اجتماعية ، وموقعها ، من وسائل الانتاج ، وحصتها من الثمار الاجتماعية للانتاج ، كما كان يحدد اسلوب حصولها على حصة من الفائض الاجتماعي ، الامر الذي كان يرتب مواقع الطبقات المختلفة من النظام الاجتماعي والمؤسسات السياسية القائمة ٠**

وبكلمات اخرى ، فان الاثار الاجتماعية للحرب والنزوح والالحاق على المجتمع الفلسطيني لا يمكن رؤيتها فقط كمجرد نواتج للخسارة الاقتصادية المباشرة للارض ، ولوسائل الانتاج ، وللشروط المساعدة على الانتاج ، ولفرص العمل المأجور ٠٠٠ الخ ، بل ينبغي ان ترى الاثار الاجتماعية للحرب والنزوح والالحاق في كونها ، ايضا ، قد افقدت نظام الانتاج السابق انتظامه ، وتواتره ، وعلاقاته المستقرة نسبيا ، والتي كانت تعطي للهيكل الاقتصادي ، ولنظام الانتاج ، طابعه الاجتماعي ٠ فالعلاقات الاجتماعية السابقة ( اي العلاقات بين الطبقات ) ، والعلاقات داخل كل طبقة وداخل فئاتها المختلفة ، والموقع الخاص لكل طبقة ، كانا يعطيان المجتمع الفلسطيني سماته المحددة ، ويتسببان في حركته الخاصة ، كما ان تماسك المجتمع الفلسطيني وصبغته الاجتماعية كانا رهنا بهذه العلاقات وبفعلها الاجتماعي ، وبمجرد ان انفرط البناء التحتي للمجتمع ( بوصفه ناظم حركة الانتاج وتمزق تماسكه الداخلي ، من جراء فقدان الشروط الاولية والاساسية لوجوده ، اي الاحتلال والنزوح ) فقد تغيرت الشروط الموضوعية المحددة لمواقع الطبقات من وسائل الانتاج ، ولحصصها من الناتج الاجتماعي ، ولدور كل منها ، ولمواقفها من النظام الاجتماعي ، كما ان صفة كل طبقة من الطبقات الاجتماعية قد اختلت في ضوء تعرضها لظروف وشروط جديدة ، لان الحرب والنزوح قد اديا ، اساسا ، الى تحويل مواقعها في نظام الانتاج ٠ ولقد تسببت الحرب والهجرة بانشطار بنيوي في الطبقات الاجتماعية الفلسطينية مع فقدان اساس تكوينها واستمرارها كطبقات متمايزة ٠

هكذا تحولت اقسام هامة من الطبقات الفلاحية والعمالية المأجورة والبرجوازية الصغيرة المدنية الى كتلة بشرية من النازحين احتاجت عملية تمايزها الطبقي وتراتبها الاجتماعي ( على اساس طبقي وغير طبقي « عشائري ، اسري ، مهني ، مناطقي » ) الى شيء من الزمن ، كما ان هذه الكتلة من النازحين ، كانت كتلة متحركة ومتنوعة فهي لم تحافظ على وضعها كما كان عشية الحرب ، بل شهدت انسحابات مستمرة منها ، كما ان صبغة الكتل النازحة الاجتماعية كانت على صلة وطيدة بالوسط الاقتصادي الاجتماعي الذي حلت فيه ، الامر الذي قرر صبغتها الفلاحية والزراعية او المدينية ، كما قرر الى اي حد خضعت لعملية البلترة الرثة والهامشية ٠

اما الفئات الاجتماعية الوسطى ، واصحاب التعليم العالي ، والكادرات ، فقد انشطرت ايضا بسبب تخلف الاقتصاد الاردني ، وضيق فرص العمل ولا سيما ايام النكبة الاولى ، فهاجرت اقسام منها الى اقطار عربية اخرى ، بحثا عن فرص بدء حياة جديدة ولاعالة اسرهم ، اما من بقي منهم في البلاد فقد تعرضت مواقع هذه الفئات تحت وطأة الظروف الجديدة ، لتحولات اجتماعية ، الى هذا الحد او ذاك ٠

لقد هاجرت اقسام هامة من الشغيلة مقابل اجور ، ولا سيما اصحاب المهارات منهم ، الى بلدان اخرى ، فيما كونت الاقسام الباقية مادة الطبقة العاملة ، التي اخذت تتشكل حركتها خلال سنوات الخمسينات الاولى ٠

يمكن القول ، ان الطبقات والفئات العليا في المجتمع الفلسطيني كانت اقدر من غيرها على الاحتفاظ نسبيا بمواقعها الاقتصادية المتميزة والعليا ، سواء منها من هاجر الى البلدان العربية المجاورة ، ولا سيما لبنان ، او التي بقيت في الضفتين ٠ لكن توزع هذه الفئات والطبقات ما بين الاقطار العربية المختلفة كان يعني تفاوت الشروط التي استعادت فيه مواقعها المتميزة ٠

ان وضع اقسام من الفئات والطبقات العليا الفلسطينية ، التي انتقلت الى شرق الاردن ، او الضفة الغربية ، وتلك التي تنتمي اصلا الى الضفة الغربية ، يختلف الى حد كبير عن ظروف الاقسام الاخرى من الطبقات العليا الفلسطينية التي انتقلت الى بلدان عربية اخرى ٠

اذ ان الارستقراطية ، والاسر الوجيهة ، والبرجوازية ، وخاصة الكومبرادورية منها ، قد حافظت الى حد كبير على مواقعها المتمايزة ، ولا سيما تلك التي تنتمي اصلا الى الضفة الغربية ، ان ممثلي الاقطاع والاسر الوجيهة والبرجوازية الكومبرادورية هي التي اعطت الالحاق الهاشمي ستارا من الشرعية ، عندما وافقت ، في مؤتمر عمان ، على ضم الضفة الغربية الى المملكة الاردنية

الهاشمية ( شرق الاردن ) ، وهي التي شكلت « الشريك الفلسطيني » ضمن الطبقة الحاكمة في ضفتي الاردن فيما بعد ، مستندة الى قاعدة سيطرتها الاقتصادية في الضفة الغربية ، او الى نفوذها السياسي التقليدي ودورها كحليف قديم للاسرة الهاشمية والامبريالية البريطانية في فلسطين ، وكخصم ومنافس سياسي لزعامة الشعب الفلسطيني الوطنية آنذاك ( الحاج امين الحسيني ) ٠

لقد شكلت الدولة وجهازها السياسي والاداري مجالا لتعزيز وضع هذه الفئات الاجتماعية العليا ٠ فهي قد زودته بالشخصيات السياسية وبالكوادر الادارية العليا ٠ وهي التي جددت اجهزة الدولة ، واعطتها بريقا من الحداثة ، اما الميدان الاقتصادي الرئيسي لحفاظها على مواقعها المسيطرة ، فقد كانت الفروع الحديثة والمدينية من الاقتصاد الاردني ، كالتجارة والبنوك وشركات التأمين والتعهدات والصناعة والخدمات الخاصة الاخرى ٠ وكانت هذه الميادين ايضا مجالا لتجديد سيطرة الاسر الاقطاعية في مناطقها ، تماما كما كانت الدولة مجالا لتحولها اكثر فأكثر الى اقطاع سياسي ٠

٥ ــ رغم النتائج الكارثية للحرب والنزوح والالحاق ، الا انها بالمقابل اتاحت **نشوء امكانية موضوعية لبروز تحولات اقتصادية جذرية ، ولتطور القوى المنتجة في ضفتي الاردن** ٠ فقد حلت في الضفتين ( ولا سيما في الشرقية ) قوة عمل كبيرة ذات مستوى ارقى من حيث المهارة والتدريب ، وذات تقاليد انتاجية اعرق واقدم ٠ **فبالاضافة الى قوة العمل المتكونة في فلسطين ، على اساس العمل المأجور كعمال الصناعة والحرف والخدمات للمهاجرين الى الاردن ، حلت بالبلاد ايضا كتلة كبيرة من الفلاحين ذوي التقاليد والخبرات الموروثة ، والعمال الزراعيين المأجورين ، والحرفيين والمهرة والمعلمين والكوادر الادارية ذات الخبرة والتعليم المتقدم ٠**

وعلى الرغم من ان النظام الاقتصادي لشرقي الاردن لم يتمكن من الاحتفاظ بأعداد كبيرة من قوة العمل هذه ، لا سيما الحديثة منها ، ولم يتح للبلاد الاستعانة بها الا في حدود ضيقة ، حيث اضطر اكثرها خبرة للهجرة ، الا ان البلاد تمتعت ، مع ذلك ، بوجود قوة عاملة كفؤة اهلتها للتطور الاقتصادي اللاحق ٠ فعلى اكتاف قوة العمل الجديدة ( ولا سيما اللاجئة منها ) جرى تطوير الزراعة في وادي الاردن منذ مطلع الخمسينات ، على اساس رأسمالي ، وقامت الزراعات السوقية والمروية ، كما جرى نشوء قطاع الصناعة والصناعات الحرفية ، وتكونت القطاعات الخدمية والتجارة ، وجددت ملاكات جهاز الدولة وخدماتها العامة ، ولا سيما التعليم والصحة ٠

**ومن جهة ثانية ، ادى ضم الضفة الغربية الى السيادة الاردنية الى وراثة**

وسائل وتقاليد الانتاج المتطورة نسبيا · ففي الضفة الغربية قامت زراعة متقدمة قياسا بزراعة الضفة الشرقية · فالارض الصالحة للزراعة في الضفة الغربية كانت ذات انتاجية عالية رغم صغر مساحتها ، وانتقلت الخبرات والتقاليد الانتاجية الزراعية الى الضفة الشرقية ، التي كانت غالبية زراعتها مقتصرة على الحبوب والبقول · كما كان وجود بعض الصناعات والحرف التقليدية في الضفة الغربية اساسا ملائما لتطور الصناعة في الاردن ، ولا سيما بالنسبة للصناعات الغذائية ، والمعتمدة على معالجة الخامات الزراعية كالصابون والزيوت وغيرها ·

لقد ادى هذا كله الى نشوء امكانية موضوعية لاحلال علاقات انتاجية أفقى واحدث ، اذ برز منذ نهاية الاربعينات التناقض ما بين علاقات الانتاج السائدة في شرق الاردن مع القوى المنتجة الجديدة ( الفلسطينية ) المهاجرة ، التي كانت على درجة ارقى من التطور مما هي القوة المنتجة في الاردن · فعلى الرغم من هيمنة الاقتصاد البضاعي والرأسمالي على الاقتصاد الاردني قبيل الحرب الفلسطينية ، الا انه لم يزح من الطريق العلاقات المشاعية بالكامل ، لا سيما في المناطق التي ظلت الاقتصادات الطبيعية الاكتفائية باقية فيها ، كما ظلت من جهة اخرى العلاقات الاقطاعية قوية في مناطق اخرى ·

ان النزوح والضم قد سارع بقوة في بروز التعارض الحاد ما بين القوى صاحبة المصلحة في تطوير العلاقات الانتاجية السائدة ، وازالة تبعية الاقتصاد الوطني للامبريالية ، وما بين الاقطاعيين وكبار الملاك الزراعيين العشائريين والنخب الكومبرادورية والبيروقراطية المهيمنة على مقدرات البلاد · فلقد اضيفت كتل اجتماعية كبيرة من النازحين المكونين على اساس علاقات انتاجية احدث واكثر تطورا ، اي الفلاحين الفقراء ، والمعدمين ، وشغيلة المدن ، والحرفيين ، والتجار الصغار ، والمثقفين ، في شرقي الاردن ، مما ادى الى اختلال تناسب القوى المحلي ، في ظروف تصاعد النضال الوطني والقومي التحرري المعادي للامبريالية على صعيد البلاد والمنطقة وتسارع انخراط الجماهير العربية عموما في هذا النضال · ولقد ابرز هذا الاختلال في ميزان القوى المحلي امكانية موضوعية الى الانتقال الى مستوى جديد من العلاقات الانتاجية والاجتماعية الارقى ·

وفعلا ، عكست الصراعات الاجتماعية والسياسية المحتدمة ، منذ مطلع الخمسينات ، ما بين الكتل الاجتماعية المختلفة ، انعدام التناسب ما بين علاقات الانتاج القديمة ومستوى تطور القوى المنتجة الجديدة في الاردن · واذا كان هذا الصراع قد اخذ شكله كصراع وطني معاد للاستعمار والرجعية الداخلية ، واذا كان قد استهدف تحرير البلاد من السيطرة الاستعمارية ، واستكمال استقلال البلاد سياسيا واقتصاديا ، واشاعة الديمقراطية ، وفتح

آفاق التطور الوطني المستقل ، فان هذا الشكل بالذات كان يعكس بالضبط الصراع بين كتلتين اجتماعيتين ، تمثل الاولى القوى الاجتماعية المستفيدة من علاقات الانتاج السائدة ، ومن الارتباط بالامبريالية ، ومن هيمنتها على جهاز السيطرة الاساسي ( الدولة والجيش ) ، وتمثل الثانية القوى الاجتماعية المتضررة من بقاء علاقات الانتاج السائدة المكبل لتطورها ، ومن النظام الذي يفرض بقاء علاقات الانتاج هذه ، ويلحق التطور الاقتصادي للبلاد بعجلة التبعية الامبريالية ٠

ومن الامور الجديرة بالملاحظة ، **ان القوى الاجتماعية الممثلة للقوى المنتجة الجديدة ، كانت تستشعر حاجاتها ، وتعي ضرورة ازاحة علاقات الانتاج السائدة** ٠ لذا اتسعت حركتها في المجال السياسي والاجتماعي بالطابع الهجومي والمبادر ، وعكست احزابها برنامجها المتطلع لعلاقات انتاجية جديدة ، كانت شروطه وتعابيره السياسية هي : السعي لفك ارتباط الاردن بالامبريالية والاحلاف ، وتوطيد التعاون والوحدة مع الاقطار العربية المتحدة سياسيا وعسكريا واقتصاديا ، التعاون مع كتلة البلدان الاشتراكية ، والانتماء الى كتلة الدول غير المنحازة ٠

تحت تأثير جملة الاثار المباشرة للحرب والنزوح والضم ، وفي ضوء النتائج التي حملتها التغيرات البنيوية في المجال الاقتصادي ، كانت تتشكل **ضرورة موضوعية لبناء اقتصاد جديد** ٠ فقد كانت هناك حاجة لتعويض السلع الضرورية التي كانت تؤمنها السوق الفلسطينية وفقا لتقسيمة العمل الداخلية ، ما بين شرق الاردن وفلسطين ، كما ان اتساع رقعة السكان ، ولا سيما انفصال الكتلة البشرية الواسعة من الفلسطينيين عن الهيكل الاقتصادي الوطني الممزق ، خلق حاجة لتعويض الهيكل القديم بآخر جديد ٠ ومن الوجهة الاقتصادية البحتة ، كان ازدياد عدد السكان في البلاد يوفر شرطا ضروريا لنهوض العديد من الصناعات والمشاريع ، التي كان من الصعب انشاؤها ضمن حجم السوق الوطني القديم لشرق الاردن ٠

لقد توفرت ، من جهة ثانية ، **شروط نموذجية للاستثمار الرأسمالي في البلاد**، اذ ان الحرب والنزوح افقدا اقساما هامة من الجماهير الفلسطينية ملكيتها لوسائل الانتاج ٠ لقد دفع هؤلاء ( واغلبهم من الفلاحين ) الى وضع مبلتر ، ووسعوا سوق العمل في البلاد ، وقد ترتب على ذلك انخفاض سحيق في الاجور ، وانتشار البطالة والمزاحمة الشديدة على العمل ، في حين كانت فرص العمل المتاحة ضيقة الحدود ٠

**ان وفرة الايدي العاملة ، وانخفاض اجورها ، كانا مجالا لتشديد الاستثمار ، كما عوضت النواقص التقنية في وسائل الانتاج المحلية** ٠ ونظرا للاختلاف ما

بين بنيتي الانتاج في فلسطين والاردن وبسبب فقدان الكثير من النازحين ملكيتهم لوسائل الانتاج ، وبفضل الاوضاع الاصيلة الناتجة عن الحرب ، كان على المنتجين السابقين ان يطوعوا انفسهم لظروف عمل جديدة ، الامر الذي فرض تحولات ملموسة في توجيهاتهم المهنية وفي انماط اعمالهم ٠

وعلى الرغم من اتساع سوق العمل ، وازدياد حجم القوة العاملة ، يفترض في ظروف كظروف ما بعد حرب ١٩٤٨ والالحاق ، قيام مشكلات وصعوبات جمة ، بالنظر للقدرة الاستيعابية المحدودة للاقتصاد آنذاك ٠ الا ان هذه المصاعب لا تقاس بما تضمنته وفرة الايدي العاملة الماهرة ذات الاجور القليلة من ميزات ومزايا للنهوض الاقتصادي الاردني اللاحق ، وغالبا ما تهمل الكتابات الاقتصادية الرسمية والاكاديمية في الاردن هذه المزايا ، وتنظر الى وفرة الايدي العاملة الفلسطينية بعد الحرب كعبء اكثر منه ميزة ٠ ومع ان الموقف من ، والتقدير لوجود الايدي العاملة ، ولا سيما الماهرة منها ، يرتهن دائما بالنموذج الاقتصادي المعين للتطور ، اي النظر اليها كعبء او كميزة يتعلق بنظام الانتاج المعين ونمط التطور الاقتصادي مع ذلك فاننا نرى ان هذه الوفرة كانت بالنسبة للاقتصاد الاردني ميزة ثابتة ، وحتى عندما انتصرت الرجعية السوداء في الاردن بعد عام ١٩٥٧ ، وانتصر نموذج التطور الكولونيالي ، فان قاعدة هذا التطور كانت تستند ايضا الى وجود قوة عمل ماهرة ، وجماهير فلسطينية مبلترة ، قسم مهم منها ذو مهارة وتقاليد انتاج عالية التقدم ٠

ان الميزة التي توفرت للبلاد من جراء وجود قوة عمل ماهرة كبيرة كانت ستظهر ، كميزة ، لا جدال فيها ، لو ان نموذج التطور الوطني المستقل عن الامبريالية قد انتصر ٠ اذ ان مثل هذا النموذج من التطور كان كفيلا بانهاض الاقتصاد الوطني على اساس قوة العمل الكبيرة الماهرة عموما ، ولأمكن تلاشي مشكلة البطالة والتشغيل المتردي في البلاد ، هذه المشكلة التي ظلت قائمة حتى الان ، كما امكن حينذاك الاحتفاظ بكامل القوة العاملة في البلاد ، بدلا من اضطرارها الى الهجرة المستمرة ، منذ بداية الخمسينات ٠

لقد كانت وفرة الايدي العاملة ، وقلة كلفتها ، احدى المزايا الرئيسية الكامنة، واحد الشروط التي قام عليها التطور الرأسمالي اللاحق ، رغم ان هذه المزايا الكامنة لم تفصح عن نفسها الا بشكل محدود في ظل التطور الكولونيالي ، اذ جرى اهدارها وتبديدها من خلال تشغيلها الناقص ، وعدم توفير الشروط الاجتماعية والاقتصادية والتقنية التي من شأنها المساعدة على تطورها المستمر، او من خلال سياسة الاحتفاظ بفائض عاطل عن العمل ، ومن خلال سياسة تصدير الايدي العاملة كوسيلة للتخلص من الفائض الزائد ، للحصول من

خلالها على العملات الاجنبية · وهي العيوب التي كان لا بد ان يحملها نموذج التطور الكولونيالي ·

لكن الامر الذي لا جدال فيه ، ان قوة العمل الفائضة في السوق ، وتقاليد العمل المأجور القوية لدى اقسام مهمة منها ، كانت اساسا مكينا للتطور الرأسمالي في البلاد ، وللمشروع الحر والمؤسسة الخاصة ، سواء في الزراعة ( الاغوار ) او في القطاعات المدينية من الاقتصاد ، كالصناعة والحرف والتجارة والخدمات العامة والخاصة الاخرى ، وكذلك كانت ايدي العمل الماهرة اساسا لتطور واعادة تجديد جهاز الدولة ومؤسساته الاخرى ·

اخيرا لا بد من الاشارة الى ان رؤوس الاموال التي انتقلت الى البلاد ووظفت فيها مع الهجرة الفلسطينية ، وقد قدرت بما بين ١٠ ملايين و ٢٠ مليون جنيه فلسطيني ، قد وظفت في الاستثمارات التجارية والعقارية اساسا ، وانفقت حصص اقل على الصناعة ، ولا سيما الصناعات الصغيرة ، لقد اسهمت رؤوس الاموال هذه في تنشيط حركة السوق والتبادل البضاعي ، كما انعشت قطاع البناء الذي كانت تتطلبه حاجات الاسكان الواسعة ·

يعنينا ها هنا ان نشير الى ان الهجرة والضم ، قد اديا الى اخراج البنية الاقتصادية والاجتماعية الشرق اردنية عن سكونها التقليدي ، ووتيرة تطورها البطيء · او ، بعبارات اخرى ، ادخلت هذه البنية ضمن قانونية حركة جديدة، كانت الجماعات والاشكال الاقتصادية ـ الاجتماعية القديمة تحول دونها ·

**لم يتعرف المجتمع والاقتصاد شرق الاردني في البنية الاجتماعية الفلسطينية التي جاءت بها الهجرة والضم على التكنيك والطرائق الاكثر** تقدما فقط ، ولم تفسح الهجرة والضم امام عمل هذه الشروط الجديدة في المجتمع شرق الاردني فقط ، **بل حملت ايضا نظاما كاملا من العلاقات والتقاليد والمعارف والحوافز الى البنية التقليدية في شرق الاردن** ، واذا كانت جملة النماذج الاقتصادية الرأسمالية والبضاعة وشبه الرأسمالية قد مهدت الطريق امام تفسخ المشاعات والجماعات التقليدية منذ فترة بدأت قبل الحرب الثانية ، الا ان شرنقة العلاقات السوقية والبضاعية والرأسمالية لم تكن قد تفتحت بعد ، بكمال وانسجام ، بسبب صلابة الاشكال الاقتصادية والروابط القديمة · لقد جاءت الهجرة والضم ، بما حملته من نظام جديد ، لتسارع في هز المجتمع الشرق اردني بقوة ، ولتخط الطريق امام التطور الاقتصادي البضاعي والرأسمالي ·

لقد انهت هذه الظروف الجديدة امكانية استمرار انعزال الجماعات الانتاجية القديمة والروابط القديمة ، ذلك ان الهجرة الفلسطينية طرقت بنتائجها المجتمع الاردني من جميع جوانبه ، وان بشكل متفاوت · بيد ان هذه العملية كانت

بطيئة ، وطويلة ، وكانت تحول دون بروز نتائجها عوائق هائلة ممثلة بصلابة الروابط والعلاقات التقليدية والوتيرة البطيئة في تطور الاقتصاديات التقليدية ، كما ان البناء الفوقي من منظومات القيم والروابط والزعامة القبلية الاقطاعية ، واخيرا السلطة السياسية ، كانت تحول دون اعطاء هذه التحويلات نتائجها الجذرية ، بل لقد استخدمت عناصر البناء الفوقي وتماسك الاشكال الانتاجية القديمة كاسلحة بيد القوى المحافظة والرجعية الشرق اردنية للحيلولة دون انتهاك نظام العلاقات السائدة على المستويات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية من قبل نظام العلاقات الجديدة ٠

من جهة اخرى فانه منذ نشأ واقع جديد هو واقع الهجرة والالحاق ، **نشأت بنية جديدة اشمل تحت تاثير وحدة الشروط العامة التي جرى فيها تطور بنيتين متفاوتتي التطور** ، وذات قوانين خاصة بكل منها ٠ ضمن هذه البنية الواحدة للشعبين ، كانت تجري عملية تأثير تقدمية النتائج بالمعنى الاقتصادي ـ الاجتماعي ، بالمعنى السياسي اخيرا ، على البنية الاقتصادية الاجتماعية الشرق اردنية دفعا نحو علاقات جديدة ، نظرا للتخلف في البنية الشرق اردنية ، وتقليديتها ، ونظرا لان السيطرة السياسية الطبقية الحاكمة تستند الى عواقب هذا التخلف ، والى متانة الروابط التقليدية ، وحيوية الفرز الطبقي ، والى استمرار فعل عناصر البنية الفوقية كالعادات والتقاليد ، والعناصر الايديولوجية التقليدية الاخرى، وهي الشروط التي اعطت للسلطة السياسية الرجعية والمرتبطة مع الامبريالية القدرة على كبح ضغط القوى الاجتماعية الجديدة ، من اجل صياغة نظام اقتصادي ـ اجتماعي جديد ٠

كما كانت هناك تناقضات اعقد داخل كلا البنيتين ، وعلى سبيل المثال ، فان البنية الاجتماعية الاقتصادية الفلسطينية ، رغم تقدم علاقاتها الانتاجية ـ الاجتماعية ، الا ان اطار حركتها لم يكن يستند ، ولا سيما في شرق الاردن ،الى مواقع اقتصادية ـ اجتماعية ثابتة ومستمرة ، ولم تكن حركتها تتحرك على ارض علاقاتها المتقدمة ، بل كانت غالبية الجماهير الفلسطينية في شرق الاردن ، انذاك، تحمل صفة النزوح والتعطيل ، وفيما بعد ، اكتسبت قطاعات بارزة منها صفة التبلتر الرث بسبب انتصار نموذج التطور الكولونيالي التبعي في الاردن ٠

ولهذا لا يمكن الحديث عن تكون وحدة بنيوية جديدة للشعبين ، الا بحدود وبتحفظ ٠ والشرط الاساسي الذي منع تكون وحدة بنيوية عميقة ومنسجمة هو في كون تفاوت التطور ، الذي ميز بنيتي الشعبين لحظة انخراطها في وحدة جديدة ، قد ظل قائما ، وقد ظل اتحاد وانخراط هذه البنيتين يتضمن هذا التفاوت ٠ فالتجمع الفلسطيني في شرق الاردن ظل غالبا مجتمعا مدينيا ، وكان نشاطه نشاطا مدينيا ٠ اما المجتمع الشرق اردني فقد ظل غالبا مجتمعا ريفيا ،

ذا روابط وعلاقات تقليدية قوية ، وكانت ازمة تخلف الريف الاردني وتدهوره تجعل قطاع الدولة والجيش هو ملاذ قوة العمل الاردنية الفائضة ، والتي يطردها الريف · واذا ما ادخلنا بالاعتبار السياسة الرسمية المبيتة لاستثمار ، بل ولتعميق ازمة الريف الاردني ، فان الجماهير الشرق اردنية وجدت في قطاع الدولة والجيش قطاعها الخاص ، ضمن « تقسيمة العمل الداخلية » للمجتمعين الاردني والفلسطيني ، الامر الذي افسح امام تأويل الصراع الاجتماعي والسياسي في البلاد تأويلا اقليميا ، وان بشكل مبطن في الخمسينات ، ثم بشكل معلن بعد حرب ١٩٦٧ ·

٦ ـ **التكون الجنيني للطبقة العاملة :** برزت بدايات تكون الطبقة العاملة في اعقاب الحرب الفلسطينية عام ١٩٤٨ ، وكنتيجة للتحولات البنيوية العاصفة التي تلتها ، وكانت جزءا عضويا من هذه التحولات · ومن بين الجماهير المفقرة واللاجئة والمتضررة من عواقب الحرب الفلسطينية لعام ١٩٤٨ يمكن تمييز الفئات التالية ، التي شكلت مادة الطبقة العاملة في تكونها الجنيني في مطلع الخمسينات :

١ ـ العمال الذين اكتسبوا صفاتهم البروليتارية من خلال تكونهم مسبقا ، ومن خلال عملهم في المؤسسات الصناعية، والحرفية، والزراعة الحديثة ،ومعسكرات الجيش البريطاني ، والمؤسسات الخدمية والعامة ، في فلسطين ، والذين لجأوا الى الضفتين واستطاعوا الحصول على عمل مأجور دائم او مؤقت ·

ب ـ عمال الصناعة والحرف والخدمات في الضفة الغربية ، والذين حافظوا على عملهم السابق ·

ج ـ عمال الضفة الشرقية ، الذين كانوا يعملون في الصناعة الالية الحديثة في البلاد ( اكثر من الف عامل ) ، وفي الصناعات الصغيرة والحرفية والورش والتعدين والبناء ( بضعة الاف قليلة ) ، وفي الزراعة الحديثة في الاغوار ·

د ـ فئات العمال المأجورين ، حديثي التكون ، الذين كانوا حتى الامس فلاحين وحرفيين ، ادى فقدانهم للارض ووسائل الانتاج الخاصة بهم الى حسابهم في مصاف العمال المأجورين ، وتمكنوا من الحصول على عمل في الضفتين ·

من المهم ان نلاحظ ان مجموع هذه الفئات العمالية ، التي استطاعت الحفاظ والحصول على عمل مأجور فيالقطاعات المختلفة ، لم تشكل الا جزءا صغيرا من مجموع العمال والشغيلة الذين كانوا حتى الامس في مواقع الطبقة العاملة ، والذين فقدوا فرص عملهم بعد الحرب والنزوح ، مما اخضعهم الى بطالة اضطرارية ادت بهم للبحث عن عمل خارج ضفتي الاردن ، اذ من المعروف ان صفوف الطبقة العاملة في فلسطين قد اتسعت كثيرا ابان الحرب العالمية الثانية،

وبعدها ، وتعزز موقعها الاجتماعي ودورها السياسي ، كما تعاظمت اهميـــة حركتهـا النقابية ٠

**ان غالبية فئات الطبقة العاملة في ضفتي الاردن قد تكونت ، واكتسبت صفتها العمالية ، قبل الحرب والنزوح والالحاق ٠ اي ان نشأتهـــا كانت تسبق نشوء النظام الاقتصادي ـ الاجتماعي الموحد ( الاردني ـ الفلسطيني ) الذي تلا الالحاق والضم ٠ ولهذا ، كان لا بد من رؤية المقدمة الموضوعية لنشوء الطبقة العاملة في ضفتي الاردن ، ليس انطلاقا من التطورات الاجتماعية ـ الاقتصادية التي جـدت في مطلع الخمسينات فقط ، وانما ايضا ، وبالاساس ، في المقدمات الاجتماعيـة ـ الاقتصادية في فلسطين** ٠ ان هذا ما يفسر الخاصية الاستثنائية التي ميـــزت تشكل الطبقة العاملة في الاردن ونشوء وتطور حركتها النقابية بسرعة كبيـــرة نسبيـا الى حـــد بعيـد ، لاسبـــاب تعـــود اساسـا الى تكـــون شرائح الطبقة العاملة ومنظماتها النقابية والسياسية قبيل الالحاق ، وقبل تطور الصناعة والقطاعات الانتاجية في الاردن ، وعلى اساس المقدمات الاقتصادية ـ الاجتماعية والظروف القائمة في فلسطين قبل الحرب عام ١٩٤٨ ٠ حيث ادى وجود طبقـــة عاملة مكونة مسبقا الى تسريع نهوض الصناعة والانتاج عموما بعد عام ١٩٤٨، على ضفتي الاردن ٠

ان هذا لا يعني ان الطبقة العاملة في الاردن قد تشكلت تلقائيا ، وعلى اساس مقدمات جاهزة سلفا ، اذ يجب ان لا يستهان بالظروف والشروط الجديدة التـي جدت بعيد الحرب ، سواء على الصعيد الاقتصادي ـ الاجتماعي ، او علـــى الصعيد السياسي والجماهيري ٠ كما يجب ان لا يستهان بأثر الظروف المباشـرة الناجمة عن الحرب والنزوح ، والتي ادت الى بطالة جماهيرية ، والى تدنـــي مستويات المعيشة والاجور والشروط الحياتية العامة ، وهي العوامل البالغـــة الاهمية في تحديد شروط تكون الطبقة العاملة ، وسماتها العامـــة ، وحجمها ، ودورهـــا ٠

**الحواشي**

(1) Porter, R.S. *Economic Survey of Jordan*, (British Middle East Office) , Sept. 1953 . p. (?)

(٢) **المصدر نفسه** ٠ يراجع ايضا جميل هلال، **التركيب الاجتماعي الاقتصادي للضفة الغربيـــة ( ١٩٤٨/١٩٧٣ )** ، بيـروت ، مركز الابحاث ، ١٩٧٤ ، ص ١٩ ٠

(٣) بورتر ، **مصدر سبق ذكـره** ، ص (؟) ٠

(٤) هلال ، **مصدر سبق ذكره**، ص ١٩٠

(٥) بورتر ، **مصدر سبـــق ذكـره** ، ص ١٦ ٠

(٦) **المصدر نفسه** ، ص ١٧ ٠

(٧) **المصدر نفسه** ، ص ١٨ ٠

(٨) **المصدر نفسه** ، ص ١٩ ٠

(٩) عصام سخنيني ، « ضم فلسطين الوسطى الى شرقي الاردن ١٩٤٨ ـ ١٩٥٠ » ، **شؤون فلسطينية** ، العدد ٤٠ ، ص ٩ ٠٥

(١٠) **المصدر نفسه** ، ص ٦٧ ٠

(١١) **المصدر نفسه** ، ص ٦٠ ـ٦٢ ٠

(١٢) **المصدر نفسه** ، ص ٦٩ ـ ٧٦ ٠

(١٣) **المصدر نفسه** ، ص ٧٥ ـ ٧٦ ٠

(١٤) هلال ، **مصدر سبق ذكره** ، ص ٢٠ ٠

(١٥) **المصدر نفسه** ، ص ٨٢ ٠

(١٦) نزيه قورة ، « **تعليم الفلسطينيين، الواقع والمشكلات** » ، بيروت ، مركز الابحاث ، نيسان ١٩٧٥ ، ص ٢٣ ٠

(١٧) هلال ، **مصدر سبق ذكره** ، ص ١٠٠ ٠

(١٨) **المصدر نفسه** ، ص ٨٩ ٠


محمود درويش

**يوميات الحزن العادي**

**في السجن ، والوطن ، والمنفى ، والعالم**

صدر عن مركز الابحاث ودار العودة

طبعة جديدة منقحة

سعر النسخة ١٠ ل٠ل٠ او ما يعادلها

حنـــه شاهـين

# الاقتصاد الاسـرائيـلي بعـد سَنة من حكم الليـكود

وضعت حكومة ليكود ، بعد تسلمها الحكم بفترة قصيرة ، اسسا اقتصاديـــة جديدة في اسرائيل ، تختلف كثيرا عن السياسات الاقتصادية السابقة التي اتبعتها حكومـــات المعراخ · وقد عرفت هذه الاسس باسم « السياسة الاقتصادية الليبرالية » ، التي اعلنتها الحكومة الاسرائيلية في اواخر تشرين الاول ( اكتوبر ) من السنة الماضية ، محدثـــة ما هو اشبه بانقلاب اقتصادي داخل اسرائيل ، يمثل اساسا في الغاء الرقابة على العملة الصعبة ، وتعويم الليرة ، واجراء تخفيض كبير في قيمتها من خلال توحيد قيمة صرفها ، ثم رفع ضريبة القيمة الاضافية ( بعد الغاء ضريبة الشراء ) ، وخفض الاعانات الحكومية للمواد الاستهلاكية الاساسية ، كذلك الغيت الحوافز على الصادرات الصناعية والزراعية والسياحية ، وسمح بالاستيراد الحر ، مع التأكيد ـ على لسان وزير المالية الاسرائيلي سمحا ارليخ ، ومساعديه ، ـ بأن الاهداف الرئيسية لهذه السياسة الجديدة هي حـــل مشكلات اسرائيل الاقتصادية ، بواسطة جذب الرساميل اليهودية والاجنبية ، ثم تحقيـق الاستقلال الاقتصادي ، وتحويل اسرائيل الى مركز مالي عالمي في المنطقة ، علـــى غرار سويسرا في الغرب · وقد لخص ارليخ ، في حينه ، هذه الاهداف بقوله : مزيـــد من الاستثمارات ، مزيد من النمو ، مزيد من الصادرات سوية ، مع خفض الواردات وكبح جماح التضخم المالي (١) ·

اعتبرت « السياسة الاقتصادية الجديدة » في حينه تعبيرا عن ايديولوجية يمينيـــة ليبرالية ، تميز ليكود الذي يعتنقها منذ نشأته عن الاحزاب العمالية التي حكمت اسرائيل منذ قيامها · واذا كان ممكنا القول ، بعد سنة من حكم ليكود ، ان ليس من فرق بيـــن يمين ويسار في اسرائيل ، خاصة فيما يتعلق بالسياسة الخارجية ، والموقف من العرب، فان هذا الامر لا ينطبق ابدا على السياسة الداخلية بشقيها الاقتصادي والاجتمـــاعي ، حيث يبدو الاختلاف بينهما واضحا · فليكود ـ على عكس الجناح العمالي ـ ينتهج سياسة يمينية رأسمالية بحتة ، بدا يبرز تأثيرها الاجتماعي على اكثر من صعيد · وسنحاول في

هذه الدراسة تقصي نتائجها وانعكاساتها خلال سنة ، وفق المعلومات المتوفرة حول الوضع الاقتصادي الاسرائيلي حتى الآن ، ثم معرفة المستفيدين منها ، او ما يسمى بالطبقة الرأسمالية الجديدة في اسرائيل ، في عهد ليكود ٠

## خلاف حول تقييم النتائج

يبدو من خلال الارقام الاخيرة للتقديرات والتوقعات الاقتصادية في اسرائيل ، ان هناك خلافا واضحا بين ما تشيعه اوساط وزارة المالية ، وبين توقعات المسؤولين عن البنك المركزي في اسرائيل ٠ وهذه التوقعات ، وان بدت متطابقة احيانا ، فان الاختلاف في تفسيرها جلي ، وهو ما يعكس الخلاف القائم ٠ فوزير المالية ارليخ يشيد بالمكاسب التي حققتها السياسة الاقتصادية الجديدة ، باعلانه : « الغينا الرقابة على العملة الصعبة التي كانت عديمة الفائدة ، وقضينا بذلك على التشويهات ومخالفات المواطنين ٠ الغينا حوافز التصدير ، التي كان من المفروض ان تبلغ هذه السنة ما بين ١٢ ـ ١٥مليار ليرة ، الامر الذي يعتبر تشويها اقتصاديا لا مثيل له ٠ ونتيجة لسياستنا ، اصبح فرعا الصناعة والزراعة اكثر فائدة ٠ كذلك لم يعد فرع السياحة مغبونا امام اي فرع صادرات آخر ، بعد ان اصبح الدولار ذا قيمة صرف واحدة [ في الماضي كان يصرف بقيم مختلفة في فروع الصادرات والسياحة ] ، وتحولنا الى بلد سياحي اصيل (٢) ٠ ويقصد بالتشويهات هنا بعض الاسس الاقتصادية التي استندت اليها الحكومات الاسرائيلية السابقة ، والتي سببت ، حسب رأي زعماء ليكود ، المشكلات الاقتصادية المعقدة التي يعاني منها الاقتصاد الاسرائيلي الآن ٠ كذلك يمتدح ارليخ المعطيات الاخيرة حول الصادرات « التي ارتفع معدلها خلال الربع الاول من هذه السنة ، بنسبة ٣٠٪ بالمقارنة مع السنة الماضية ٠ كذلك فان قيمة فائض العملة الصعبة مرضية تماما ، اذ لم نعد على شفير الهاوية ٠٠ خاصة بعد وصولها في بنك اسرائيل الى مليار ونصف مليار دولار » (٣) ٠ ويشاطر وزير المالية في تفاؤله هذا مستشاره الاقتصادي اهرون دوفرات ٠ ففي آخر تقرير له حول الوضع الاقتصادي ، كان قد قدمه الى اللجنة المالية في الكنيست ، تطرق الى حالة تجديد النمو الاقتصادي خلال هذه السنة ، وتوقع ازدياد الانتاج القومي ، ثم وضع العمالة والاستهلاك العام والخاص ، والعجز في الميزان التجاري ٠ وانطلاقا من توقعاته هذه ، يرسم دوفرات صورة متفائلة جدا للوضع الاقتصادي في اسرائيل ، ربما ينطلق منها ايضا وزير المالية في حديثه المتكرر حول « انجازات السياسة الاقتصادية » ٠ الا ان هناك تقريرا معاكسا اعده محافظ بنك اسرائيل ، ارنون غفني ، حول النتائج الاقتصادية لسنة ١٩٧٧ ، والتوقعات لسنة ١٩٧٨ ، يعطي صورة مناقضة للوضع ، ربما تكون اكثر قربا من الواقع ولتوضيح الصورة لا بد من المقارنة بين مختلف التوقعات كما وردت في التقريرين المذكورين ، ومن خلال البحث في مختلف القضايا والتطورات الاقتصادية الجارية ٠

## هل يتحقق النمو الاقتصادي ؟

يذكر مستشار وزير المالية في تقريره المشار اليه ، انه « يمكن ان نقول الآن ، بصورة مؤكدة ، انا سنحقق خلال هذه السنة الاهداف التي وضعناها نصب اعيننا فيما يتعلق بتجديد النمو الاقتصادي ٠٠٠ وبفضل عودة النشاط الاقتصادي ، فاننا نتوقع في سنة ١٩٧٨ ارتفاعا يتراوح بين ٥ـ٦٪ في الانتاج القومي ، مقابل توقع سابق بنسبة ٤٪» (٤) ٠

ويوافقه محافظ بنك اسرائيل على هذا القول ، الا انه يستطرد قائلا ، ان هذا النمو « لا يتلاءم مع متطلبات الاقتصاد من ناحية تقليص العجز في ميزان المدفوعات · فالزيادة في الانتاج ، لن تتاتى كما يبدو ، من كون الارتفاع الكبير في الصادرات يفوق الارتفاع في سنة ١٩٧٧ ، وانما نتيجة العوامل التالية : ارتفاع بنسبة ٤٪ في الاستهلاك الفردي ، ارتفاع في الاستهلاك العام المحلي ( اي نفقات الحكومة والسلطات المحلية وما شابه ) بنسبة ٤٪ ايضا ، ثم تحسن سريع في فرع البناء للمساكن ، وتحسن بطيء جدا في الاستثمارات » (٥) · والخلاف بين التقديرين يعود الى تقييم الانتعاش في فرع البناء ، فبينما تعتبره اوساط بنك اسرائيل امرا ضارا ، لانه يؤثر بصورة سيئة على مجمل الاستثمارات في الفروع الانتاجية ، وخاصة تلك المعدة للتصدير ، فأن وزارة المالية تعتبره علامة حسنة على طريق تجديد النمو الاقتصادي · والجدير بالذكر ان النشاط في هذا الفرع قد تقلص كثيرا في الفترة ما بين ١٩٧٤ ـ ١٩٧٧ ، حيث طرأ انخفاض على عدد المساكن ، بلغ من ١١١٤مسكنا في سنة ١٩٧٥ ، الى ٧٧٣ مسكنا في سنة ١٩٧٧ · انما برز الانتعاش في هذا الفرع خلال الشهرين الاولين من هذه السنة ، حيث بوشر ببناء ٢٢٠٠ مسكن ، في ٢١ مدينة في اسرائيل · وعلى اية حال ، فأن ظاهرة الانخفاض في النشاط داخل هذا الفرع ، الذي يعتبر من الفروع الاقتصادية الاساسية في اسرائيل ، هي احد الامور التي كان مخططا لها في عهد الحكومات السابقة ، بما يتلاءم مع سياسة الكبح التي اتبعت آنذاك ·

والسؤال المطروح الآن هو ، هل تتحقق فعلا عودة النمو الاقتصادي في اسرائيل خلال هذه السنة ، بعدما توقف منذ حرب ١٩٧٣ ؟ وهل زالت العوامل التي ادت الى اتباع سياسة التجميد في مختلف الفروع الاقتصادية ، باستثناء الفروع الانتاجية المصدرة ، وفق سياسة الحكومات السابقة ؟· « لقد كان التجميد ، نتيجة سياسة موجهة ، تهدف الى وقف التدهور السريع في ميزان المدفوعات في الفترة ١٩٧٤ ـ ١٩٧٥ ، حيث ارتفع العجز من ٣ر٤ مليار الى ٤ مليار دولار · وفي الاقتصاد الاسرائيلي ، هناك ارتباط بين سرعة النمو وبين معدل العجز في ميزان المدفوعات ، لان النمو كان يترافق دائما مع ارتفاع قوي في الطلب المحلي · ومن اجل تقليص هذا العجز ، وجد انه من الضروري كبح الطلبات المحلية اولا · الا انه خلال هذا المجرى ، تم كبح النمو ايضا · وهذا كان ملخص سياسة وزير المالية السابق رابينوفيتش » (٦) · اي ان عملية تجميد النمو كان مخططا لها ، رغم ان الاقتصاد الاسرئيلي كان قادرا على متابعته ، « خاصة وانه لا يملك الموارد البشرية والمادية المطلوبة فقط ، وانما الخبرة والكفاءة التقنية والتجربة العملية ايضا ··· فطاقة العمل ارتفعت بنسبة ١٠٪ عما كانت عليه في سنة ١٩٧٤ · وازداد احتياط المعدات والآلات الصناعية بنحو ٣٠٪ منذ ذلك الوقت · [ الا ] ان معدل الزيادة المتوقعة في الانتاج القومي [ منذ سنة١٩٧٥ وحتى نهاية هذه السنة ] ستبلغ ٥ر٧٪ فقط ، عما وصلت اليه في سنة ١٩٧٤ ، وثمة شك كبير اذا كنا سنحقق ذلك ايضا ، [ خاصة ] وأن في سنة ١٩٧٧ ازداد الانتاج القومي لدينا بنسبة ٥ر٠٪ فقط · « ولا يعود سبب ذلك الى عدم القدرة على الانتاج ،ولكنه يكمن في عدم الرغبة · فالنمو الاقتصادي توقف لدينا لاننا بتنا نخشاه · وحكمنا على انفسنا بالتقشف لاعتقادنا ان ثمن استمرار النمو يظل دون قيمة الخسارة فيما لو توقف » (٧) ·

ويبدو من خلال طرح شعار « مزيد من النمو » من جانب الحكومة الحالية ، ان هناك عدم اقتناع واضح لديها بالسياسة القديمة ، وان تجديد النمو يجب ان يتحقق ، حتى

وان كان على حساب ازدياد الطلب المحلي ، وانتعاش الفروع غير المصدرة كالبناء مثلا ، على اساس انه الوسيلة الوحيدة لحل المشاكل الاقتصادية القائمة · ولا شك ان تجديد النمو في القطاع الانتاجي ، اذا ما تحقق ، سيكون احد اهم انجازات حكومة ليكود ، ومكسبا كبيرا للاقتصاد الاسرائيلي في اواخر السبعينات · الا أن ذلك يتطلب توفر شرطين اساسيين : اولا ، ارضية اقتصادية ملائمة ، وهي غير متوفرة حتى الآن ، في ظل التضخم المالي السريع ، وما يخلفه من عدم استقرار في الاسعار والاجور · ثانيا ، استثمارات واسعة ، تصب جميعها في القطاع الانتاجي · ودون ذلك ، فأن تجديد النمو سيؤدي الى تعقيد المشكلات القائمة ، خاصة على صعيد خلق المزيد من الضغوط التضخمية ، التي يعاني منها الاقتصاد الاسرائيلي على اية حال · وسنتطرق فيما يلي الى احتمالات نجاح او فشل عملية تجديد النمو الاقتصادي ، باعتباره احد مقاييس نجاح السياسة الاقتصادية الجديدة · ثم مدى تأثير سياسة النمو على حل المشكلات الاقتصادية القائمة ، وأهمها التضخم والعجز التجاري ، والنقص في الاستثمارات ·

## الاعتماد على المصادر الخارجية

تعتمد اسرائيل اعتمادا كبيرا على استيراد رأس المال ، والبضائع ، والخدمات ، من الخارج ، بغية الاستهلاك والاستثمار · فمجرى النمو السريع الذي رافق الاقتصاد الاسرائيلي منذ قيام اسرائيل وحتى سنة ١٩٧٣ ، تطلب الحصول على مصادر كثيرة من الخارج · اضافة الى ذلك ، يشكل استيراد الاسلحة ، خاصة بعد حرب تشرين ، عاملا اساسيا ايضا في الواردات الاسرائيلية · وقد ادت هذه الواردات [ المصادر المالية والخدمات والاسلحة وغيرها ] الى ازمات شديدة في ميزان اسرائيل التجاري ، نظرا لتخلف فرع الصادرات ، رغم جميع الحوافز التي خصصت لتشجيعه ، ودفعه الى الامام، خصوصا في عهد الحكومات السابقة · « لقد اصبح استيراد رأس المال ظاهرة دائمة عندنا ، تساعدنا فقط في الحفاظ على الوضع القائم · فمنذ خمس سنوات يشكل فائض الصادرات لدينا نحو ربع مجموع الموارد التي نستخدمها لسد متطلباتنا ( مقابل اقل من الخمس قبل حرب تشرين ) فيالوقت الذي انخفض معدل الاستثمار القائم لدينا تدريجيا من ٣ر٢٠٪ في سنة ١٩٧٣ الى ٥ر١٤٪ في سنة ١٩٧٧ ، بينما انخفض معدل الاستثمار الصافي في الفروع الاقتصادية المختلفة من ٨٪ الى نحو ٣٪ · وسيؤدي هذا الانخفاض في الاستثمار الانتاجي بالطبع ، الى خفض النمو الاقتصادي خلال السنين المقبلة ، في الوقت الذي يزداد فيه عبء الدين للخارج ، وذلك بسبب الديون المتراكمة ، ونظرا لتقلص الموارد المالية المجانية ( التعويضات من المانيا ، والجبايات الصهيونية ) ··· وتمثل اسرائيل اليوم المكان الاول في العالم من ناحية حجم ديونها للخارج ، اذ تزيد هذه الديون عن قيمة الانتاج القومي [ خلال سنة ] ، وحيث ننفق على تسديدها والفوائد المستحقة عليها نحو ربع مجموع الصادرات » (٨) · وكان مجموع ديون اسرائيل الخارجية الذي بلغ ٤٧٩ مليون دولار سنة ١٩٥٥ ، قد ارتفع ووصل الى ٩١٧ مليونا سنة ١٩٦٠ ، واستمر في الارتفاع بعد ذلك ايضا ، ووصل الى ١٧٧٤ مليونا سنة ١٩٦٥ ، و ٢١٥٠ سنة ١٩٦٧ ، و ٣٥٤٢ سنة ١٩٧٠ ، و ٥٥٦٣ سنة ١٩٧٢ · وازدادت قيمة هذه الديون بشكل ملحوظ بعد حرب تشرين ، اذ ارتفعت من ٦٨٤٨ مليون دولار سنة ١٩٧٣ الى ٨٠٤١ مليونا سنة ١٩٧٤ ، و ١٠٢٨٥ سنة ١٩٧٥ ، و ١١٩٣٩ سنة ١٩٧٦ (٩) · وخلال

الفترة الممتدة من أول سنة ١٩٧٧ ، حتى نهاية اذار (مارس) ١٩٧٨ ، وصل مجموع تلك الديون الى ١٣٨٠٠ مليون دولار (١٠) ٠

ويبرر الاسرائيليون اعتمادهم على المصادر الخارجية ، بأنه يعود الى « العبء الامني» وحاجتهم الدائمة الى الاسلحة من الخارج ٠ « الا ان هـــذا الادعاء غير صحيـــح ٠ فالواردات الامنية المباشرة خلال السنوات الخمس الاخيرة ( وعلى الاغلب تلك المتوقعـة في سنة ١٩٧٨ ) ، ستبلغ نحو ٩ر٣ مليار دولار ٠ اي : حتى في هذه الفترة التي تتميز بشراء اسلحة كثيرة ، [ تحصل اسرائيل ] من الولايات المتحدة وحدها على مبالغ تفوق قيمة المعدات الحربية كلها ٠ ويقينا ، اذا استثنينا قيمة الاسلحة [ المستوردة ] ندرك ان فائض الواردات يشكل الجزء الاكبر من الموارد المستعملة في القطاع المدني ٠ ففي الفترة ١٩٧٤ ــ ١٩٧٥ ، بلغت نسبته ١٣٪ ، ووصلت في سنة ١٩٧٧ الى ١٧٪ » ٠

اضف الى ذلك ، أن الاعتماد على المصادر الخارجية يزيد من حدة ازمة العجز فـــي ميزان المدفوعات الاسرائيلي ، المتفاقمة منذ حرب تشرين ، ورغم مفاخرة المسؤولين فـي وزارة المالية في اسرائيل ، بأن تحسنا بقيمة ١٥٠ ــ ٢٠٠ مليون دولار قد طرأ علـــى العجز المدني الجاري في ميزان المدفوعات ، بفضل السياسة الجديدة ، فقد اشارت آخـر الانباء الى القلق الذي بدأ يساور هذه الاوساط ، بسبب التراجع الذي حدث في هـــذا المجال خلال الاشهر الاخيرة ، استنادا الى التقييم الجديد الذي اعده قسم البحث فـي بنك اسرائيل ، ومفاده « انه لا يتوقع اي تحسن [ في ميزان المدفوعات ] خلال سنـــة ١٩٧٨ ، بل على العكس ، ربما طرأ ارتفاع في العجز المدني بقيمة ١٥٠ مليـــون دولار تقريبا » ٠ وتعود اسباب هذا التراجع ، كما يفيد المصدر نفسه الى الزيادة في بنـــد الواردات ، التي ارتفعت في الربع الاول من سنة ١٩٧٨ بنسبة ١٤ ٪ مقابل معدلها فـي بداية ١٩٧٧ ٠ كما أرتفع العجز في ميزان المدفوعات في هذه الفترة بنسبة ٢٤٪ بالمقارنة مع معدله في سنة ١٩٧٧ ٠ وخلال الاشهر الاولى من هذه السنة طرأ ارتفاع كبير علـى الصادرات ايضا ، الا أن الارتفاع في الواردات كان أكبر ، بحيث عادل التحسن فـــي الصادرات ٠ وتشير الحسابات أيضا الى أن العجز المدني ، قد وصل في الثلث الاول من هذه السنة الى معدل شهري بلغ ١٧٤مليون دولار ، ومن اجل الوصول الى مستوى في العجز مماثل للسنة الماضية ، يجب تخفيضه الى معدل ١٣٥ مليون دولار ٠ الا ان الدلائل تشير الى عدم وجود احتمال كهذا ٠ لذلك لا يتوقع اي تحسن في هذا المجال ، وربما طرأ تراجع (١١) ٠ ويشير مصدر آخر الى أن التحسن الذي طرأ في السنة الماضية « ناتـج في معظمه من انخفاض في الواردات الامنية ( ٥٥٤ مليون دولار بدلا من ٧٥٦ مليونا في السنة السابقة ) ٠ أما الباقي ، فقد ساهم فرع السياحة فيه بنحو ثلثين ( ١٤٠ مليون دولار ) ، وتحقق الثلث الاخير فقط بواسطة الحساب التجاري ٠ وتجدد النمو بهـــذه الصيغة ، لا يبشر بعدم تحسن كبير في ميزان المدفوعات فقط ، بل ربما قد يسبب تراجعا فيه » (١٢) ٠ ( انظر الرسم البياني ــ نقلا عن هآرتس ، ١٩٧٨/٥/١٠ ) ٠

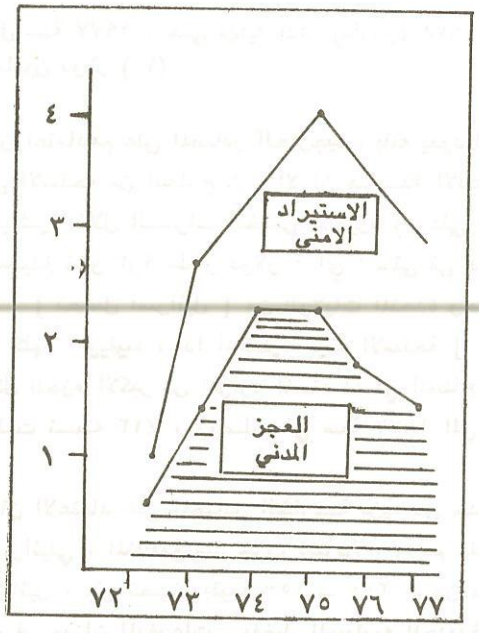


العجز في ميزان المدفوعات الاسرائيلي في ذروته في سنة ١٩٧٥ ، واثناء انخفاضه · ويتضح بعد حسم الاستيراد الامني ، ان معدل العجز المدني لا يزال يبلغ في سنة ١٩٧٧ ثلاثة اضعاف معدله في سنة ١٩٧٢ ·

يستنتج من ذلك ، ان تقليص العجز التجاري بواسطة خفض الواردات ، يبقى احتمالا ضعيفا جدا ، نظرا لتعلق اسرائيل المتزايد بالواردات على مختلف أنواعها · ويفسر وزير التجارة والصناعة الاسرائيلي يغئال هوروفيتش هذا التعلق ، بأنه يعود الى جملة عوامل اهمها : (١) الحاجة الدائمة الى الواردات الامنية · (٢) استيراد وسائل الانتاج للصناعة · (٣) استيراد الحبوب والمواد الغذائية · (٤) التزامات أسرائيل الدولية ، التي تصعب على أسرائيل تحديد الواردات ، مثل الاتفاق مع السوق المشتركة · (٥) سياسة الكشف ( الغاء الدعم ) ، التي تهدف الى تشجيع التطور الطبيعي للصناعة ، في ظروف المنافسة ، من جانب الواردات (١٣) ·

### فرع الصادرات ـ الخاسر الاكبر

يراهن المسؤولون في وزارة المالية الآن على تقوية فرع الصادرات ، كعمل أساسي في اعادة عجلة النمو الاقتصادي في اسرائيل وتحسين ميزانها التجاري · وبالفعل ، فان هذا الامر كان ، وما يزال احد الاهداف الاساسية في السياسة الاقتصادية في اسرائيل ، ماضيا وحاضرا ، حتى ان جميع الاجراءات التي كانت تتخذها الحكومات السابقة ، خصوصا منذ مطلع السبعينات وحتى السنة الماضية ، من تخفيض في قيمة الليرة بهدف زيادة ارباح الصادرات ، الى تخصيص دعم كاف لهذا الفرع ، كانت تصب جميعها في

مجرى تطوير وتحسين الفروع الانتاجية المعدة للتصدير ، على حساب الفروع الاخرى · ويلخص رئيس اتحاد الصناعيين ابراهام شافيط هذه السياسة بقوله : « من بين الامور التي يتعلق بها مستقبل اسرائيل كدولة مستقلة ، تستطيع تعيين مستقبلها بنفسها ، هي قوتها الاقتصادية · وتزداد هذه القوة كلما قل تعلقنا الاقتصادي ، وانخفض العجز في ميزان المدفوعات، وتجدد النمو الاقتصادي· وبأختصار: كلما زادت الصادرات »(١٤)· ورغم تفاؤل شافيط بزيادة الصادرات الصناعية « خاصة في الفترة ١٩٧٥ ـ ١٩٧٦ ، حيث ارتفعت بنسبة ٥ر٢٦٪ ، ووصلت الى نحو مليارى دولار » (١٥) ، ثم اشادة الوزيرين ارليخ وهوروفيتس بزيادة الصادرات خلال الاشهر الاخيرة ، « فان الزيادة ( ٤٤٪ ) في مجمل الصادرات خلال الاشهر الاولى من سنة ١٩٧٨ ، قد نجحت ، بحسب معطيات المكتب المركزي للاحصاء ، عن حجم بيع الماس · اما قيمة الصادرات ، دون الماس ، ودون التأثيرات الموسمية ، فبلغت بين كانون الثاني ( يناير ) واذار ( مارس ) من السنة الجارية ، ١٧٠ مليون دولار في المعدل الشهري · وهو معدل يزيد بنسبة ١٧٪ عن معدل الصادرات في النصف الاول من سنة ١٩٧٧ ، ولكنه اقل بنسبة ٦٪ عن معدلها في النصف الثاني من السنة نفسها » (١٦) · ويذكر مدير عام وزارة التجارة والصناعة عاموس بار ـ حاييم ، ان الزيادة في الصادرات الصناعية خلال الاشهر الاخيرة قد « نتجت في الاساس عن تنفيذ التزامات سابقة ، وبفضل رغبة الصناعيين في احترام الاتفاقات ، الا ان ارباح الصادرات قد انخفضت بنسبة كبيرة ، بالمقارنة مع ارباحها قبل الانقلاب الاقتصادي » (١٧) ·

واستنادا الى المعلومات المتوفرة في هذا الشأن ، يمكن تحديد اسباب عدم ربح الصادرات بالعوامل التالية : (١) انخفاض سعر الدولار ( باللهرة الاسرائيلية ) بالنسبة للمصدرين ، فقد توقع هؤلاء ان يصل سعر الدولار حتى في بداية ١٩٧٨ الى ٥٠ر١٦ ليرة، ولكن املهم خاب بعدما اتضح لهم ان سرعة التخفيض في قيمة الليرة بطيئة جدا · وحسب معطيات الميزانية الاضافية التي اقرتها الحكومة الاسرائيلية بتاريخ ٧٨/٧/١٧ ، يتوقع ان تصل قيمة الدولار في نهاية السنة المالية الحالية ، الى ٥ر٢١ ليرة للدولار ، بعد سلسلة من التخفيضات البطيئة خلال السنة · الا ان هذه القيمة تبقى غير كافية بدورها في نظر المصدرين ، نظرا للارتفاع الذي يرافقها في الاجور والاسعار · (٢) ادت السياسة الجديدة الى زيادة نفقات الانتاج بنسبة تفوق ما كان يحدث اثناء عمليات التخفيض السابقة في قيمة العملة · فقد ارتفعت نفقات الانتاج بشكل واضح خلال فترة قصيرة ، لا تتعدى الثلاثة اشهر ، ولم تترك مجالا للربح امام المصانع · « وقد استمرت هذه المصانع في تنفيذ طلبات التصدير ، من خلال الافتراض بأن تتحقق توقعات الحكومة بالنسبة لسرعة ارتفاع سعر الدولار ، بحيث تستطيع [ اي المصانع ] التعويض عن خسائرها في وقت لاحق » (١٨) · (٣) الغاء حوافز التصدير ، وقد ادى هذا الاجراء الى دفع مصانع كبيرة غير مربحة ، الى اجراء عملية اصلاح وتوفير في نفقات الانتاج· ويقال ان الغاء الحوافز لم يحدث فقط بسبب الرغبة في توفير مبالغ ضخمة لخزينة اسرائيل ( ١٤ مليار ليرة حسب معطيات الميزانية ) ، وانما بسبب ضغوط دولية وجهت الى اسرائيل خلال السنتين الاخيرتين سواء من جانب صندوق النقد الدولي ، او من جانب حكومة الولايات المتحدة ، ودول السوق الاوروبية المشتركة · وتدعي هذه الجهات، بأن الحوافز الممنوحة للصادرات تناقض مبادىء التجارة الدولية ، حتى ان الولايات المتحدة قدمت شكاوى قضائية بحق بعض الشركات الاسرائيلية ·

وبالاضافة الى ذلك تشير بعض المعلومات الى ان « مشاريع صناعية كبيرة وقوية ، قد

لحقها الضرر نتيجة الانقلاب الاقتصادي · وابرز مثال على ذلـــك شركة «اليـانس » ( للاطـارات ) التي استطاعت توفير اسواق لتصدير اطاراتها · لكن ، منذ تشرين الاول من السنة الماضية ، بدأت الشركة تعانيمن نفقات كبيرة في الانتاج ، ولم يساعدهـــا التخفيض في قيمة الليرة على تحسين ارباحها · كذلك فأن مصانع « كور » ( للصلب )، التي تعتبر صادراتها السنوية من اكبر صادرات المجمعات الصناعية في اسرائيل ، راحت ارباحها تنخفض ، خاصة خلال السنة الحالية ، بالمقارنة مع ارباحها في السنة الماضية · وثمة وضع مشابه لوضع « كور » ، قائم في مجمع « كلال » للنسيج ، و « ديسكونت » للاستثمارات ·

اما الضرر الاكبر فقد لحق بتلك المصانع التي تصدر النسبة الاكبر من انتاجهـــا · فبسبب عدم توفر سوق محلي يمكن بواسطته تنظيم الاسعار ، وعدم قدرتها على رفـــع اسعار منتوجاتها في الاسواق الخارجية ، حيث تسوق صادراتها ، تضطر الى الاكتفـاء بربح قليل جـــدا » (١٩) ·

وبموجب سياسة الحكومة ، فأن المصانع غير المربحة ، والتي لا تستطيع الاستمـــرار في عملية الانتاج في ظل الظروف الحالية ، عليها ان تقفل · الا ان اقفال اي مصنـــع لم يحدث حتى الآن ، وقد دار الحديث مؤخرا حول قرار اتخذه مجمع « كلال » للنسيج، يقضي بأقفال مصنع تابع له في بيسان ، وهو مصنع « كيتان » ، وذلك بسبب الخسائـر الكثيرة التي لحقت به · الا ان هذا القرار لم ينفذ ، بسبب المعارضة الشديدة له ، حتى داخل الحكومة ، لان المصنع يشكل مورد رزق اساسي لسكان البلدة (٢٠) · كذلك قامت الحكومة ، خلافا لسياستها ، بمنح قروض لبعض المصانع التي لم تستطع الاستمرار في ظل الظروف الجديدة (٢١) ، مما قد يدل على ان سياسة الاقفال التي اعلنت عنها ، لا تتلاءم مع الواقع ، وبالتالي لا يمكن تنفيذها · وانطلاقا من هذه الحقائق ، فأن قـــول مستشار وزير المالية دوفرات ، في تقريره السابق ( امام اللجنة المالية في الكنيست ) ، بأن « هناك احتمالا جيدا لان تشهد سنة ١٩٧٨ زيادة كبيرة في الصادرات ، تفوق جميع التوقعات » يبدو ضعيفا جدا ، وذلك خلافا لتوقع محافظ بنك اسرائيل غفني ، بأن الوضع الاقتصادي سيؤدي الى تجميد الصادرات ، وارتفاع الواردات خلال السنة الحالية (٢٢ ) · لذا يمكن القول ، ان تجديد النمو الاقتصادي بواسطة زيادة انتاجية فرع الصادرات القائـم ، هو امر غير واقعي ، وليس من السهل تحقيقه خلال هذه السنة ·

### توسيع قطاع الانتاج ـ حلم مبكر

يعتبر توسيع قطاع الانتاج ، احد الوسائل الرئيسية لتحقيق النمـــو الاقتصادي السليم ، في نظر المسؤولين الاسرائيليين الا ان تحقيق هذا الهدف يتعلق بجملة قضايا، يعتبر حلها اساسا لتحقيق النمو بهذه الوسيلة · واولى هذه القضايـــا هـي توفيـــر الاستثمارات المطلوبة ، وبأحجام كبيرة · وهناك بعض التقدم في هذا المجال ، خاصة وان « ارقام مركز الاستثمارات اشارت الى ان في الفترة ما بين كانون الثاني حتى ايـــار من هذه السنة ، صادق المركز على ٥٢٩ خطة استثمار ، بمبلغ ٥ر٠مليار ليرة ، مقابـــل ٣٦٩ خطة بمبلغ ٥ر٣ مليار ليرة في الفترة الموازية لها من سنة ١٩٧٧ · وبين هـــذه الخطط ، وصل عدد خطط الاستثمار في الصناعة الى ٣٦٩ خطة ، مقابل ٢٣٣ في السنة الماضية · وعلم كذلك ان جزءا من هذه الاستثمارات بالعملة المحلية ، يمول بواسطـــة

التوفير الخاص ، الآخذ في الارتفاع » (٢٣) · انما ،لا يعتبر هذا كافيا ، خاصة ، اذا اخذنا في الاعتبار ، ان وضع الاستثمارات هو في انخفاض منذ حرب ١٩٧٣ · «فزيادة الانتاج القومي تتعلق بالاستثمار الصافي ، الذي انخفضت نسبته [ كما اشرنا سابقا ] من ٨٪ ، في الفترة ١٩٧١ ـ ١٩٧٣ ، حتى ٣٪ في سنة ١٩٧٧ ··· ومن اجل تجديد النمو الاقتصادي ، يجب زيادة الاستثمار في الفروع الاقتصادية بنحو ٥٠٪، وخلال ذلك مضاعفة الاستثمارات في المشاريع الصناعية · [ وينبغي ان يتم ] ذلك ، ليس بواسطة مخصصات مالية فقط ( ميزانيات ، عائدات الاسهم ، قروض ، وما شابه ) ، وانما بواسطة موارد حقيقية ··· عنطريق زيادة التوفير [ مثلا ] » (٢٤) ·

الا ان التطلع الاكبر في السياسة الاقتصادية الجديدة يبقى موجها نحو جذب الاستثمارات من الخارج ، وبمبالغ طائلة بالعملة الصعبة · وهذا الهدف لم يتحقق حتى الآن على الاقل ، بعد مضي سنة على بدء تطبيق السياسة الجديدة ، رغم الاشاعات التي تطلقها اوساط وزارة المالية ، من ان هناك مجموعة من الاثرياء اليهود في اميركا ، تستعد لاستثمار « ملايين كثيرة من الدولارات » في مشاريع متنوعة في اسرائيل (٢٥) · الا ان شيئا من هذا القبيل لم يحدث ، وبالمستوى الذي يتطلع اليه اصحاب السياسة الجديدة ·

ويلاحظ ان هناك عاملين يؤثران على جذب الاستثمارات الى اسرائيل ، أولهما الوضع السياسي ، وما يحدثه من ضغوط عربية على المستثمرين ، او خوفهم من ردود فعل عربية · « وقد توصل المسؤولون في اسرائيل الى نتيجة مفادها ان لا فائدة من الركض وراء مشاريع ضخمة ، او شركات كبيرة ، عالمية الانتشار ، حيث لها مصلحة مباشرة ، او غير مباشرة ، في كسب تأييد العرب · وانما يجب على اسرائيل ان تركز في البحث على مستثمرين ، اصحاب مشاريع وسط ، او صغيرة · ( ومشروع صغير ، او وسط ، في المانيا او هولندا ، يمكن ان يكون مشروعا كبيرا جدا بمقاييس السوق المشتركة ) · ان اصحاب مشروع كهذا لا يخشون كثيرا المقاطعة العربية ، وانما يتطلعون الى الاستثمار من الناحية الربحية فقط · كذلك فانهم غير ملزمين بنشر موازنات مفصلة لمشاريعهم ، تبرز كل استثمار · وفي المجتمع الاوروبي آلاف كثيرة من مشاريع كهذه ، والمشكلة هي في كيفية ايجاد تلك التي يتوفر فيها المقياسان التاليان : اولا ان يكون لديها اهتمام بالاستثمار فيالخارج ، وخارج اوروبا واميركا الآمنتين · ثانيا ، ان يكون الاستثمار سواء في اقامة مشروع جديد او توسيع مشروع قائم ، للمساهمة في تقدم المصادرات الاسرائيلية ، وفي دخول المنتوجات الاسرائيلية الى السوق المشتركة والولايات المتحدة » (٢٦) ·

أما العامل الثاني الذي يؤثر على جذب الاستثمارات الى اسرائيل فهو الوضع الاقتصادي · فالتضخم المالي السريع ، وعدم ثبوت الاسعار والاجور ، يردع الكثير من المستثمرين ، رغم التسهيلات المالية والادارية التي يحظون بها ، وفق السياسة الجديدة · وتنوي السلطات الاسرائيلية ادخال تعديلات جديدة على قانون الاستثمارات المالية ، بهدف حل الجانب الاقتصادي للقضية · وفي هذا الصدد ، اعلن الوزير ارليخ ان « الاداة الاساسية لتشجيع الاستثمارات سيكون قانون تشجيع الاستثمارات الجديد ، وهدفه تشجيع الاستثمار في المشاريع المعدة للتصدير ، وتلك التي تحل منتوجاتها مكان الواردات ، من خلال منح مناطق الاعمار مكان الافضلية ··· [ كذلك ] يهدف القانون الى تبسيط الاجراءات من اجل تشجيع الاستثمارات ··· وتشكل مواد القانون تتمة

للسياسة الاقتصادية التي تهدف الى زيادة حجم الاستثمار بالعملتين الصعبة والمحلية » (٢٧) · رغم ذلك ، فان التوقعات بشأن حجم الاستثمارات خلال السنة الحالية غير مشجعة ، اذ يتوقع البعض استمرار الانخفاض فيها للسنة الرابعة على التوالي ، وبنسبة ٤٪ خلال هذه السنة (٢٨ ) ·

## توسع قطاع الخدمات

من بين ما يتطلبه توسيع قطاع الانتاج ، بالاضافة الى تقوية المصانع القائمة ، وزيادة ربحية الصادرات تم جذب استثمارات كبيرة لانشاء مشاريع جديدة ، هو تحويل الجزء الاكبر من العاملين الى هذا القطاع · الا ان هذا الامر يصطدم بواقع يعاني منه القطاع الانتاجي في الاقتصاد الاسرائيلي ، وهو تقلص كبير في عدد العاملين داخله ، بينما يسود الانفلاش قطاع الخدمات ، خاصة الخدمات العامة · وتشير الاحصائيات الى ان من « بين ٠٠٠ر١٤٠ شخص اضيفوا الى القوى العاملة في اسرائيل في الفترة ١٩٧٠ ـ ١٩٧٥ ، توجه الى فرع الانتاج ( الزراعة والصناعة والمواصلات والبناء ) ٠٠٠ر٤٤ شخص فقط ٠٠٠ وشملت طاقة العمل المدنية في سنة ١٩٧٦ ١٧٪ من الموظفين ، و ١٨٪ من عمال المبيعات والوكلاء ، ثم ٥ر١٩٪ من اصحاب المهن العلمية الحرة ، و ٢ر١١٪ عمال خدمات · واذا اضفنا الى ذلك افراد الجيش الدائم نصل الى نسبة ٦٠ ٪ من سائر العاملين ، وهي نسبة غير متوفرة الا في الدول الغنية جدا ٠٠٠ ففي الدول النامية تشكل نسبة عمال الزراعة والصناعة من ٤٠ ـ ٦٠٪ من طاقة العمل · وحتى في الولايات المتحدة وصلت نسبتهم في سنة ١٩٧٦ الى نمو ٣٣٪ ، بينما لم تصل النسبة في اسرائيل حتى الى ٣٠٪ · وفي معظم بلدان اوروبا الغربية تشكل [ نسبة العاملين ] في قطاع الخدمات نحو ٤٠٪ ، بينما وصلت في اسرائيل الى نحو ٥٥٪ ، كما هو الحال تقريبا في الولايات المتحدة والسويد التي يبلغ فيها الدخل القومي للفرد ضعفين ، او اكثر ، من معدله في اسرائيل » (٢٩) ·

ويستنتج من ذلك ، ان قطاع الخدمات يشكل الاساس في الاقتصاد الاسرائيلي ، من ناحية الطاقة البشرية العاملة فيه · لذلك ، « ينبغي الا نصاب بالدهشة ، اذا كانت تنظيمات الموظفين ، والمعلمين ، والممرضات ، وموظفي البنوك ، وما شابههم ، تشكل اقوى الهيئات حتى في الهستدروت · وان الهستدروت تناضل الآن ضد اية محاولة ، لتفضيل عمال الانتاج عليهم · ولا عجب ايضا اذا كان هذا التركيب المهني يؤدي الى انخفاض في الانتاج [ في اسرائيل ] ، بشكل لا يكفي لسد متطلباتها ، ولتوفير الصادرات المطلوبة لموازنة مشترياتها في الخارج · ان فائض واردات [اسرائيل] ـ اي ـ المساعدات التي تحصل عليها ، وتتعلق بها ـ ليست سوى نتيجة التخلف في الانتاج الذاتي لديها » (٣٠) ·

على اي حال ، فان سياسة تشجيع انتقال العمال الى الفروع الانتاجية ليست جديدة ، اذ طرحت في العهود السابقة ايضا دون ان تنفذ · ويبدو ان احتمالات تنفيذها لم تتوفر بعد ، خاصة بعد الانقلاب الاقتصادي « الذي حكم على القطاع الانتاجي باصلاح اوضاعه، بواسطة الغاء جزء كبير من الحوافز والمساعدات الحكومية ، وكشف المنتجين امام نسب التبادل الحر [ نسبيا ] ، وامام المنافسة المتزايدة من الخارج [ الواردات ] ، وفي الاسواق الخارجية · وهو ما تم بواسطة خطوات قانونية واجرائية اتخذت دفعة

واحدة ... بينما لم تتخذ اية خطوة مماثلة في قطاع الخدمات العامة . فهذا القطاع لا يتأثر كثيرا من [ تفاعل ] قوى السوق الحرة في اسرائيل وخارجها ، وليس هناك اي جهاز يمكن ان يحثه على اصلاح ذاته . والطريق الوحيد لتحقيق هذا الهدف هو بواسطة جهد يومي منهجي وجاد من جانب المسؤولين عنه . وقد فشلت حكومة ليكود فشلا ذريعا في هذا المجال ، تماما كالحكومات السابقة » (٣١) . وحسب توقع غفني ، محافظ بنك اسرائيل ، فان سنة ١٩٧٨ ستشهد انضمام الاف العمال الى القطاع العام ، على غرار ما يحدث في كل سنة ، نظرا لتخصيص اكثر من مليار ليرة في الميزانيةالعامة الحالية لهذا الغرض (٣٢) .

## التضخم المالي السريع ـ المشكلة الرئيسية

رغم وعود وزير المالية ارليخ ، عند بدء تطبيق السياسة الاقتصادية الجديدة في تشرين الاول من السنة الماضية ، بشأن تثبيت الاسعار ، وكبح سرعة التضخم المالي ، ثم اعلانه في بداية السنة ، بأن السياسة الاقتصادية التي تنتهجها الحكومة ستؤدي الى خفض الضغوط التضخمية ، بحيث لا يتجاوز ارتفاع الاسعار ، خلال السنة الحالية ، نسبة ٣٠٪ ، الا ان سرعة التضخم المالي تزداد من شهر الى آخر . وقد بدأت تشير آخر التوقعات التي اطلقتها مؤخرا اوساط وزارة المالية ، الى ان ارتفاع الاسعار سيتجاوز نسبة ٤٣٪ خلال هذه السنة (٣٣) . وبذلك يستمر وضع التضخم المالي السريع، الذي راح يشتد منذ سنة ١٩٧٤ . ففي الفترة ١٩٧١ ـ ١٩٧٣ بلغ معدل ارتفاع الاسعار ١٧٪ ، وخلال السنوات الثلاث التي تلتها ١٩٧٤ ـ ١٩٧٦ ، بلغ الارتفاع ٣٥٪ . اما في السنة الماضية ١٩٧٧ ، فقد وصل الى ٤١٪ ، رغم جميع الاجراءات التي اتخذت للحيلولة دون الوصول الى نسبة كهذه . وكان نائب وزير المالية ، يحزكيئيل بلومين ، قد اعلن «ان الانقلاب الاقتصادي ، قد ادى بصورة لا يمكن تجنبها ، الى تضخم مالي شديد . ونحن نتوقع تباطؤا في ارتفاع الاسعار ، خلال الاشهر القريبة المقبلة . وهدفنا هو خفض معدل الغلاء بنسبة ٥ ـ ٧ ٪ سنويا ، بحيث نصل ، خلال اربع سنوات الى تضخم مالي بمعدل سنوي يبلغ نحو ١٥٪ فقط » (٣٥) . الا ان بلومين عاد واعلن ، مبررا ارتفاع الاسعار المتوقع خلال هذه السنة ، « ان كل افتراضاتنا لهذه السنة كانت مبنية على امر واحد : لا زيادة ابدا في الاجر الحقيقي . وفي اللحظة التي لم تستطع فيها الحكومة المحافظة على هذا الامر ، فقد انقلبت الامور ، واهتزت التوقعات » (٣٦) .

ان كان حديث بلومين ، هذا ، يشير الى شيء ما ، فليس يشير الا الى التناقض القائم ، منذ بدء عهد ليكود ، بين السياسة والايديولوجية التي تدعمها ، وبين الواقع الاقتصادي الاسرائيلي . فالحديث عن الرغبة في كبح سرعة التضخم المالي وخفض الاسعار ، لا يتماشى ابدا مع السياسة العملية التي تنفذها الحكومة يوميا ، ابتداء من قطاع الاجور والاسعار ، وانتهاء بتحويل العجز في الميزانية بواسطة طباعة الاوراق النقدية ، وتحويلها الى الجمهور .

وكمقدمة لشرح سياسة الحكومة في هذا المجال ، لا بد ان نذكر ان وزارة المالية كانت تتوقع ازدياد التضخم المالي ، بعد بدء تطبيق سياستها ، ومن جهات ثلاث : (١) ان يقوم اصحاب الودائع بالعملة الصعبة بسحب اموالهم وتحويلها الى العملة الاسرائيلية ، مما يؤدي الى ضغوط تضخمية شديدة . (٢) ارتفاع مستمر في اسعار المواد الخام والبضائع

المستوردة الاخرى ، بسبب انخفاض دائم وسريع في قيمة الليرة · (٣) تقلبات مستمرة في قطاع الاجور · الا انه « لم يتحقق من هذه المخاوف الثلاثة سوى الاخير ··· فقد اعتقد وزير المالية ، عشية تنفيذ الانقلاب الاقتصادي ، ان اتفاقات العمل جميعها موقعة ونهائية ، ولكنه لم يأخذ في الحسبان ، كما يبدو ان سريان مفعولها ينتهي في كانون الثاني ١٩٧٨ ( شهران فقط بعد الانقلاب ) ، واستبعد امكانية اجراء المفاوضات بشأنها، وفق الشروط التي احدثها الانقلاب فقط · لقد كان الافتراض في الميزانية العامة ، بأن معدل الاجور ، في سنة ١٩٧٨ ، سيكون مرتفعا بنسبة ٤٤٪ عن سنة ١٩٧٧ · ولكن ، من الواضح الان ، ان الافتراضات الاساسية التي ينطلق منها هذا التوقع ( لا زيادة ابدا في الاجور في القطاع العام ، عدا غلاء المعيشة والزيادة السنوية التقليدية ، ثم زيادة في الاجور حسب الانتاج فقط في القطاع الانتاجي ) لن تتحقق · ولذلك بدأ الحديث يدور الآن حول ارتفاع في الاجور بمعدل ٦٠٪ واكثر · اي ان الانقلاب الاقتصادي قد ادى الى تصعيد في التضخم من ناحية الاجور ايضا » (٣٧) · وتشير آخر المعلومات الى انه تم رصد ٣ر٧ مليار ليرة اضافية لتغطية الارتفاع المتوقع في الاجور (٣٨) ·

وبذلك يمكن تلخيص اهم العوامل التي ستساعد على استمرار التضخم المالي خلال السنة الحالية ، على الوجة التالي : اولا ، عدم الاستقرار في وضع الاجور ، خاصة في القطاع العام · وكان وزير المالية قد اعلن ان الحكومة لن توافق ابدا على اية زيادة في الاجور في هذا القطاع تفوق ال ١٥٪ ، حسب الاتفاق مع الهستدروت · الا ان هذا الامر لا يتقرر دائما وفق رغبة الوزير ، وانما يجب الاخذ في الاعتبار رأي الهيئات العمالية ايضا ، خاصة القوية منها ، والتي لم توافق حتى الآن على تحديد هذه النسبة · ثانيا، العجز المتزايد في ميزانية الدولة ، الذي يمول في الاساس بواسطة طباعة الاوراق النقدية ، كما ذكرنا سابقا · « وقد اشارت جميع التوقعات في الميزانية العامة ، الى ان حجم « تدفق الاموال » [ اي طباعة الاوراق النقدية الجديدة ] خلال سنة ١٩٧٨ ، لن يتجاوز ٦ مليار ليرة · الا انه كان واضحا منذ مطلع كانون الثاني من هذه السنة ، ان المعدل سيصل من ١٠ ـ ١٢ مليار ليرة ، والآن ارتفع هذا التوقع ليصل الى ٢٠ مليارا · وقد نتج هذا التطور نتيجة العوامل التالية : التجاوزات في مجال الاجور والمساعدات الحكومية ، عدم قدرة حكومة ليكود على اجراء تخفيض في النفقات العامة [ في الميزانية ] ، التنازل عن الدخل من الضرائب التي الغيت في اطار سياسة الغاء التشويهات » (٣٩) · واستنادا الى هذه المعطيات ، ليس غريبا ان يتوقع تسجيل نسبة عالية من التضخم خلال السنة الحالية تفوق ٤٠٪ ، خاصة اذا اخذنا في الاعتبار ايضا موقف الهستدروت والهيئات العمالية المتشدد ·

### التنسيق مع الهستدروت

اعرب زعماء الهستدروت منذ البداية عن معارضتهم للسياسة الاقتصادية الجديدة التي اتبعتها حكومة ليكود ، واكدوا اكثر من مرة انهم لن يتراجعوا عن اتخاذ اية خطوات من شأنها احباط هذه السياسة وابراز فشلها ، حتى وان كان هذا الامر سيزيد الوضع الاقتصادي تعقيدا · وقد تحدث سكرتير عام الهستدروت يروحام ميشيل ، حول الموقف من سياسة الحكومة الاقتصادية بقوله : « ان الهستدروت لا تستطيع عدم اجراء حوار مع الحكومة والافتراق عنها ، وفي الوقت نفسه عليها ان تثبت وجودها امامها · فهي لا

تستطيع ان تكون معارضة بما تعنيه هذه العبارة ، وهكذا فهي تختلف عن اية كتلة معارضة في الكنيست · فبصفتها هيئة مسؤولة تمثل نقابة مهنية ، وهيئة عاملين ، وتعاونيات ، واستيطان عامل ، ومؤسسات صحية ، ومساعدة متبادلة ، وصناديق تقاعد، وما شابه ذلك ، فهي ملزمة على العمل من خلال موقف مسؤول ، واعطاء اجوبة خاصة بها على المسائل التي تطرحها امام الحكومة · وعليها ان تدير نضالا ولكن ضمن المسؤولية بأن هذا النضال لن يؤدي الى بطالة فيالاقتصاد · وقد تمثل نضال الهستدروت الاساس في هذه السنة ، في سعيها ضد الانقلاب الاقتصادي · فالهستدروت ليست لها صلاحية ، ولا تملك امكانية منع هذا الانقلاب والغاء الاجراءات المرتبطة به · ولكنها ناضلت ، وحققت في مدى غير قليل ، مطالبها بشأن التعويض على الاجراء ومحدودي الدخل ، ومنع الاضرار الاجتماعية المترتبة على هذه السياسة » (٤٠) ·

وانطلاقا من هذا الواقع ، اضطر وزير المالية ارليخ الى ابرام اتفاق مع الهستدروت في اواخر شهر نيسان الماضي ، لتحديد الضغوط العمالية المتزايدة ، ولو لفترة زمنية محدودة · ويقضي هذ الاتفاق بتجميد الاسعار وقيمة السندات الحكومية ، وكبح سرعة التضخم المالي ورفع الاجور في القطاع العام · وبموجبه جمدت ، حتى مطلع تشرين الاول ( اكتوبر ) من هذه السنة ، أسعار المواد الاساسية التي تدفع الحكومة اعانات سنوية لتثبيت اسعارها ، مثل الخبز والزيت والبيض والحليب ومنتوجاته ، ثم المواصلات العامة · كذلك اتفق على تجميد اسعار الكهرباء والمياه ، ثم رفع الاجور في القطاع العام بنسبة ١٥٪ فقط · واتخذ قرار ايضا بشأن اقامة لجان مشتركة بين الحكومة والهستدروت ، لمتابعة تطور الامور ، والبحث في امكانية تمديد هذا الاتفاق بعد شهر تشرين الاول (٤١) ·

وقد اختلفت الاراء ، في حينه ، حول تقييم هذا الاتفاق ، الا ان بعضهم اعتبره مساهمة مهمة في تهدئة الاوضاع الاقتصادية ، وتبريد الاجواء على الصعيد العمالي في اسرائيل (٤٢) ، خاصة وانه جاء بعد موجة شديدة من الاضرابات · اما وزير المالية ، فقد اعلن ان الاتفاق قد « ادى الى حالة من الهدوء في الاقتصاد ، وخفض من سرعة الغلاء ، ومكن الحكومة من الحفاظ على الهدوء في فرع الصناعة · ولولاه لتدهور الوضع نحو بطالة شديدة ، بسبب حالة التقشف ، وغلاء المواد الاستهلاكية الاساسية » (٤٣ ) · الا ان اوساطا اخرى ، خاصة من كبار المسؤولين في وزارة المالية. اعتبرته بمثابة انتصار للهستدروت لم يحقق اي هدف اقتصادي ، لانه ـ على حد تعبير نائب وزير المالية بلومين ـ « قد كلف الخزينة مليارات كثيرة ··· ولو حصلنا على مقابل ما على الاقل ، لسهل دفع مثل هذا الثمن · فلو وافقت الهستدروت ، مثلا ، على مسألة انتقال العمال [ من الخدمات الى قطاع الانتاج ] ، والغاء دوام الصيف ، وعلى اتخاذ اجراءات اصلاحية في الاجهزة الاقتصادية ، واتفاقات خاصة وحيوية مع كبار الموظفين، لما اسفت على دفع هذا الثمن الباهظ · ولكن لم يتبدل او يتحقق شيء ··· لذا اقول ، دفعنا كل شيء ، ولم نحصل على شيء في المقابل » (٤٤) · وفعلا ، اضطرت الحكومة الاسرائيلية بعد ذلك الى اقرار ميزانية اضافية لهذه السنة ، بقيمة ٢٨ مليار ليرة ، خصص الجزء الاكبر منها لتغطية بنود هذا الاتفاق ، خاصة فيما يتعلق ببند تجميد الاسعار ، الذي كلف الخزينة مبلغ ٤ر٥ مليار ليرة (٤٥) · ولم تقدم الهستدروت شيئا في المقابل ، سوى الالتزام بعدم تجاوز نسبة ارتفاع الاجور ( ١٥٪ ) التي اتفق عليها في القطاع العام ، وبذلك تكون قد نجحت في اثبات موقفها المعارض من السياسة الاقتصادية·

على اي حال ، فان سريان مفعول هذا الاتفاق قد انتهى في مطلع تشرين الاول ( اكتوبر ) الماضي · ومع انتهائه بدأت موجة جديدة من الاضرابات العمالية ، تشهدها اسرائيل حاليا ، بهدف الحصول على علاوات في الاجور تفوق ال ١٥٪ التي اقرتها الحكومة في اتفاقها السابق مع الهستدروت · فالمعلمون افتتحوا السنة الدراسية ، في مطلع ايلول باضراب عام شمل جميع المدارس في اسرائيل دون استثناء ، الا انهم انهوه بمناسبة « السلام » ، بعد عودة الوفد الاسرائيلي من كامب ديفيد ، وعادوا الان يهددون من جديد اما موظفو الاذاعة والتلفزيون والبريد والهاتف فقد اعلنوا اضرابا متواصلا دون تراجع رافضين اية تسوية بشأن مطالبهم · وقد توصل هؤلاء العمال الى اتفاق مع الهستدروت ، يقضي بزيادة اجورهم بنسبة ٢٢٪ ، الا ان الحكومة اجتمعت ورفضت هذا الاتفاق بصورة مطلقة ، مصرة على عدم تجاوز نسبة ال ١٥ ٪ ، كما قررت سابقا · واعلن نائب وزير المالية ، بلومين ، ان الحكومة ستواجه الاضرابات ، وتصمد امامها ، وقد بدأت تبحث الان في اصدار اوامر طوارىء للعمال ( وهي بمثابة اوامر عمل اجبارية ، وفق انظمة الطوارىء ) · (٤٦) ·

بالمناسبة ، نذكر ان التقرير السنوي حول علاقات العمل في اسرائيل ، الذي تعده وزارة العمل ، يشير الى أن الاقتصاد الاسرائيلي خسر اكثر من ٤٠٠ الف يوم عمل في ١٢٦ اضرابا كاملا وقعت في سنة ١٩٧٧ ، مقابل اكثر من ٣٠٠ الف يوم عمل في ١٢٣ اضرابا كاملا في سنة ١٩٧٦ (٤٧) ·

ومن الواضح ان الخضوع لمطالب العمال ـ سيكون على حساب زيادة العجز في الميزانية العامة ، الذي وصل الى اكثر من ١٢ مليار ليرة بعد تقديم الميزانية الاضافية ·

ويبدو ان الحكومة مصممة على تجاهل مطالب الهستدروت في كل ما يتعلق بالاجور والاسعار ، وقد رفضت ايضا طلبا للهستدروت بتجديد الاتفاق السابق معها بهذا الشأن ·

ذكر نائب وزير المالية بلومين : « ان كل من يرغب في الوصول الى هزيمة اقتصادية كاملة ، يقترح علينا تجديد الاتفاق مع الهستدروت ، في هذه الظروف الصعبة · محظور علينا الاستمرار في تجميد الاسعار ، ولن يؤدي هذا الامر الى تيار من الغلاء ، لانه لم ينفذ دفعة واحدة ، وانما سيكون الغلاء تدريجيا · فخلال كل شهر او فترة زمنية معينة، نخفض الاعانات الحكومية ، او ، لا نزيدها ، على منتوجات غذائية معينة · وحتى بالنسبة للبنزين والكهرباء والمواصلات لن يكون الغلاء دفعة واحدة » (٤٨) · وبناء على ذلك ، قد يطرأ ارتفاع مستمر في الاسعار خلال هذه السنة ايضا ، يفوق نسبة ال ٣٥٪ المتوقعة ·

وبالفعل ، فقد بدأت موجة الغلاء « التدريجي » تجتاح اسرائيل منذ نهاية تشرين الاول ( اكتوبر ) الماضي ، حيث اعلن عن ارتفاع اسعار البنزين والمواصلات والمواد الغذائية الاساسية ، الامر الذي يدفع العمال نحو مزيد من التصلب في مطالبهم · على اي حال ، فالستهدروت تملك اوراقا كثيرة في الصراع الحالي ، اهمها اتفاق غلاء المعيشة ، الذي تدفع بموجبه علاوة الغلاء على دفعتين ، وبنسبة ٧٠٪ فقط من الارتفاع في جدول الاسعار · وقد لمحت اوساط الهستدروت بالفعل الى رغبتها في اعادة النظر في الالتزام بهذا الاتفاق، الامر الذي سيزيد التوتر في علاقات العمل ·

## العودة الى التعامل مع الواقع

ربما تكون النتيجة العملية الاساسية ، التي توصل اليها المسؤولون الاقتصاديون في حكومة ليكود ، بعد سنة من الانقلاب الاقتصادي ، هي العودة للتعامل مع الواقع على حقيقته ، بعيدا عن النظريات المطلقة ، والسياسات المحددة · فسياسة « الغاء التشويهات» ادت ، من بين ما ادت اليه ، الى تفاقم ازمة التضخم المالي ، بحيث بات عدم الاستقرار، والارتفاع في الاسعار والاجور ، يهدد كل عملية اصلاح اقتصادية · فالسوق الاسرائيلي « اصبح عالما تسوده المنافسة الدائمة ، بين بائع الجملة ، والتاجر ، والمستهلك ، حول رفع الاسعار · فكل واحد من هؤلاء ، يحاول رفع سعر البضاعة ، بحيث يفوق الارتفاع ما كان يتوقعه هو نفسه · والمتضررون هم اولئك الذين ليس باسكانهم تحديد اسعارهم يوميا ، او كل ساعة · وهؤلاء في الاساس هم العمال المأجورين ، الذين يحاولون ايضا حماية انفسهم من التضخم المالي ، عندما يتفاوضون بشأن الاجور ··· فهل هناك [مثلا] من يتذكر كم كان ثمن الخدمة او البضاعة قبل اسبوعين ، واحيانا قبل يومين ؟ لقد اصبح [ السوق ] بمثابة غابة ، والغلبة فيها للقوي · وكل من لديه الجرأة ، ولا يأخذ اعتبارا للقواعد الشريفة التي كانت متبعة ، تكون احتمالات نجاحه كبيرة · بينما يخسر الضعيف ، عديم القدرة ، الذي لا يملك وسائل للائمة الدخل والاسعار مع المتغيرات الدائمة » (٤٩) ·

وما هو الحل ؟ المعارضون لسياسة الحكومة يعتبرون ان الحل الملائم الوحيد هو الاقتطاع من الميزانية العامة ، وتعميق جباية الضرائب · فقد طالب غفني ، محافظ بنك اسرائيل ، في تقريره السنوي ، باقتطاع ٦ مليار ليرة من الميزانية ، وزيادة جباية الضرائب بـ ٣ مليارات ،دون رفع نسبتها ، كشرط اساسي لتحسين الوضع الاقتصادي (٥٠) · كذلك طالب وزير التجارة والصناعة يغئال هوروفيتس ، باقتطاع ٣ مليار ليرة من الميزانية الاضافية التي صادق عليها الكنيست في اواخر تموز الماضي ، وعقب على طلبه هذا بقوله انه « اذا خفضنا الميزانية ، وعرفنا كيف نصمد امام مطالب الاجور ، سنصل الى نسبة ٣٠٪ من التضخم المالي ، ولكني اشك في ذلك · والقضية هي اذا كنا لنستطيع فعلا الصمود أمام الضغوط » (٥١ ) · وكان هوروفيتس قد قدم استقالته احتجاجا على حجم الميزانية الاضافية ، الا انه تراجع بعدما تلقى وعدا بتنفيذ مطالبه ·

على اي حال ، فان الاتجاه في الميزانية العامة لهذه السنة ، هو نفس الاتجاه الذي كان قائما في الميزانيات السابقة ، ويتمثل في الاتجاه نحو زيادة الميزانية خلال السنة المالية الجارية ، وليس في الاقتطاع منها ، كما يطالب البعض · وعلى هذا الاساس ، يتوقع تقديم ميزانيات اضافية اخرى خلال هذه السنة ، خاصة وان مصير الاتفاق مع الهستدروت لم يتقرر بعد · كذلك فانه لم يتم حتى الآن توقيع اتفاقات العمل في القطاع العام ، هذا بالاضافة الى عدم استقرار الاسعار ، كما اشرنا · ولن ينفع قول ارليخ : « لن نخرج عن اطار الاجور التي حددناها ، حتى اذا نشبت الاضرابات واستمرت اشهرا طويلة · لا نستطيع ان نعطي اكثر · يجب ان يفهم الجميع ، اننا لا نستطيع الاستمرار في طلب الحسنات من الولايات المتحدة ، بينما سيف تقليص المساعدات مسلط على اعناقنا · علينا ان نعمل لاعالة انفسنا » (٥٢) ، في تبديل هذا الوضع ، او التقليل من خطورته ·

## المستفيدون من سياسة الاقتصاد الحر

اذا كانت السياسة الاقتصادية التي اتبعها ليكود لم تؤد ، بعد مرور سنة على بدء تطبيقها ، الى حل جذري للمشكلات الاقتصادية القائمة في اسرائيل ، فانها في المقابل خلقت ظروفا مناسبة لظهور نوع جديد من الاثراء هناك ، يعتمد المضاربة وتجارة الاموال سبيلا الى جني الارباح الطائلة ، مما مكن فئات ومؤسسات في اسرائيل من تكريس ارباح طائلة منذ بدء الانقلاب الاقتصادي ٠

لقد كان اول المستفيدين من التخفيض في قيمة الليرة ( نحو ٤٥٪ ) ، عند بدء تطبيق السياسة الجديدة ، اصحاب الحسابات والودائع بالعملة الصعبة ٠ « وقد ربح هؤلاء، دفعة واحدة ، نحو ١٤ مليار ليرة ، دون ان يضطروا الى دفع اية ضريبة مقابل ذلك » (٥٣ ) ٠ وادى هذا الامر الى تعميق الفوارق الاجتماعية ، بأعتبار « ان الذين يتلقون تعويضات ، واصحاب الودائع بالعملة الصعبة ، ينتمون في الاساس الى السكان القدامى ٠ واما الذين لا موارد من هذا النوع لديهم ، فهم اصلا من بلاد آسيا وشمال افريقيا ٠٠٠ [ فالسياسة الاقتصادية الجديدة ] ادت الى تأزيم المشكلات الاجتماعية ، والثقافية ، التي كانت قائمة دون ذلك بين اسرائيل الثانية ، والسكان القدامى » (٥٤)٠

اضافة الى هؤلاء الاثرياء الجدد ، هناك ايضا اصحاب المساكن الذين تحولوا الى اصحاب ملايين بسبب الارتفاع المفاجيء في اسعار الشقق وحركة البيع والشراء النشطة في هذا الفرع خلال السنة الماضية ٠ « لقد انقذ الانقلاب اصحاب المساكن من مشكلات البيع ٠ وطرأ ارتفاع لا مثيل له خلال السنتين الاخيرتين على بيع المساكن ، حتى ان هناك بعض المقاولين الذين نفدت جميع الشقق لديهم ، فجنوا ارباحا طائلة عادلت خسارتهم خلال الفترة الاخيرة ٠ وقد بيعت في الاساس الشقق الفخمة والفيلات في المناطق الاكثر طلبا ، وليس الشقق المخصصة للازواج الشباب ، وغيرهم ، من الذين يستحقونها ٠ ان كثيرين ، من الذين اقدموا على الشراء ، هم يهود من الخارج ٠ اما الجهة الاساسية التي ولدت ضغطا على سوق المساكن ، والفيلات ، فهم المستثمرون في البورصة ، فقد قرر بعضهم اخراج امواله من سوق الاسهم ، بعد ان اكتفى بالارباح الطائلة التي جرفها بواسطتها ، او لانه توقع خسارة مالية ، واراد انقاذ امواله في اللحظة الاخيرة ٠٠ وهكذا ، فان جزءا كبيرا من الاموال التي خرجت من البورصة ، في شهري تشرين الثاني وكانون الاول من السنة الماضية ، قد تدفقت الى سوق المساكن ، وادت الى ارتفاع الاسعار داخله ٠٠٠ بمعدل ٤٠ ـ ٦٠٪ خلال ثلاثة اشهر ٠ لقد تحول كثيرون ، في مناطق معينة من تل ابيب ومنطقة دان ، الى اصحاب ملايين بفضل المساكن التي يملكونها ، واصبح حلم عائلات كثيرة في الوصول الى شقة ملائمة غير ممكن واقعيا » (٥٥) ٠ وهكذا تفاقمت ، نتيجة لسياسة ليكود الاقتصادية ، ازمة السكن في اسرائيل خلال السنة الماضية ، خاصة بالنسبة الى سكان الاحياء الفقيرة ، الذين كانوا يأملون بتحسن اوضاعهم المعيشية ، والسكنية ، اثر الوعود التي اغدقها عليهم زعماء ليكود ، قبيل وصولهم الى الحكم ٠

## ارباح البنوك

شهدت السوق المالية ، في اسرائيل ، نشاطا واسعا خلال السنة الماضية ٠ ووفق السياسة الجديدة ، يجب ان تؤدي البورصة دور الحكومة في مد القطاعات المختلفة

بالاموال المطلوبة ، لتمويل نشاطاتها ، اي ان تقوم الشركات والمؤسسات المختلفة بتجنيد الاموال المطلوبة لها بواسطة بيع الاسهم في البورصة ، بدلا من التوجه الى وزارة المالية ، او وزارة التجارة والصناعة ، او بنك التطوير الصناعي · وعلى هذا الاساس، كان للبنوك في اسرائيل خلال السنة الماضية ، الدور الاساسي في بورصة تل ابيب ، بأعتبارها وكيلة اصدار الاسهم للشركات المعنية ، ومستشارة لزبائنها في عمليات الاستثمار · وتشير المعلومات الى ان نسبة العمولة التي تتقاضاها البنوك الكبيرة ، في عمليات اصدار الاسهم ، تبلغ نحو ٥٪ من ثمن السهم ، وهذه معاملات يقدر حجمها بملايين الليرات · فمثلا ، بلغ مجموع « تكاليف الاصدار » التي دفعتها شركة الكيماويات في حيفا ، في تموز الماضي ، مقابل اسهمها في البورصة ، نحو ٧ ملايين ليرة ، تقاضت البنوك الكبيرة منها نحو ٥ ملايين ، والباقي دفع للمحاسبين والمحامين· « ان نسبة التكاليف الكبيرة هذه ليست خاصة بشركة الكيماويات المذكورة ، ففي جميع عمليات الاصدار التي تمت خلال هذه الفترة في البورصة ، والتي نجحت بواسطتها الشركات الكبيرة المختلفة في تجنيد مليارات الليرات شهريا ، بواسطة بيع الاسهم والسندات ، بلغت نسبة التكاليف ٧٪ للشركات الجديدة التي تتوجه الى السوق المالي لاول مرة ، ونسبة اقل بالنسبة لعمليات الاصدار الكبيرة في البنوك » (٥٦) · وتتوقع مختلف الاوساط ، ان يستمر هذا الدور النشيط الذي تلعبه البنوك في السوق المالي ، طالما لم تدخل هذه السوق اوساط مالية قوية ، تستطيع ان تأخذ مكانها ·

بالاضافة الى البنوك ، هناك مجموعة مفضلة من المستثمرين ، وهم عبارة عن هيئات مقربة من البنوك ، وشركات التأمين ، او من العاملين معها ، لعبت دورا نشيطا في التجارة بالاسهم والسندات في السنة الماضية · فبعد ان تحصل على هذه الاسهم بشروط مفضلة ، تقوم بطرحها مجددا للبيع في السوق ، بعد ان ترفع اسعارها بنسب كبيرة ، وبهذه العملية تجني ارباحا طائلة · وقد قرر مجلس مدراء البورصة ، خلال الفترة الاخيرة ، منع هؤلاء المستثمرين من بيع الاسهم والسندات التي بحوزتهم ، الا بعد مرور نصف سنة على اصدارها (٥٧) ·

وهناك ، ايضا ، مجموعة « ناجحة » من المحاسبين والمحامين ، الذين استطاعوا خلال السنة الماضية ، جني ارباح طائلة ، من وراء تجارة الاسهم والسندات · فمثلا تبلغ الاجور التي يتقاضاها كل من هؤلاء المحامين ، مقابل كل عملية شراء وبيع ، ما بين ٢٠٠ ـ ٣٠٠ الف ليرة ، ويتقاضى المحاسب مبلغا مماثلا ، وربما يزيد عنه »(٥٨)·

ويستنتج من ذلك ، ان السوق المالي الاسرائيلي ، اضافة الى كونه مستودعا لرأس المال لشركات الصناعة ، والتأمين ، والبناء ، والاستثمار ، وغيرها ، فانها تشكل مصدر ارباح طائلة لكثير من البنوك والسماسرة · « ففي سنين سابقة ، كانت الشركات الاسرائيلية تجند فقط بضعة ملايين من الليرات سنويا بواسطة بيع الاسهم · اما في السنة الماضية فقد تم تجنيد ٤ر٥ مليار ليرة · وفي الاشهر الاخيرة فقد تم تجنيد مليار ليرة شهريا ، مما يشير الى النشاط الواسع داخل هذا السوق » (٥٩) ·

ويتوقع ان تحافظ البورصة على نشاطها الحالي خلال السنة المقبلة ايضا ، نظرا لرغبة الحكومة في تنفيذ وعودها السابقة ، بشأن بيع الشركات الحكومية ، رغم انه لم تطرح اسهم اية شركة للبيع حتى الآن · وقد اعلن نائب وزير المالية بلومين ، انه سيطرح خلال الفترة القريبة المقبلة ، اسهم ثلاثة بنوك حكومية للبيع ، وهي : بنك لفاحوت وبنك الحرف ، وبنك الملاحة (٦٠) ، لكن ، لم يتخذ حتى الآن اي قرار في هذا الصدد ·

## تقييم عام

لم تحقق السياسة الاقتصادية الجديدة التي اتبعها ليكود ، اية مكاسب حقيقية على الصعيدين الاقتصادي والاجتماعي في اسرائيل ، بعد مرور سنة على بدء تطبيقها · بل بات من المشكوك فيه تكون هذه السياسة هي فعلا « ثورة » في الاقتصاد الاسرائيلي ،كما اعتقد كثيرون · فسياسة الغاء الرقابة على العملة الصعبة ، والغاء حوافز التصدير ، لم تؤد الى حل المشكلات الاقتصادية ، خاصة مشكلة التضخم المالي المتصاعد ، ولم تشجع الاستثمارات المالية من الخارج ، وجذب رؤوس الاموال · وبالتالي ، فأن النمو الاقتصادي المنشود لن يتحقق بواسطة اقامة مشاريع انتاجية جديدة ، أو توسيع المشاريع القائمة ، وانما على حساب ازدياد الطلب المحلي ، وتنشيط فرع البناء ، مما سيضر بميزان اسرائيل التجاري الذي يعاني من عجز كبير على اي حال ·

اما الوجه الآخر للعملة ، فيما يتعلق « بانجازات » السياسة الاقتصادية الجديدة ، فهو ظهور نوع جديد من الاثراء في اسرائيل ، يعتمد اعمال المضاربة في السوق المالية النشطة اساسا للربح ، مما يؤدي الى ازدياد حجم الطبقة الرأسمالية ، وبالتالي تعميق الفوارق الاجتماعية التي كانت قائمة دون ذلك ·

وختاما ، لا يبدو في متابعة الاوضاع الاقتصادية خلال سنة من حكم ليكود ، ان الغهد الجديد قادر على تحقيق « تقدم » في المجال الاقتصادي ، يختلف عن ذلك الذي حققته العهود السابقة · ويتوقع بالتالي استمرار تفاقم الاوضاع الاقتصادية في اسرائيل ، الا اذا طرأ تغيير جوهري على الوضع السياسي ، يزيح عن كاهل اسرائيل شيئا من الاعباء الامنية ، التي تضغط على الحالة الاقتصادية ، ويساهم في كسر الحصار الاقتصادي العربي المفروض عليها ·

## الحواشي

(١) راجع « شؤون فلسطينية » ، العدد ٧٦ ، ص ٣١ ـ ٥١ ·

(٢) سمحا ارليخ ، في مقابلة معه ، معاريف ، ١٩٧٨/٤/٢١ ·

(٣) المصدر نفسه ·

(٤) نقلا عن النائب داني روزوليو ، دافار ، ١٩٧٨/٧/١٩ ·

(٥) تقرير محافظ بنك اسرائيل ، معاريف ، ١٩٧٨/٦/١ ·

(٦) ابراهام طال ، هآرتس ، ١٩٧٨/٥/١٠ ·

(٧) موشي ايتر ، هآرتس ، ١٩٧٨/٥/٢٢ ·

(٨) المصدر نفسه ، ١٩٧٨/٥/٢١ ·

(9) *Statistical Abstract of Israel*, 1977 , pp. 178 - 179.

(١٠) حسب معطيات المكتب المركزي للاحصاء ، دافار ، ٧٨/٧/٣١ ·

(١١) موشي ايتر ، هآرتس ، ١٩٧٨/٥/٢١ ·

(١٢) معاريف ، ١٩٧٨/٧/١٣ ·

(١٣) المصدر نفسه ·

(١٤) ابراهام طال ، هآرتس ، ١٩٧٨/٥/١٠ ·

(١٥) « يدعان معاريف ١٩٧٧ » ( مفكرة معاريف ١٩٧٧ ) ، القدس : صحيفة

معاريف ، ص ٣١٧ ٠

(١٦) المصدر نفسه ، ص ٣٢٥ ٠

(١٧) المصدر نفسه ٠

(١٨) دافيد ليفكين ، دافار ، ٤/٢٧/ ١٩٧٨ ٠

(١٩) المصدر نفسه ، ١٩٧٨/٥/٤ ٠

(٢٠) المصدر نفسه ٠

(٢١) المصدر نفسه ٠

(٢٢) دافار ، ١٩٧٨/٦/١٣ ٠

(٢٣) يعقوب ارنون ، دافار ، ٥/٢/ ١٩٧٨ ٠

(٢٤) معاريف ، ١٩٧٨/٦/١ ٠

(٢٥) اليعازر ليفين ، ملحق هآرتس ، ١٩٧٨/٧/٧ ٠

(٢٦) موشي ايتر هآرتس ، ٥/٢٢/ ١٩٨٧ ٠

(٢٧) انظر مصدر الحاشية (٢٥) ٠

(٢٨) الياهو سلفطر ، هآرتس ، ٦/٦/ ١٩٧٨ ٠

(٢٩) من خطابه ، اثناء عرض الميزانية العامة امام الكنيست ، هآرتس ، ١/١٠/ ١٩٧٨ ٠

(٣٠) شمشون آرليخ ، هآرتس ، ١/١٠/ ١٩٧٨ ٠

(٣١) موشي ايتر ، هآرتس ، ٥/٢٣/ ١٩٧٨ ٠

(٣٢) المصدر نفسه ٠

(٣٣) ابراهام طال ، هآرتس ، ٧/٢٨/ ١٩٧٨ ٠

(٣٤) معاريف ، ١٩٧٨/٦/١ ٠

(٣٥) دافار ، ١٩٧٨/٧/١٦ ٠

(٣٦) انظر موشي ايتر ، هآرتس ، ٢١/ ١٩٧٨/٥ ٠

(٣٧) نقلا عن اليعازر ليفين ، ملحق هآرتس ، ١٩٧٨/٧/٧ ٠

(٣٨) يحزكيئيل بلومين في مقابلة معه ، معاريف ، ١٩٧٨/٧/٧ ٠

(٣٩) ابراهام طال ، هآرتس ، ١٠/٥/ ١٩٧٨ ٠

(٤٠) دافار ، ١٩٧٨/٧/١٧ ٠

(٤١) ابراهام طال ، هآرتس ، ١٠/٥/ ١٩٧٨ ٠

(٤٢) سمحا ارليخ ، في مقابلة معه ، دافار ، ١٩٧٨/٦/١٣ ٠

(٤٣) معاريف ، ١٩٧٨/٤/٢١ ٠

(٤٤) المصدر نفسه ٠

(٤٥) معاريف ، ١٩٧٨/٦/١ ٠

(٤٦) هآرتس ، ٧٨/١٠/٣١ ٠

(٤٧) دافار ، ١٩٧٨/٧/١٧ ٠

(٤٨) دافار ، ١٩٧٨/٧/٢٧ ٠

(٤٩) معاريف ، ١٩٧٨/٨/٧ ٠

(٥٠) في مقابلة معه ، مصدر سبق ذكره ٠

(٥١) شمشمون ارليخ ، هآرتس ، ٧/٧/ ١٩٧٨ ٠

(٥٢) هآرتس ، ١٩٧٨/٦/١ ٠

(٥٣) في مقابلة معه ، ملحق هآرتس ، ١٩٧٨/٧/٢٨ ٠

(٥٤) دافار ، ١٩٧٨/٧/٥ ٠

(٥٥) دافيد ليفكين ، دافار ، ٤/٢٧/ ١٩٧٨ ٠

(٥٦) يعقوب ارنـون ، دافار ، ٢/٥/ ١٩٧٨ ٠

(٥٧) دافيد ليفكين ، دافـار ، ٩/٥/ ١٩٧٨ ٠

(٥٨) يوفال اليتسور ، معاريف ، ١٤/ ١٩٧٨/٧ ٠

(٥٩) دافار ، ١٩٧٨/٨/٦ ٠

(٦٠) يوفال اليتسور ، معاريف ، ١٤/ ١٩٧٨/٧ ٠

(٦١) المصدر نفسه ٠

(٦٢) اليعازر ليفين ، ملحـق هارتس ، ١٩٧٨/٧/٧ ٠

صدر حديثا عن مركز الابحاث

**اليمين الصهيوني**

**نشأة وعقيدة وسياسة**

بقلم

صبري جريس

اطلب نسخك من : مركز الابحاث : قسم التوزيع

ص٠ب : ١٦٩١ ـ بيروت

سعر النسخة ٥ ل٠ل٠ ( عدا اجور البريد )

فـارس غلوب

# الصهيونية والنازية

## علاقات واتفاقيات "٢"

### VI السياسة الصهيونية حول المذبحة

ان روايات المؤرخين حول محنة يهود اوربا الشرقية ، في ظل الاحتلال النازي ، تتضمن قصة ذات جانبين : البطولة والمقاومة ، والعار والتعاون · فماذا كان بالضبط دور الحركة الصهيونية ، كحركة ، في كل هذا ؟ هل كان الزعماء الصهاينة العديدون ، الذين تعاونوا مع النازية بطرق مختلفة ، يتصرفون كأفراد ام كمسؤولين ينفذون السياسة الصهيونية ؟· وبكلام آخر ، من الذي كان يمثل الحركة الصهيونية اكثر ، انيليفتش ام جنز ؟·

عندما ادى هجوم الجيش الالماني على الاتحاد السوفياتي الى وضع القسم الاعظم من يهود اوروبا الشرقية في حلقة حديدية من السيطرة النازية ، اختلفت ردود فعل الصهاينة الافراد المأسورين في هذا الشرك · فقد ادرك البعض ان المانيا النازية كانت مصممة على جعل اوروبا « خالية من اليهود » ، ولذلك اعتقدوا ان ثمة خطر ابادة على اي يهودي لم يهرب ، او لم يخرجه الصهاينة من اوروبا بموجب اتفاقيات ١٩٣٨ · البعض منهم ، وبينهم انيليفتش ، انضم الى اليهود غير الصهاينة ليقاوموا · والبعض الآخر ، وخصوصا امثال غانكفايش وجنز ، ممن كانوا زعماء في الحركة الصهيونية ، استمر يأمل في انقاذ نفسه واتباعه المختارين عن طريق صفقات مع النازيين ، على حساب ابناء ملتهم اليهود ·

لكن ، لم يكن مثل هذا الانقسام في الرأي موجودا في المراتب العليا من الحركة الصهيونية ، وبنوع خاص في الوكالة اليهودية التي استراح قادتها ، ابان الحرب ، في ملاذات آمنة ، ليؤلفوا الحكومة الاسرائيلية فيالمستقبل · ولم تصدر عن هؤلاء القادة اية دعوة الى الثورة ضد النازية ، كما لم يسجل احد انهم قاموا ، على سبيل المثال ، بأية محاولة لتهريب الاسلحة الى مقاتلي الغيتوات ، الذين كانوا بأمس الحاجة اليها ·

لقد شاركت الحركة الصهيونية بنشاط عسكري محدود في الحرب العالمية الثانية ، الا ان هذا النشاط ، كان يرمي في الاساس ، الى تعزيز هدف اقامة دولة صهيونية ، وليس الى مكافحة النازية ، او مساعدة اليهود المضطهدين على مقاومتها · وهكذا الف الصهاينة

« لواء يهوديا » في الجيش البريطاني ، كانت غايته الحقيقية تعزيز مصداقية الوهم بان اليهود يؤلفون كيانا وطنيا ، وكسب التدريب والخبرة العسكريين للجيش الاسرائيلي في المستقبل ·

ويقول المؤرخ اليهودي جوزف تيننباوم ان « الياهو غولومب – قائد الهاغاناه – طلب من الجيش البريطاني ان يضع في تصرف المتطوعين اليهود طائرات وذخيرة للطيران والقتال والانقاذ · ولم يأت اي شيء من هذا حتى بداية ١٩٤٤ · » ليس واضحا لماذا امتنع البريطانيون عن التعاون في مثل هذا المشروع ، لو كان القصد الجدي منه هو تعزيز المجهود الحربي للحلفاء ، او لو كان لديهم ما يكفي من الموارد للاستغناء عن بعضها ، كما انه ليس واضحا لماذا لم يوجه الصهاينة مثل هذا النداء الى الولايات المتحدة ، الدولة الحليفة التي يوجد لديها اكبر قدر من الموارد ، والتي كان للحركة الصهيونية فيها كذلك اقوى نفوذ سياسي · واخيرا ، عندما كانت الحرب في آخر مراحلها ، القى الصهاينة بواحد وثلاثين مظليا في البلدان التي يحتلها النازيون ، لكن مهمتهم كانت تنظيم المزيد من الهجرة الى فلسطين ، وليس مقاومة النازية (٦٧) ·

اما التهمة ، بان الحكومة البريطانية اهملت النداءات الصهيونية لمساعدة ضحايا النازية من اليهود ، فقد دحضها الحاخام الدكتور شونفيلد ، الذي كان رئيسا للجنة الانقاذ التي اقامها الحاخام الاكبر في بريطانيا · ويقول الحاخام شونفيلد : « ان خبرتي في ١٩٤٢ – ١٩٤٣ كانت كلها لمصلحة الاستعداد البريطاني للمساعدة ، بصورة مكشوفة وبناءة وتامة ، وان هذا الاستعداد لاقى المعارضة من الزعماء الصهيونيين الذين اصروا على أن الانقاذ الى فلسطين هو شكل المساعدة المقبول الوحيد · » ويتذكر الحاخام شونفيلد ، ان ٢٧٧ عضوا من اعضاء البرلمان البريطاني وقعوا على اقتراح يدعو الحكومة الى توفير الملجأ لضحايا الاضطهاد النازي ، في البلدان التي تسيطر عليها بريطانيا ، و « اصدرت حكومة صاحب الجلالة فيالواقع مئات من تصاريح الهجرة الى موريشوس وغيرها – وبالفعل لمصلحة اية عائلة يهودية نستطيع ان نسميها » · ثم « في الاجتماع البرلماني الذي عقد في السابع والعشرين من كانون الثاني ( يناير ) ١٩٤٣ ، عندما كان اكثر من ١٠٠ عضو من اعضاء البرلمان واللوردات يلاحقون الخطوات التالية بنشاط ، اعلن ناطق باسم الصهاينة ، بان اليهود سيعارضون الاقتراح على اساس انه لا يشير الى فلسطين · وارتفعت بعض الاصوات تأييدا للرأي الصهيوني ، وحصل الكثير من المناقشات ، وبعد ذلك مات الاقتراح · حتى أن انصاره قالوا في يأس : اذا لم يتفق اليهود فيما بينهم ، فكيف نستطيع ان نساعد ؟ » (٦٨) ·

وفي تموز ( يوليو ) ١٩٤٤ ، اقترح الزعيم اليهودي السلوفاكي الحاخام دوف ميخائيل فايسماندل ، فيرسالة الى المسؤولين الصهاينة الذين يشرفون على منظمات « الانقاذ » سلسلة من الاجراءات لانقاذ حياة الالوف من اليهود ، المهددين بالتصفية ، في اوشفيتز · وكانت اقتراحاته :

« (١) ان تقصف السكك التي يجري عليها نقل اليهود الى المحارق ، عبر الاستعانة بخرائط دقيقة للسكك الحديدية ·

(٢) ان تقصف افران اوشفيتز ·

(٣) ان تلقى الذخائر بالمظلات الى الـ ٨٠ الف سجين في اوشفيتز ·

(٤) ان ينزل بالمظلات مخربون ينسفون جميع وسائل الابادة ، وهكذا يسببون انقطاعا في عملية حرق ١٣ الف يهودي كل يوم ٠

(٥) ان يتم الحصول على طائرات ، وان يجند متطوعون ينفذون التخريب ، في حال رفض الحلفاء ٠

واضاف الى رسالته اسئلة تمزق الفؤاد :

« لماذا لم يتم فعل هذا حتى الآن ؟ ولماذا لا يحدث الآن ؟ من هو المذنب في هذا الاهمال المخيف ؟ الستم مذنبين يا اخوتنا اليهود : انتم الذين لديكم اسعد حظ في حرية العالم ؟ »٠

من المشكوك فيه ، بالفعل ، ما اذا كان الصهاينة قد وجهوا اي نداء جدي الى الحلفاء لمساعدة اليهود المضطهدين في ظل الاحتلال النازي ٠ « خلال محاكمة كاستنر ، كان السؤال الذي اثير المرة تلو المرة هو لماذا لم يتحول زعماء الوكالة اليهودية بهذا الطلب ( قصف منشآت الابادة في اوشفيتز بالقنابل ) الى الحلفاء ؟٠ ولم يكن ممكنا الحصول على اي جواب منهم ٠ حتى ان بن ـ غوريون ، وشاريت ، تجنبا المثول امام المحكمة لتفسير عدم القيام بأي عمل مهم ٠ ولم يحدث الا بعد اربعة اعوام ، في الدعوى ضد ايخمان ، ان الوكالة اليهودية ، استباقا منها للمزيد من الصعوبات المحرجة ، جلبت وثائق امام المحكمة ببادرة خاصة منها ، تشهد بان النداءات وجهت الى الحكومة البريطانية حول موضوع قصف اوشفيتز بالقنابل ٠ يا للعجب ! اعوام كثيرة تمر لا يعرف فيها شيء عن هذه الوثائق ، وفجأة تكتشف في ارشيفات الوكالة اليهودية ! وحتى ما بعد ذلك ، امتنع بن ـ غوريون ، وشاريت ، عن الادلاء بأية شروح شفهية للمحكمة ، وتحايل المدعي العام ، بمهارة مذهلة ، لكي لا يحتاج اليهما » (٦٩) ٠

من المنطقي ان نسأل ـ علما بان قلة تجرأت ان تفعل ذلك ـ لماذا لم تفعل الحركة الصهيونية اي شيء لمساعدة ثورات الغيتو البطولية ، والمحاولات اليائسة لتنظيم المقاومة حتى في معسكرات الابادة ، ولماذا لم تفعل الا الشيء القليل لمساعدة يهود اوروبا بوجه عام ، باستثناء تنظيم تسهيلات الهجرة لاعضائها هي ٠ الم تعلم القيادة الصهيونية انه تجري ابادة يهود اوروبا الشرقية ؟٠

ويقول الكاتب الصهيوني الشهير مايكل الكنز ان احد الضحايا ، ويدعى موشي بودهلبنيك ، نجا من الموت باعجوبة ، ونجح في الفرار من تشيلمنو ، اول مركز للابادة بحجرات الغاز ، وحمل الخبر عما كان يجري الى العالم الخارجي منذ الثامن عشر من كانون الاول ( ديسمبر ) ١٩٤١ ٠ في اوائل آب ( اغسطس ) ١٩٤٢ حمل عميل للمؤتمر اليهودي العالمي في سويسرا ، يدعى غيرهارد ريغنر ، تقريرا الى المفوضية الاميركية في برن ، يرتكز على شهادات بودهلبنيك وغيره ٠ وفي السابع عشر من آب ، رفعت المفوضية تقريرا الى وزارة الخارجية الاميركية ، وكانت هناك خطة لابادة جميع اليهود تحت الحكم النازي « دفعة واحدة » (٧٠) ٠ وهذا يعني ان الحركة الصهيونية خارج الاراضي التي يحتلها النازيون صارت ، بحلول ذلك التاريخ ، تعلم بما كان يجري ٠

هل كانت الحركة الصهيونية تفتقر الى الموارد لمساعدة اليهود المضطهدين ؟ لا يمكن تصديق ذلك ٠ فقد كانت الصهيونية ، آنذاك ، الحركة اليهودية الوحيدة المنظمة على نطاق العالم كله ، ولها موارد مالية ، واتصالات نافذة ، في مراكز القوة في جميع انحاء العالم الغربي ٠ ولا يجب ان ننسى ان سنة ١٩٤٢ كانت سنة « برنامج بلتيمور » الذي

اشار الى قيام النفوذ الصهيوني الحاسم على السياسة في الولايات المتحدة · ومما لا ريب فيه ان الصهيونية لم تكن من الضعف بحيث لا تستطيع ان تساعد اليهود الاوروبيين المضطهدين ، خصوصا عندما نتذكر انه حالما انتهت الحرب العالمية الثانية « تسلل من الهاغاناه ، الجيش السري اليهودي في فلسطين ، مئة عميل الى اوروبا » ، لنقل اليهود الباقين على قيد الحياة الى فلسطين ، لزيادة الطاقة البشرية الصهيونية · وبحلول ذلك الوقت ، كان قد تم ذبح ستة ملايين ضحية · وقامت منظمة المخابرات الصهيونية ، الموساد، « بالقاء شبكة من الهاغاناه ، فوق اوروبا من كونستانزا على البحر الاسود الى بوردو بوك الصغيرة على ساحل فرنسا المتوسطي ، بحيث لا يفوتهم اي شيء ذي معنى يمكن ان يفعله اليهودي في تلك المنطقة الشاسعة » (٧١) · اين كانت هذه الموارد عندما كان يجري ذبح يهود اوروبا بالملايين ؟·

لقد اشار الدكتور حاييم وايزمان ، الذي صار فيما بعد اول رئيس لدولة اسرائيل ، منذ العام ١٩٣٧ ان لديه فكرة واضحة عما قد يؤول اليه مصير يهود اوروبا ، وكذلك اعلن بوضوح ماذا ستكون السياسة الصهيونية الرسمية نحوهم · فقد قال : « ان آمال الستة ملايين يهودي في اوروبا تتركز على الهجرة ·لقد سئلت : هل تستطيع ان تنقل ستة ملايين يهودي الى فلسطين ؟ فأجبت : ( كلا ) : ··· من اعماق المأساة اريد ان انقذ مليوني شاب وشابة ··· الشيوخ والعجائز سيموتون · وسيتحملون مصيرهم او لن يتحملوه · لقد كانوا غبارا ، غبارا اقتصاديا واخلاقيا في عالم وحشي ··· وحده فرع الصغار سيبقى على قيد الحياة ··· عليهم ان يقبلوا بذلك » (٧٢) ·

كان الصهاينة موطدي العزم بالفعل · وكان اهتمامهم الوحيد تأمين هدفهم : قيام دولة في فلسطين · وقال احد زعمائهم ، يتسحاق غرينباوم ، الذي عين رئيسا للجنة يفترض ان الصهاينة اقاموها لانقاذ يهود اوروبا ، ان لا شيء ، ولا حتى انقاذ يهود اوروبا ، يجب ان يسمح له بان يحجب ذلك الهدف · وكما قال : « عندما يأتون الينا بخطتين ـ انقاذ جماهير اليهود في اوروبا او استرداد الارض ـ فانني اصوت ، بلا تردد لاسترداد الارض · وكلما قيل المزيد من الكلام عن ذبح شعبنا ، ازدادت جهودنا لتقوية وتعزيز عبرنة الارض · اذا كانت هناك امكانية اليوم لشراء رزمات من الطعام ( لليهود الجائعين تحت الحكم النازي ) باموال الكيرين هايسود ( النداء اليهودي الموحد ) لارسالها عن طريق لشبونة ، فهل نفعل مثل هذا الامر ؟ كلا ! ومرة ثانية كلا ! » (٧٣) · وغريب ان قلة من الناس سألت عما اذا كان رجل يعبر عن مثل هذه العواطف هو الرجل الصالح لترؤس هيئة وظيفتها النظرية هي اعمال الانقاذ ·

وجدير بالذكر ان ابن يتسحاق غرينباوم ، العازر ، كان متعاونا رديء السمعة مع النازيين في اوشفيتز · والكاتب اليهودي ك· تزيتنيك ، في كتابه « سموه فايفل » اشار الى « العازر غرينباوم ( الذي سماه فروختنباوم في الكتاب ) الذي رقي الى رتبة قائد القسم، بفضل تكتيكات تصرفه كمخبر واظهاره للوحشية، الى حد ادهش حتى الالمان»(٧٤)·

## VII كاستنر ويهود المجر

ظلت الاتفاقيات بين الحركة الصهيونية والمانيا النازية سرا محفوظا جيدا لسنوات عديدة · ولكن ما ان حدثت الفضيحة المسماة قضية كاستنر في ١٩٥٣ ، حتى ابتدأت التفاصيل تخرج الى النور تدريجيا · واول اتفاقية سرية كشف عنها النقاب كليا كانت

الاتفاقية التي تم التوصل اليها بين الدكتور رودولف كاستنر ، من لجنة الانقاذ التابعة للوكالة اليهودية في بودابست ، والكولونيل ادولف ايخمان ( الذي كان قد وقع اتفاقية هجرة العام ١٩٣٨ مع موشي بار ـ جلعاد ) وهو الموظف المسؤول عن تسوية « المسألة اليهودية » في المجر في ١٩٤٤ · وكانت اتفاقية كاستنر ـ ايخمان تتعلق بمصير نحو ٨٠٠ الف يهودي في المجر ·

« كان القسم الاكبر من يهود المجر بلا تنظيم · ولم يكونوا ينتمون ، لا الى الصهيونية، ولا الى الوكالة اليهودية · كانوا ينتمون الى المجر فقط ، الى بيوتها وشوارعها ومشاغلها وملاعبها الرياضية ومقاهيها · من يستطيع التكلم باسم هؤلاء اليهود المندمجين ، هؤلاء اليهود الذين لا رئيس لديهم ؟··· لقد استولى اليهود المنظمون على اعمال الانقاذ كلها للثمانمائة الف يهودي المحكوم عليهم بالهلاك » (٧٥) · وكان اليهود المنظمون هم الصهاينة، الذين اقاموا لجنة الانقاذ التابعة للوكالة اليهودية ، وكان النازيون يعترفون ، رسميا ، بكاستنر ، والمسؤولين الآخرين في هذه اللجنة ، امثال غينزبرغ وبار ـ جلعاد ، كمفاوضين وممثلين للحركة الصهيونية ·

لم تبدأ الحقيقة حول نشاطات ، « لجنة الانقاذ » المزعومة هذه تخرج الى النور الا عندما ندد كاتب اسرائيلي يدعى مالكييل غرينفالد علنا بكاستنر كمتعاون مع النازية ، قائلا ان « اعمال كاستنر في بودابست كلفتنا ارواح مئات الالوف من اليهود » (٧٦) · وقوضي غرينفالد بتهمة التشهير ، لا من قبل كاستنر ، بل من قبل الحكومة الاسرائيلية ، التي كان زعماؤها رؤساء كاستنر ، وقد رسموا السياسة التي نفذها ·

لم تجر المحاكمة بصورة مرضية للحكومة الاسرائيلية ، فقد برىء غرينفالد من تهمة التشهير ، مما اشار الى ان هناك اساسا متينا لاتهامه بان لجنة انقاذ كاستنر قد تعاونت مع النازيين ، وساعدتهم على قتل القسم الاكبر من يهود المجر مقابل السماح لها بانقاذ اكثر من ٦٠٠ صهيوني بارز ، واخذهم الى فلسطين ، وقال القاضي في قضية كاستنر ، بنيامين هاليفي : « ما كان يهود الغيتوات ليثقوا بالحكام النازيين او المجريين · ولكنهم وضعوا ثقتهم في زعمائهم اليهود · وقد استعمل ايخمان وغيره هذه الحقيقة المعروفة كجزء من خطتهم المحسوبة لتضليل اليهود · واستطاعوا نقل اليهود الى ابادتهم بمساعدة الزعماء اليهود ··· اما اليهود الذين حاولوا انذار اصدقائهم بالحقيقة فقد اضطهدهم الزعماء اليهود المشرفون على ( عمل الانقاذ ) المحلي · ان ثقة اليهود في المعلومات المضللة ، وعدم معرفتهم ان زوجاتهم واولادهم وهم انفسهم سيرسلون اخيرا الى حجرات الغاز في اوشفيتز ، جعلا الضحايا يبقون هادئين في غيتواتهم ··· وكانت رعاية النازيين لكاستنر ، وموافقتهم على السماح له بانقاذ ٦٠٠ يهودي بارز ، جزءا من الخطة لابادة اليهود · ان فرصة انقاذ اناس بارزين راقت له الى حد كبير · واعتبر انقاذ اهم اليهود نجاحا شخصيا عظيما ، ونجاحا للصهيونية ·

ان التضحية بالمصالح الحيوية لاكثرية اليهود ، بغية انقاذ البارزين ، كانت العنصر الاساسي في الاتفاق بين كاستنر والنازيين · وهذا الاتفاق ثبت انقسام الامة الى معسكرين غير متساويين ، جزء صغير من البارزين الذين وعد النازيون كاستنر بانقاذهم ، من جهة ، والاكثرية الساحقة من اليهود المجريين الذين خصهم النازيون بالموت ، من جهة ثانية· وكان الشرط الالزامي لانقاذ المعسكر الاول منقبل النازيين هو ان كاستنر لن يتدخل في عمل النازيين ضد المعسكر الآخر ، ولن يعيقهم في ابادته ولبى كاستنر ذلك الشرط ···

وازداد التعاون بين لجنة الانقاذ التابعة للوكالة اليهودية ومبيدي اليهود متانة في بودابست وفيينا · كانت واجبات كاستنر جزءا اساسيا من الاس اس · وبالاضافة الى دائرة الابادة ودائرة النهب ، فتح الاس اس النازي دائرة انقاذ برئاسة كاستنر » (٧٧) ·

وبعد ذلك ، حاول محامي غرينفالد ، شموئيل تامير ( الذي كان يأمل ، بوصفه عضوا في حزب حيروت ، في ان يطيح بحكومة حزب مباي الذي ينتمي اليه كاستنر ) ان يقود كاستنر الى المحاكمة بتهمة التعاون مع النازيين · ومن اجل ذلك جمع تامير « حقيبة مليئة بالادلة الجديدة ضد الدكتور كاستنر ، وغيره ايضا ، ممن يعلم الله » · ولكن قبل ان يمكن اجراء هذه المحاكمة الثانية ، تم اغتيال كاستنر على يد زئيف اكشتاين ، وهو « عميل سري ( سابق ) لجهاز استخبارات الحكومة الاسرائيلية » ، وبذلك وضع حدا لخطر ما قد يكشف مثوله ، امام المحكمة ، من مزيد من التفاصيل المحرجة ، (٧٨) ·

في الوقت نفسه الذي كان فيه كاستنر ينفذ الصفقة مع النازيين ، كتب الحاخام فايسماندل الى الحركة الصهيونية يقول : « نبعث اليكم بهذه الرسالة الخاصة لنعلمكم ان الالمان بدأوا امس ، يبعدون اليهود عن المجر ··· ويذهب المبعدون الى اوشفيتز حيث يقتلون بغاز السيانيد ··· هذا هو برنامج اوشفيتز ، من الامس الى النهاية : ١٢ الف يهودي ـ من النساء والاطفال والشيوخ والرضع والاصحاء والمرضى ـ سيخنقون يوميا ···

وانتم ايها الاخوة في فلسطين ، في جميع بلدان الحرية ، وانتم يا وزراء جميع المملكة ، كيف تبقون صامتين في وجه هذه الجريمة العظمى ؟ صامتين ، فيما يقتل الالوف والالوف الذين يبلغون الآن ستة ملايين يهودي · وصامتين الآن بينما عشرات الالوف يجري قتلهم وينتظرون ان يقتلوا ؟ ان قلوبهم المحطمة تصرخ اليكم طالبة المساعدة فيما هم يندبون وحشيتكم · وحشيون انتم وقتلة ايضا ، نظرا الى وحشية الصمت الذي فيه تراقبون · لانكم تجلسون مكتوفي الايدي ولا تفعلون شيئا ، مع انكم تستطيعون ان توقفوا او تؤخروا قتل اليهود في هذه الساعة عينها ··· انتم يا اخوتنا ، ابناء اسرائيل ، هل جننتم ؟ الا تعرفون الجحيم حولنا ؟ لمن تدخرون اموالكم ؟ قتلة ، مجانين · من الذي يعطي المحبة ؟ انتم الذين تقذفون ببضعة دراهم من بيوتكم الآمنة ؟ ام نحن الذين نعطي دمنا في اعماق الجحيم ؟ » (٧٩) ·

احد الامور المهمة الاخرى التي تكشف عنها قضية كاستنر هو ان كاستنر تدخل ليخلص جنرال الاس اس كورت بيكرمن المحاكمة بتهمة ارتكابه جرائم حرب · كان بيكر احد المفاوضين النازيين البارزين في الصفقات مع الصهاينة في ١٩٤٤ · وقال كاستنر لمحكمة نورينبرغ : « لا يمكن ان يكون ثمة شك حول الامر ، وهو ان بيكر ينتمي الى القلة الضئيلة من قادة الاس اس التي كانت لديها الشجاعة لمعارضة برنامج ابادة اليهود ، وحاولت انقاذ ارواح بشرية ··· وفي رأيي ان كورت بيكر يستحق اكبر اعتبار ممكن عندما تحكم السلطات الحليفة او الالمانية في قضيته ··· وانا لا ادلي بشهادتي هذه باسمي فقط ، بل نيابة عن الوكالة اليهودية والمؤتمر العالمي اليهودي · التوقيع : الدكتور رودولف كاستنر ، موظف في الوكالة اليهودية في جنيف ، والرئيس السابق للمنظمة الصهيونية في المجر، ١٩٤٣ ـ ١٩٤٥، وممثل لجنة التوزيع المشتركة في بودابست» (٨٠)·

ونتيجة لتدخل كاستنر الشخصي ، اطلق سراح بيكر من السجن في نورينبرغ · اي نوع من الرجال كان هذا الذي تحمس كاستنر ، « نيابة عن الوكالة اليهودية والمؤتمر اليهودي العالمي » ، لانقاده الى هذا الحد ؟ « كورت بيكر ، مديد القامة ، وسيم ، وفارس

ماهر ، وسمسار قمح مزدهر ، انتمى الى الحزب النازي في ١٩٣٤ · وخدم كضابط اس اس برتبة رائد في بولندا ، وكان عضوا في ( فيالق الموت ) التي عملت على مدار الساعة على قتل اليهود · ووضع رأس ميت على قبعة بزته ، وكان كعبا جزمته مثقلين بصفائح فولاذية لكي يصدر عنهما صليل اكثر شراسة عندما يسير بين السجناء اليهود الذين ينتظرون الموت ··· وبرز بيكر كقاتل لليهود في بولندا وروسيا » (٨١) · وعينه هيملر مفوضا لجميع معسكرات الاعتقال النازية ·

« واين هو كورت بيكر الآن ؟ وفي اي منفى ، وبأي اسم مستعار ، يختبىء ـ كما اختبأ زميله النازي ايخمان ؟ لا منفى لبيكر ولا اسم مستعار ولا مخاوف ··· والقسم الاكبر من ثرواته هو الغنائم التي انتزعها بالقوة والتعذيب من العديد من اليهود ـ قبل ذبحهم · انه رئيس عدة شركات وتثقل رموز التكريم كاهله · وبين الكثير من المشاريع التي يترأسها ، مبيع القمح لاسرائيل · وتقوم شركة بيكر ، ( كولون ـ هاندل غيزيلشافت)، بتجارة مربحة مع حكومة اسرائيل » (٨٢) ·

كتب صحافي اسرائيلي ، هو موشي كيرن ، سلسلة من المقالات حول قضية كاستنر ، واثار عددا من الاسئلة المحرجة للسلطات الاسرائيلية · فقبل اغتيال كاستنر كتب كيرن يقول : « يجب ان يساق كاستنر الى المحاكمة كمتعاون مع النازيين · وفي هذه المحاكمة ، على كاستنر ان يدافع عن نفسه كمواطن عادي ولا تدافع عنه الحكومة الاسرائيلية ··· ان اصداء محاكمة كاستنر ستبقى معنا لسنوات وسنوات مقبلة · وستستمر في تسميم الجو فوقنا ، مثل تلك المحاكمات التاريخية التي سقطت بعدها حكومات وقامت حكومات جديدة· ان دولة اسرائيل لن تكون ابدا بعد هذا الحكم ما كانته قبل الحكم » (٨٣) ·

وبعد ذلك « طار الدكتور كيرن الى المانيا · كان ينوي اجراء مقابلة مع كورت بيكر · وبعد بضعة ايام من وصول الصحافي كيرن الى المانيا ، وجد ميتا في فندق الماني · وكان التشخيص ( نوبة قلبية ) » (٨٤) ·

كشفت محاكمة كاستنر ، كذلك ، ولاول مرة ، تفاصيل عن حادثة « الدماء مقابل سيارات الشحن » التي عرض فيها ايخمان ان يحرر للجالية اليهودية المجرية مقابل ١٠ الاف شاحنة وغيرها من السلع · وصار معروفا ان القيادة الصهيونية ، وبينها الدكتور حاييم وايزمان ، قد منعت هذه الصفقة لانقاذ الارواح ، وخربت مهمة الوسيط اليهودي في الصفقة ، جويل براند ، عن طريق ترتيب الامر مع السلطات البريطانية لاعتقاله كعدو ( ٨٥) · وصلت هذه المساومة الى طريق مسدود ، وختمت بدمار اليهود المجريين ، بينما احبطت القيادة الصهيونية عن قصد مهمة جويل براند » · وجرت محاولات اخرى لانقاذ حياة اليهود مقابل اموال الفدية للنازيين · وكان الحاخام فايسماندل في مقدمة هذه الجهود · وفي ١٩٤٢ ، « توصل فيسليسيني وهو شبرغ الى اتفاق مع راف فايسماندل لايقاف طرد اليهود السلوفاكيين مقابل مبلغ ٥٠ الف دولار » ، لكن سالي ماير ، كبير ممثلي الصهاينة في سويسرا ، رفض تقديم مثل هذا المبلغ ·

وفي ايار ( مايو ) ١٩٤٣ توصل فايسماندل الى اتفاق اخر من حيث المبدأ مع فيسليسيني ، ممثل هيملر ، يصار بموجبه الى ايقاف ابعاد اليهود لاجل ابادتهم في جميع المناطق المحتلة في اوروبا في ما عدا المانيا الكبرى وبولندا ، وذلك لقاء فدية ٣ ملايين دولار · الا ان « سالي ماير وناثان شفالب ( ممثل الوكالة اليهودية ) لم تؤثر فيهما الصرخة النافذة الى القلب · ان الثلاثة ملايين دولار ، التي كانت ستنقذ مليون يهودي ،

تجمع الآن في احتفال فرح في الولايات المتحدة ، لمعهد وايزمان · ولكن ، في الوقت الملح ، رفض هؤلاء القوميون ـ الذين كان لديهم النفوذ والمال ـ ان يقدموه الى الغاية الاسمى التي جمع المال من اجلها : انقاذ الذين حكم عليهم بالموت ···

« في حالة واحدة فقط وجد ماير ان من المناسب ان يفتح كيس امواله بسخاء · لقد اعطى المال لكاستنر لانقاذ ١٧٠٠ مجري يهودي ، منهم ٦٨٨ اشتراهم كاستنر من ايخمان ونقلوا من المجر ، عن طريق بيرغن ـ بلسن ، الى سويسرا · هنا ، حيث انطوى الامر على انقاذ النخبة ـ معظمهم صهاينة واقرباء لكاستنر ـ نسي سالي ماير مبدأ عدم تقديم المال لعدو · وعبثا توسل راف فايسماندل لانقاذ مليون يهودي لقاء ٣ ملايين دولار ، في حين عرض الف دولار للرأس الواحد دون تردد · وفي هذه الحالة ، كذلك ، تصرف سالي ماير وفقا للخطوط الهادية التي كانت حجر زاوية السياسة الصهيونية : الانتقائية »(٨٦)·

وبعد ذلك باعوام كثيرة جرت محاولة لتبرئة كاستنر من قبل رجل عمل كمساعد له في بودابست ، واسمه اندريه بيس · واخفق الكتاب الذي وضعه في تحطيم الكتلة الصلبة من الادلة ضد كاستنر التي كشفت عنها محاكمة التشهير ، الا انه كشف عن امر ممتع آخر : ان « لجنة الانقاذ » التي ترأسها كاستنر ، فضلا عن علاقاتها الاخرى ، تعاونت تعاونا وثيقا كذلك مع الاستخبارات العسكرية الالمانية التي كان يرئسها الاميرال كاناريس · « لفترة طويلة ماضية كان ( رجال كاناريس ) على اتصال مع الحلقات اليهودية وبخاصة مع الصهاينة وممثل المنظمة الخيرية اليهودية الاميركية المعروفة باسم لجنة التوزيع المشتركة الاميركية ·

وفي ١٩٤٣ ، تلقى صموئيل سبرينغمان ، اكثر المتعاونين التصاقا بكاستنر ، دعوة من اصدقائه في فلسطين لان يذهب ويقابلهم ويقدم تقريرا مفصلا عن الوضع · كان هو الذي اقام وحافظ على الصلات التي سلف ذكرها بين الصهاينة واعضاء شبكة كاناريس الالمانية المضادة للتجسس · وقد حصل سبرينغمان ، عن طريق العمل الحذر والكفوء ، على نتائج مهمة » (٨٧) ·

### VIII اخفاء الادلة

كما علقت احدى الصحف الاسرائيلية على دعوى كاستنر : « ان الجمهور يريد ان يطلع على الحقائق الفعلية حول كاستنر ، وليس عنه وحده · ان الطريقة الوحيدة للعثور على الحقيقة هي بمحاكمة جميع اعضاء لجنة الانقاذ واعطائهم الفرصة ليدافعوا عن انفسهم » (٨٨) ·

بيد ان السلطات الاسرائيلية لم تظهر اية حماسة لارضاء رغبة جمهورها في معرفة الحقيقة · منذ الوقت الذي انفجرت فيه فضيحة كاستنر ، تعمدت السلطات في الواقع ان تبرئه ، حتى انها ذهبت الى حد تعيين المدعي العام حاييم كوهين لعرض قضيته · ودفع هذا محامي غرينفالد ، شموئيل تامير ، الى اثارة عدد من الاسئلة : « من يمثل المدعي العام هذا ـ مواطني دولتنا ام المصالح الخاصة لبعض موظفي الدولة ؟ ليس من الصعب الاجابة عن هذا السؤال · فليس المدعي العام وحيدا في محاولة التستر على كاستنر · فالكثير من المؤسسات قامت قبله بالتستر نفسه · في ١٩٤٦ قام المؤتمر الصهيوني في بال، ومحاكمة الهاغاناه في دعوى المظليين ، والشرطة الاسرائيلية في ١٩٥١ ، جميعهم بالقاء

نظرة على نشاطات كاستنر وتستروا على ما رأوه · وبعدما تستر جميع الزعماء اليهود وجميع قوى الدولة على كاستنر ، يتقدم شيخ ( غرينفالد ) ليكشف عن الحقيقة ··· ان الحكومة وجميع زعمائها لم يتصرفوا نحو هذا الرجل ، كاستنر ، كما كان سيفعل اي مجتمع محترم · فبعد سبعة ايام من استجواب الشهود ، يكذب كاستنر وتتضح الجرائم للجميع · وبدل التخلي عن حماية مخلوق كهذا وتسليمه الى المحكمة قائلين : ( لننظر في هذا الكابوس نحن انفسنا ) ، فانهم يلقون بسلطتهم العظيمة كلها في القضية لانقاذه · وجميع هؤلاء الموظفين الحكوميين الاسرائيليين جاءوا الى هنا ، احدهم يشد الآخر ، وكلهم يتآمرون لان يخفوا عن هذه المحكمة وعن الامة حقيقة الطريقة التي نزلت فيها الكارثة على يهود المجر » (٨٩) ·

غير ان محاولات الاخفاء في دعوى التشهير اخفقت ، وانتهت بشكوك قوية في اذهان الجمهور الاسرائيلي ، مع احتمال تلطيخ سمعة الحكومة الاسرائيلية اكثر بامور يكشف الغطاء عنها في المستقبل ، اذا حوكم كاستنر بتهمة التعاون · وزال هذا الخطر باغتيال كاستنر ، فضلا عن الظروف الغريبة التي احاطت بموت الصحافي الفضولي جدا الدكتور موشي كيرن · ومع هذا ، فان ممثلا مهما جدا في الدراما كلها كان ما يزال على قيد الحياة وطليقا ، وهو شاهد خطر : ادولف ايخمان ، الذي كان ضابط الاتصال في بعض الاتفاقيات الصهيونية ـ النازية الاكثر حساسية ·

واثار القاء القبض على ايخمان ، في النهاية ، ومحاكمته ، مناقشات حامية في الحلقات اليهودية ، « بصورة جوهرية ، اراد بن ـ غوريون ، مهندس محاكمة ايخمان في اسرائيل، ان يستغلها لخدمة اغراضه السياسية اليهودية ·

ولن يجادل احد بان آكل لحوم البشر الشيطاني والسادي ادولف ايخمان ، بالاضافة الى الايخمانات الاكبر منه والاصغر الذين لا يزالون طليقين في المانيا ومختبئين في اماكن اخرى ، كان يجب ان يساقوا الى العدالة · ولكن ان يلقى القبض عليهم وان يخضعوا لمحكمة غير سياسية وهادئة ، بغية كشف فسادهم التام ابان العهد الهتلري للشعب الالماني نفسه ، وبالتالي جعل البشرية والمدنية والقانون الدولي يستفيد منها ، انما تم نسفها من قبل ( القومي اليهودي ) القبلي والضيق العقل سياسيا ، بن ـ غوريون وعصبته » (٩٠)·

كان وزن الادلة المتصلة بذنب ايخمان هائلا ، ومما لا ريب فيه انه استحق ان يحاكم ويعاقب · والاسئلة التي يصح اثارتها لا تتعلق بذلك ، بل بمسائل اخرى ، ابرزها : لماذا اصر الاسرائيليون على ان مجرم الحرب هذا ، ايخمان ، يجب ان تحاكمه محكمة اسرائيلية ، وليس على سبيل المثال محكمة دولية كمحكمة نورينبرغ التي حاكمت مجرمين نازيين آخرين ؟ لماذا بذل الاسرائيليون كل تلك الجهود المضنية لالقاء القبض على مجرم الحرب المعين هذا ، في حين كان بالامكان القاء القبض على آخرين، لا يقلون عنه ذنبا ، بمزيد من السهولة ، ولكنهم لم يساقوا بعد الى العدالة ؟ لماذا اختطفه الاسرائيليون من الارجنتين في حين كان من الممكن والمحتوم ، تقريبا ، ترتيب امر تسليمه ؟ هذه الاسئلة يصح طرحها ·

لنتفحص اولا الاجوبة الرسمية التي تقدم بها الناطقون الاسرائيليون · فالمحكمة الاسرائيلية التي حاكمت ايخمان ادعت : « ان الصلة بين الشعب اليهودي ودولة اسرائيل تؤلف جزءا لا يتجزأ من قوانين الامم ·· وان الصلة بين دولة اسرائيل والشعب اليهودي لا تحتاج الى تفسير ·· انها الدولة ذات السيادة للشعب اليهودي » ·

وعلى حد تعبير بن ـ غوريون ، « لا يمكن ان تحاكمه غير دولة يهودية · ومن وجهة نظر معنوية ، فان اسرائيل هي الوريث الوحيد » · وذهب المدعي العام الاسرائيلي ، جدعون هاوزنر ، الى حد ابعد من ذلك حتى ، مدعيا ان الذي يقف « في قفص الاتهام في هذه المحاكمة التاريخية ليس فردا ولا النظام النازي وحده ، بل اللاسامية خلال التاريخ كله » (٩١) ·

وهكذا فان الغاية من محاكمة ايخمان ، وفقا لما قاله هؤلاء الناطقون الصهاينة ، هي القيام بعمل دعائي مثير للمزاعم الصهيونية ، بان اليهود امة تدين بالولاء للدولة الاسرائيلية ، وتكرير الحجة القائلة ان اللاسامية الابدية المزعومة تسوغ وجود تلك الدولة· ومما لا ريب فيه ، ان هذا كان احد الاسباب لمحاكمة ايخمان في محكمة الاسرائيلية ، كما يتضح في حقيقة ان الاسرائيليين استخدموها دعائيا الى حد كبير · وهذا الانغماس في الدعاية يمكن فهمه وتوقعه ، فان اية ايديولوجيا تحاول الترويج لافكارها · بيد ان هذا السبب لا يجيب عن جميع الاسئلة · فهو يفسر لماذا اصر الاسرائيليون على محاكمة ايخمان ، هم انفسهم ، ولكنه لا يفسر لماذا اختاروا ان يخطفوه بدلا من ان يطلبوا تسليمه، كما لا يفسر لماذا كان يجب ان يحصلوا عليه ، بنوع خاص ، لهذه المحاكمة الكبيرة والفريدة من نوعها · فلماذا ، على سبيل المثال ، لم يخطفوا ويحاكموا الجنرال بيكر ، الذي كان اعلى رتبة من ايخمان ولا يقل عنه مسؤولية عن ذبح اليهود ؟·

ان احدى النقاط الحيوية التي ينبغي ادراكها فيما يتصل بمحاكمة ايخمان هي الدور الذي لعبه كاستنر وغيره من الصهاينة في علاقتهم مع ايخمان · « كان طيف الدكتور اسرائيل كاستنر ··· مرفرفا فوق قاعة المحكمة ··· كان كاستنر الشخصية الرئيسية في محاكمة مثيرة في اسرائيل العام ١٩٥٣ · وكان المدعي العام فيذلك الوقت ، سلف هاوزنر قد ابتدأ مقاضاة للتشهير الجنائي ضد رجل ادعى بان اتصالات كاستنر بالاس اس في بودابست ، حيث سعى الى تلطيف وضع اليهود ، قد بلغت في الواقع حد التعاون » (٩٢)·

ونظرا الى الطريقة التي جرت فيها محاكمة كاستنر، كانلا بد من معالجة محاكمةايخمان بطريقة من شانها منع كشف حقائق محرجة · وجرت المحاكمة على نحو جيد اجمالا ، علما بانه كانت هناك حادثة خلال شهادة بنحاس فروديغر ، العضو السابق في المجلس اليهودي المركزي المجري ، الذي تعاون مع النازيين · « حدثت جلبة في المحكمة خلال شهادة فروديغر ، اعادت الى ذاكرة الجميع قضايا دعوى كاستنر · اذ ان شاهدا في القاعة نهض واقفا على قدميه فجاة وافلح ، قبل أن يساق بسرعة الى الخارج ، في ان يصرخ في الشاهد باللغة المجرية : ( لقد خدعتمونا لكي تستطيعوا انقاذ انفسكم وعائلاتكم · لكن عائلاتنا قتلت ) · كان على ما يبدو يهاجم فروديغر ، ليس كشخص ، بل كممثل للمجلس اليهودي المركزي ، اذ انه اضاف ، مشيرا الى ممثل آخر : ( اعطانا حقنا لتخديرا اذهاننا · ولكنه اخرج والديه ··· وترك والدي هناك ليموتا ) » (٩٣) ·

كانت الشرطة الاسرائيلية في قاعة المحكمة متأهبة على الدوام تحسبا لاضطرارها لان « تخرج بسرعة » اي شخص يهدد بادخال النبرة الخاطئة الى هذه المحاكمة المحضرة تحضيرا مسرحيا · غير انه سمح عرضا لفروديغر بان يكشف عن الروح الانهزامية التي نشرتها الصهيونية بين يهود اوروبا ، الذين شجعتهم على عدم مقاومة النازية · صرخ فروديغر : « ولكن ماذا كان يمكننا ان نفعل ؟ ماذا كان يمكننا ان نفعل ؟ اليوم يشتكي بعض اليهود المجريين من اننا لم نطلب منهم ان يهربوا · ولكن ٥٠ بالمئة من الاشخاص

الذين هربوا القي القبض عليهم وقتلوا » (٩٤) · ولا حاجة الى القول ان نسبة الذين قتلوا ، لانه القي القبض عليهم ولم يحاولوا الهرب ، كانت مئة بالمئة تقريبا ·

ان سجلات دعوى كاستنر تقدم دليلا حيويا على السبب الذي دعا الاسرائيليين الى القاء القبض على ايخمان واعدامه هم انفسهم · اذ ان دعوى كاستنر قد اخرجت الى النور كذلك تفاصيل صفقة جاءت في ختام التعاون الصهيوني الطويل مع النازية ، وبخاصة تعاون كاستنر في المجر مع الجنرال بيكر ( الذي كان كولونيلا آنذاك ) وثلاثة ضباط اس اس آخرين ، هم كرومي وفيسليسيني وايخمان · « ان كولونيلات الاس اس الاربعة ، ورئيس الوكالة اليهودية كاستنر ، رتبوا مؤامرة هربهم خلال وقت قتل اليهود ·

لا كما يرتب المرء دمجا بين مصرفين ، على وجه الدقة ·· كان هناك الكثير من التقلبات التي لا يمكن التكهن بها · لكنهم رتبوها كطريقة عمل شاملة · سيعود ثلاثة من الكولونيلات الى المانيا ويخاطرون بمواجهة الاعتقال والمحاكمة كمجرمي حرب · ومن ثم يهب الدكتور كاستنر لانقاذ هؤلاء الثلاثة ، ويدافع عنهم كمنقذي اليهود ، بوصفه موظفا عاليا في المجالس اليهودية الرسمية · وسيكسب دفاعه الحرية للقتلة الثلاثة ·

وجميع الثلاثة ، وكاستنر ايضا ، سيلقون بذنب رباعي بودابست على العضو المفقود ، بعد مساعدة كبش المحرقة على تحقيق الاختفاء · وكان عضو الرباعي الذي اختبأ ، ليصير الرمز الوحيد للشر الغازي في المجر ، هو ادلف ايخمان » (٩٥) ·

وبعد ان صارت هذه الحقائق معروفة ، اغتيل كاستنر · ويمكن الاعتماد على بيكر ، بتجارته المزدهرة مع الحكومة الاسرائيلية ، وعلى كرومي ، الذي انقذه كاستنر كذلك من المحاكمة في نورينبرغ ، لكي لا يقولا شيئا · وكان فيسليسيني قد مات · لكن ايخمان كان ما يزال طليقا ، وكان لا بد من منعه من ان يروي قصته ابدا · وفي محاكمته قال انه ساعد القضية الصهيونية ، الا ان قلة من الناس اصغت اليه في الجو العاطفي الذي اثاره الصهاينة في حملة علاقات عامة بارعة ·

قدمت محاكمة ايخمان للزعماء الاسرائيليين الفرصة لان يدفنوا من جديد جميع الامور الكريهة التي اخرجتها دعوى كاستنر الى الضوء · وكما لاحظ كاتب يهودي اميركي : « عندما تأخذ في الاعتبار ان معظم الاسرائيليين كانوا يعرفون عن كاستنر وصلته بالرسميين الاسرائيليين ··· فانك آنذاك ستبدأ في معرفة سبب آخر لاصرار بن ـ غوريون على ان تجري محاكمة ايخمان في اسرائيل · فهذه المحاكمة تقول بالنتيجة : ( اترون ها هنا شيطانكم ـ هو الذي فعل ذلك ) » (٩٦) ·

جرى اختيار الشهود في محاكمة ايخمان بدقة · فقد ادلى ابا كوفنر بشهادته ، الا ان حاييم لازار ، الذي فضح علاقة كوفنر بالنازيين ، لم يدع الى الشهادة (٩٧) · كذلك لم يدع اندريه بيس ، على الرغم من الدور المهم الذي لعبه كمساعد لكاستنر · وقال بيس ان سبب ذلك هو انه اراد ان يحاول رد الاعتبار الى كاستنر ، وبحلول ذلك الوقت ارادت القيادة الصهيونية ان تمنع اي شيء قد يذكر الجمهور بمحاكمة كاستنر ، او يخرج حقائق جديدة الى النور ، حتى ومع هذا كشف بيس عن المزيد من الحقائق المهمة حول الذين دعوا كشهود :

« اكد لي اهرون كاري ، الذي اوكلت اليه دائرة المدعي العام اجراء التحقيقات في اوروبا حول ايخمان ، انني افضل شاهد مطلع حول ايخمان بين جميع الذين يعلم

بوجودهم ·وكان مقتنعا بانني ساكون شاهدا ممتازا للادعاء في المحاكمة ، ورجاني الا انتظر دعوة رسمية قبل الذهاب الى القدس · لذلك سافرت الى اسرائيل في التاسع من نيسان ( ابريل ) ١٩٦١ ·

وفي محاكمة ايخمان تم الاستماع الى مئة وشاهدين الا ان ٩٠ من هؤلاء الشهود على الاقل لم يكونوا قد التقوا ايخمان ابدا ، بل انهم حتى نهاية الحربلم يكونوا قد سمعواحتى باسمه · وانا نفسي قد رأيت السجين عددا من المرات اكثر من جميع الشهود معا · ولم يكن احد يعرفه بصورة وثيقة كما كنت اعرفه انا ·

وتم تعيين تاريخ ظهوري امام المحكمة ، ومع هذا لم يصغ الي رسميا في النهاية · كان المدعي العام ، جدعون هاوزنر ، قد طلب مني ان احذف من شهادتي اي ذكر لعملنا في بودابست ، وخصوصا ان امر بصمت على ما كان في اسرائيل انذاك « قضية كاستنر » · والى ذلك لا يجب ان اتكلم عن نشاطات بيكر في مصلحة اليهود · فقد رفض هاوزنر رفضا باتا ان يؤمن بهذه النشاطات · فقلت له انني لا استطيع ان ادلي بشهادتي الا اذا كنت حرا في ان اقول الحقيقة كلها ·· وفضل هاوزنر اخيرا ان يستغني عني كشاهد » (٩٨) ·

لدى القاء القبض على ايخمان ، كان كبير قضاة اسرائيل بنيامين هاليفي ، الذي ادت نزاهته المثالية ، في معالجة دعوى التشهير ، التي اقيمت نيابة عن كاستنر ، الى الكثير من الاحراج للحكومة الاسرائيلية · وبغية منع تكرار هذا الامر ، تصرف وزير العدل الاسرائيلي بنحاس روزن والمدعي العام هاوزنر بطريقة لم يسبق لها مثيل ، فمررا في الكنيست قانونا خاصا لحرمان القاضي هاليفي من حق ترؤس محاكمة ايخمان ·

ونظم روزن حملة ضغط تهدف الى استبعاد هاليفي من المحاكمة كلها ، علما بانه سمح له في النهاية بان يكون احد اعضاء هيئة قضاة حاكمت ايخمان · وكان هاوزنر ، كما لاحظنا ، المدعي العام في المحاكمة · وفضلا عن كون معاملة الحكومة لهاليفي تقدم مثلا ممتعا لكيفية عمل العدالة الاسرائيلية ، فانها تظهر ان القيادة الصهيونية كانت تقصد ان تكون محاكمة ايخمان عملا دعائيا مثيرا وليس محاولة عادلة ونزيهة لتثبيت الحقيقة الكاملة حول جرائم ايخمان » (٩٩) ·

وفي حين ان ايخمان كشخصية رئيسية في بعض اهم صفقات التعاون بين الصهاينة والنازيين ، لم يكن اعلى مجرمي الحرب النازيين الباقيين على قيد الحياة مرتبة ، فانه كان ، على الارجح ، النازي الذي توجد لديه المعرفة الاكثر تفصيلية حول علاقة الحركة الصهيونية بالنظام النازي · وتلك المعرفة ماتت معه ·

## IX الارغون والنازية

في ايار ( مايو ) ١٩٧٧ ، ونتيجة لانتخابات عامة ، برزت كتلة ليكود اليمينية المتطرفة كاقوى تجمع سياسي صهيوني ، وقادت الحكومة الائتلافية الاسرائيلية الجديدة · كان رئيس وزرائها مناحيم بيغن ، الذي ترأس سابقا منظمة ارغون ( اتسل ) الارهابية ·

خلال فترة محاكمة كاستنر ، وجه حزب حيروت بزعامة بيغن ، وهو اهم حزب في كتلة ليكود ، اصبع الاتهام نحو زعماء منافسه ، حزب مباي الحاكم ، لتعاون اعضائه مع النازية · كان المحامي شموئيل تامير من حزب حيروت ( وفيما بعد انضم الى الحركة الديموقراطية للتغيير ) ، ولعب المناصر القديم لارغون ، بن ـ هيكت ، دورا حيويا في

لفت انتباه الرأي العام الى قصة كاستنر · وهكذا استنتج الكثيرون من الناس انه كـــان لزعماء ارغون / حيروت سجل انظف من سجل منافسيهم في حزب مباي فيما يتعلـــــق بالتعاون مع النازية ، على الرغم من حالات اشخاص مثل جاكوب جنز ، وساليك وزلر ·

انما حدث ، في الآونة الاخيرة ، ان وثيقة ابقيت سرية لمدة طويلة ، وكشف عنها اخيرا الكاتب الالماني كلاوز بولكيهن ، القت الضوء على الموقف الحقيقي لارغون من النازية فـــي ١٩٤١ · ففي الوثيقة اقترحت فئة شتيرن من الارغون ما يلي :

« كثيرا ما يصرح في خطب واقوال رجال الدولة الرئيسيين في المانيا الاشتراكية الوطنية ان النظام الجديد في اوروبا يتطلب ، كشرط اساسي ، الحل الجذري للمسالة اليهوديـــة عن طريق الاجلاء ( Judenreines Europa ) ·

ان اجلاء الجماهير اليهودية عن اوروبا هو شرط مسبق لحل المسالة اليهودية · ولكن لا يمكن جعل ذلك ممكنا وتاما الا عن طريق استقرار هذه الجماهير في وطن الشعب اليهودي، فلسطين ، وعن طريق تأسيس دولة يهودية في حدودها التاريخية ·

ان حل المشكلة اليهودية بهذه الطريقة وبالتالي انجاز تحرير الشعب اليهودي بصـــورة نهائية هو هدف النشاط السياسي والصراع الذي دام اعواما عديـــدة لحركة الحريـــة اليهودية : المنظمة العسكرية الوطنية ( ارغون ) في فلسطين ·

ان المنظمة العسكرية الوطنية ، التي تعرف جيدا حسن نية حكومة الرايـــخ الالمانـــي وسلطاتها نحو النشاط الصهيوني داخل المانيا ونحو خطط الهجرة الصهيونية ، ترى :

١ ) ان مصالح مشتركة يمكن ان توجد بين تأسيس نظام جديد في اوروبا ينسجم مـــع المفهوم الالماني ، والمطامح الوطنية الحقة للشعب اليهودي كما تجسمها المنظمة العسكريـــة الوطنية ·

٢ ) ان التعـــاون بيـــن المـــانيـــا الجديـــدة والامـــة العبريـــة المتجـــددة ( Vôlkisch - Nationalen - Hebràertum ) سيكون ممكنا ·

٣ ) ان تأسيس الدولة اليهودية التاريخية على اساس قومي وكلي مقيدة بمعاهدة مـــع الرايخ الالماني ، سيكون في مصلحة المحافظة على مستقبل مركز القوة الالماني في الشـــرق الادنى وتعزيزه ·

انطلاقا من هذه الاعتبارات ، تعرض المنظمة العسكرية الوطنية في فلسطين القيـــام بدور نشيط في الحرب الى جانب المانيا ، بشرط اعتراف حكومة الرايخ الالماني بالمطامح الوطنية السالفة الذكر لحركة التحرير اليهودية ·

هذا العرض من المنظمة العسكرية الوطنية ، الذي يسري مفعوله على الاصعدة العسكرية والسياسية والاعلامية ، داخل فلسطين ، وايضا خارجها ، وفقـــا لتحضيرات تنظيميـــة معينة ، سيكون مربوطا بالتدريب العسكري وتنظيم الطاقة البشرية اليهودية ، في اوروبا، تحت زعامة وقيادة المنظمة العسكرية الوطنية · وستشترك هذه الوحدات العسكرية فـــي القتال لاحتلال فلسطين ، في حال تشكيل مثل هذه الجبهة ·

ان المشاركة غير المباشرة لحركة « الحرية » الاسرائيلية في رسم النظام الجديد فـــي اوروبا ، وهو الان في مرحلته التحضيرية ، ستكون متصلة بحل جذري اكيـــد للمشكلـــة

اليهودية الاوروبية ، وفق المطامح الوطنية السالفة الذكر للشعب اليهودي · ومن شأن هذا ان يعزز ، الى درجة غير اعتيادية ، الاساس المعنوي للنظام الجديد في نظر العالم كله ·

ان تعاون حركة « الحرية » الاسرائيلية سيكون منسجما كذلك مع احد الخطب الاخيرة لمستشار الرايخ الالماني ، الذي شدد فيه الهر هتلر على ان اي تجمع واي تحالف ستدخله المانيا بغية عزل انكلترا ودحرها » (١٠٠) ·

وحدث انقسام داخل الارغون فيما يتعلق بهذه القضية · فالفئة التي يقودها ابراهام شتيرن ، والتي صارت تعرف باسم عصابة شتيرن ، شنت حربا فورية ضد البريطانيين في فلسطين · اما الفئة الاخرى ، التي كان سيقودها بيغن ، فقد اخرت قرارها ، ووقف بعض اعضائها الى جانب البريطانيين لفترة من الوقت · ويبدو ان السبب الرئيسي للتأخير هو التشوش المؤقت في ارغون بعد الانقسام · وفي ١٩٤٣ صار بيغن الرجل الاول في قيادة الارغون العليا ، واعيد تسليح المنظمة ، واعيد تنظيم بنيتها كلها · وما ان اكتملت مرحلة التحضير هذه ، حتى شنت الارغون بزعامة بيغن حملتها العسكرية والارهابية ضد البريطانيين في فلسطين في كانون الثاني ( يناير ) ١٩٤٤ ، عندما كانت الحرب العالمية الثانية ما تزال في ذروتها · وهكذا ، فان الفرق بين الارغون الاكبر حجما ، وعصابة شتيرن ، كان بصورة جوهرية مسألة توقيت ، لا مسألة مبدأ ·

وبالفعل ، قبل الانقسام ، كانت الارغون والحزب الصهيوني المرتد الذي انضم اليها يعتبران اعتبارا راسخا ان بريطانيا هي العدو ، وان الحكومات « اللاسامية » هي الحليفة· وكما فعل « اتحاد المستوطنات الكوميونية » مع المانيا النازية ، فان المرتدين الارغونيين اقاموا ترتيبات تعاون ، بما فيها معسكرات تدريب للصهاينة ، مع النظام المناهض بقوة لليهود في بولندا · وقد تفاوض ابراهام شتيرن حول هذا التعاون في ١٩٣٧ ، وتضمن تعهدا بولنديا بامدادات الاسلحة للارغون ·

وخططت الارغون ، بالتعاون مع حركة الشبيبة المرتدة ، بيتار ، لتنظيم ثورة في فلسطين من قبل المهاجرين الصهاينة من اوروبا في تشرين الاول ( اكتوبر ) ١٩٣٩ ، الشهر التالي لاعلان الحرب العالمية الثانية · وكانت الخطة الاستيلاء على اكبر عدد ممكن من المباني ، واعلان « حكومة مؤقتة » صهيونية · واحبطت الخطة ، عندما اعتقل البريطانيون جميع اعضاء قيادة الارغون العليا · وحتى لو تم تنفيذها فعلا ، لكانت سحقت بسرعة دون ريب، ولكنها مع هذا كانت ستقوض المجهود الحربي البريطاني ضد النازية (١٠١) ·

وقتل شتيرن عام ١٩٤٢ في اشتباك مع الشرطة البريطانية · وفي نهاية ١٩٤٣ اسس اتباعه منظمة منفصلة تدعى « لوحامي حيروت اسرائيل » ، او « ليحي » ، تعاونت بصورة وثيقة مع الارغون بزعامة بيغن · وفي ١٩٤٨ اغتال اعضاء « ليحي » وسيط الامم المتحدة الكونت فولك بيرنادوت ، وهو انساني سويدي لعب دورا مهما ابان الحرب العالمية الثانية في انقاذ اليهود من الحكم النازي ، وتأمين ملجأ لهم في السويد ·

### X تقويم السياسة الصهيونية تجاه النازية

ان الادلة السالفة الذكر ، من المصادر اليهودية ، تظهر عددا من الحقائق المهمة ·

« وصفت ( الصهيونية ) الهجرة الى فلسطين على انها الجواب الوحيد للاسامية ، وانتقدت ورفضت اي صراع للتحرر وتشريع الحقوق المدنية ، الخ · وجدت نفسها في

معسكر واحد مع اللاساميين الذين قالوا للجاليات اليهودية المحلية ( اذهبوا الى فلسطين) · كما ان المبادرة في الصراع اليهودي ضد النازية خلال الثلاثينات لم تأت ابدا من المنظمة الصهيونية · وكان الافراد والمنظمات اليهودية غير الصهيونية هم الذين اخذوا المبادرة ، وتحملوا عبء ذلك الصراع · وكانت المنظمة الصهيونية تتخذ موقفا ابعد عن بقية اليهود كلما ازداد الصراع شراسة · والاعتبارات الكامنة تحت هذا الموقف توضحها رسالة كتبها بن ـ غوريون الى الهيئة التنفيذية الصهيونية في السابع من كانون اول (ديسمبر) ١٩٣٨ :

« ان المشكلة اليهودية الآن لم تعد ما كانته · وان مصير اليهود في المانيا ليس نهاية بل بداية · وستتعلم دول لاسامية اخرى من هتلر · انملايين اليهود يواجهون الابادة ، وقد اكتسبت مشكلة اللاجئين ابعادا والحاحا عالميين · وتحاول بريطانيا فصل قضية اللاجئين عن قضية فلسطين · ويساعدها في ذلك يهود غير صهيونيين · ان مقاييس مشكلة اللاجئين تتطلب حلا اقليميا فوريا · واذا لم تستوعبهم فلسطين ، فان بلدا آخر سيستوعبهم · ان الصهيونية في خطر · فجميع الحلول الاقليمية الاخرى ، التي ستخفق حتما ، ستتطلب مبالغ طائلة من المال · واذا كان اليهود سيختارون بين اللاجئين ، انقاذ اليهود من معسكرات الاعتقال ، ومساعدة متحف وطني في فلسطين ، فان كفة الرحمة سترجح ، وستوضع كل طاقة الشعب في اقنية انقاذ اليهود من البلدان المختلفة · وستحذف الصهيونية من جدول الاعمال ، لا عند الرأي العام العالمي ، في بريطانيا والولايات المتحدة الاميركية فحسب ، بل عند الرأي العام اليهودي في امكنة اخرى ايضا · واذا سمحنا بالفصل بين مشكلة اللاجئين والمشكلة الفلسطينية ، فاننا نجازف بوجود الصهيونية ·

ان انقاذ الارواح اليهودية من هتلر يعتبر هنا خطرا كامنا للصهيونية ، الا اذا جيء بهم الى فلسطين · عندما اضطرت الصهيونية الى الاختيار بين الشعب اليهودي والدولة اليهودية فانها فضلت الاخيرة بلا تردد ·

ان الصهيونية تقبل باللاسامية على انها الموقف الطبيعي العادي للعالم غير اليهودي من اليهودي · وهي لا تعتبرها ظاهرة مشوهة ومنحرفة ، فهي استجابةللاسامية ولكنها ليست مواجهة وتنديدا او قتالا ضدها » (١٠٢) ·

« ان الصهاينة يقبلون بصورة جوهرية الايديولوجية العرقية للاساميين ، ولكنهم يتوصلون الى استنتاج مختلف · فاليهودي ، بدلا من التيوتوني ، هو العرق النقي او المتفوق » (١٠٣) ·

هذا المفهوم للعرق المتفوق يظهر في التشديد الذي تضعه الصهيونية على « انقاذ » الرواد الشبان للهجرة الى فلسطين ، واهمال المسنين الذين لا يستطيعون القيام بمثل هذه المساهمة لبناء الدولة الصهيونية · ويفهم ضمنا من هذا القبول بالمبدأ النازي للفئات المتفوقة والدنيا للكائنات البشرية ·

« لقد قبل اليهود الالمان دون احتجاج بالفئات منذ البداية ، والقبول بالفئات الممتازة ـ اليهود الالمان مقابل اليهود البولنديين ، واليهود من قدامى المحاربين وحاملي الاوسمة مقابل اليهود العاديين ، والعائلات التي كان اسلافها مولودين في المانيا مقابل مواطنين متجنسين حديثا ، الخ · ـ كان بداية الانهيار المعنوي للمجتمع اليهودي المحترم ··· والامر المشؤوم معنويا في القبول بهذه الفئات الممتازة كان ان كل من طلب ان ( تستثنى )

حالته ، اعترف ضمنا بهذه القاعدة ، الا ان هذه النقطة لم يفهمها قط ، على ما يبدو ، ( الرجال الطيبون ) ، اليهود وغير اليهود ، الذين شغلوا انفسهم حول جميع تلك ( الحالات الخاصة ) التي يمكن ان يطلب لها معاملة تفصيلية · وربما كان قبول حتى الضحايا اليهود بمقاييس ( الحل النهائي ) اكثر ما يكون وضوحا في ما يدعى ( تقرير كاستنر ) · فحتى بعد نهاية الحرب كان كاستنر فخورا بنجاحه في انقاذ ( اليهود البارزين ) ، وهم فئة ادخلها النازيون رسميا في ١٩٤٢ وكأنه لم يكن ، في نظره هو ايضا ، ثمة حاجة الى القول ان اليهودي الشهير كان له حق اكبر في البقاء على قيد الحياة من اليهودي العادي » ·

كان الموفدون الصهاينة الذين تفاوضوا حول اتفاقات الهجرة للعام ١٩٣٨ « يتكلمون لغة لا تختلف اختلافا تاما عن لغة ايخمان ··· وبالفعل كانوا في وضع للتعامل مع السلطات النازية على قدم المساواة ، وهو امر لم يكن يتمتع به اليهود المحليون ، اذ انهم كانوا يتمتعون بحماية الدولة المنتدبة · وربما كانوا بين اوائل اليهود الذين تكلموا علنا حول المصالح المشتركة ، وكانوا حتما اول من اعطوا اذنا ( لاختيار الرواد اليهود الصغار ) من بين اليهود في معسكرات الاعتقال · وبالطبع ، لم يكونوا مدركين للتضمينات الشريرة لهذه الصفقة ، التي كانت ما تزال تكمن في المستقبل ، ولكنهم هم ايضا اعتقدوا بطريقة ما ، انه اذا كانت المسألة مسألة اختيار يهود للبقاء ، فان اليهود هم الذين يجب ان يقوموا بالاختيار · وكان هذا الخطأ الجوهري في الحكم هو الذي ادى في النهاية الى وضع وجدت فيه الاكثرية غير المختارة من اليهود نفسها تواجه بصورة حتمية عدوين اثنين : السلطات النازية ، والسلطات اليهودية » (١٠٤) ·

اظهر الصهاينة تصميما غريبا في السعي وراء هدفهم ، الذي هو تأمين دولتهم في فلسطين ، واخضاع جميع الاعتبارات الاخرى لهذا الهدف · « ان تدخل الحركة الصهيونية في مسألة امكانية هجرة اليهود الى اميركا هو مثل كلاسيكي على سخرية الصهيونية الوحشية » · ابان الحرب العالمية الثانية كان لا يزال في امكان مئات الالوف من اليهود الاوروبيين الفرار من النازيين عن طريق الهجرة الى بلدان اخرى · وقد رفضت الولايات المتحدة وبريطانيا السماح لخمسماية الف لاجيء يهودي بالدخول وتلقي حق اللجوء السياسي ، ومكن ، هذا ، النازيين من قتلهم في حجرات الغاز · وتم في الولايات المتحدة تنظيم حملة واسعة تطالب بفتح الابواب امام الهجرة الحرة لليهود الاوروبيين دعما لما كان يسمى ( خطة روزفلت ) ــ وهي مشروع لتمكين بضع مئات الوف من اليهود من دخول الولايات المتحدة وبريطانيا ·

ومما لا ريب فيه ان ممثلي الحركة الصهيونية في الولايات المتحدة حاولوا تخريب الخطة لانقاذ اللاجئين اليهود عن طريق جلبهم الى الولايات المتحدة ، او اي مكان غير فلسطين · وفي الواقع ، فان روزفلت نفسه استخدم الضغط الصهيوني ضد الهجرةكذريعة لعدم السماح بالهجرة الحرة · ويلخص موريس ل· ارنست ، وهو محام نيويوركي شهير، واحد انشط الدعاة المكرسين في المحاولة لفتح ابواب الولايات المتحدة امام اليهود ، استجابة الزعماء الصهاينة لمساعيه الانسانية على النحو التالي : « دهشت وأهنت عندما انتقدني الزعماء اليهود النشطون بقسوة وسخروا مني ثم هاجموني كأنني خائن · وفي احدى مآدب العشاء اتهمت علنا بتشجيع هذه الخطة للمزيد من الهجرة الحرة بغية تقويض الصهيونية السياسية · ولم تقدم الجماعات اليهودية المؤيدة لفتح ابوابنا غير ولاء كلامي لبرنامج روزفلت ، وعارضه اصدقائي الصهاينة » (١٠٥) ·

« كان الصهاينة ، قبل الحرب وبعدها ، اقوياء بما فيه الكفاية لاحباط الجهود للعثور على ملاجىء للمضطهدين خارج فلسطين ، وبعد كثير من الالحاح في الثلاثينات تم اقناع وزير الداخلية الاميركية بمعارضة استيطان اللاجئين اليهود في الاسكا ، ثم مورست ضغوط على الحكومة الاسترالية للتخلي عن مشروع ( كمبرلي ) لتوطين اللاجئين اليهود، في استراليا الغربية ، وهو مشروع كانت قد تبنته ( عصبة فريلاند ) وفاز بموافقة جزئية · وفيما بعد سألت ( عصبة فريلاند ) في منشورتها : ( من يستطيع ان يتكهن كم الفا من الارواح اليهودية كان يمكن انقاذها من براثن هتلر لو لم تنفذ هذه الضغوط المضادة لليهود التي مارسها اليهود ؟ من يستطيع ان يتكهن كم الفا من اليهود كان يمكن ان يبدأوا حياة جديدة في كمبرلي بدلا من انهاء حياتهم فيأوشفيتز ؟) » (١٠٦) ·

« مع الاعتراف بان يهود اوروبا قد عانوا من الالام ما لا يمكن التعبير عنه ، فلماذا بحق السماء يجب اخضاع مصير جميع هؤلاء التعساء للصرخة المنفردة : الدولة ؟ لا استطيع التخلص من الشعور بان يهود اوروبا السيئي الطالع في معسكرات المشردين هم رهائن عاجزة ، كانت الدولة فديتهم الوحيدة » (١٠٧) ·

ان سياسة التعاون الصهيونية مع النازية حملت الثمار من اوائل ايام صعود هتلر الى السلطة ، وفقا لارقام الهجرة الصهيونية الى فلسطين · « في ١٩٣٢ دخل فلسطين ٩٠٠٠ يهودي الماني · وفي ١٩٣٣ ، ٣٠ر٠٠٠ · وفي ١٩٣٤ ، ٤٠ر٠٠٠ · وفي ١٩٣٥ ، ٦١ر٠٠٠ · في ١٩٣١ لم يكن هناك غير ١٧٤ر٦١٦ يهودي في فلسطين ، ولكن بحلول ١٩٣٩ لرتفع الرقم الى ٤٤٥ر٤٥٧ » (١٠٨) ·

وجنى الزعماء الصهاينة فوائد مالية مهمة من سياستهم بعد الحرب ايضا · « بعد ان اداروا ظهورهم هكذا لليهود المحكوم عليهم بالفناء ، فان الزعماء انفسهم استخدموا فيما فيما بعد الابادة لجمع الملايين والملايين ، ولجمع المليارات في شكل تعويضات من الالمان » (١٠٩) ·

واذا سلمنا بهذه المكاسب الواضحة التي جنتها الصهيونية ، فكيف وافق الصهاينة على دفع الجاليات اليهودية في اوروبا مثل هذا الثمن الباهظ ، الذي يقدر بنحو ٦ ملايين شخص قتلوا ؟ تجدر الملاحظة بان الاكثرية الساحقة من هؤلاء كانوا من اوروبا الشرقية ، ونحو نصف المجموع من بولندا وحدها · المؤرخ اليهودي البولندي اسحق دويتشر قد يقدم الجواب عن هذا السؤال : « لا بد من ان ندرك ان اكثرية يهود اوروبا الشرقية كانوا ، حتى اندلاع الحرب العالمية الثانية ، معارضين للصهيونية · هذه حقيقة نادرا ما يدركها معظم اليهود وغير اليهود في الغرب · كان الصهاينة في جزئنا من العالم اقلية بارزة ، ولكنهم لم ينجحوا قط في جذب اكثرية ابناء ملتهم · كان اعداء الصهيونية الاكثر تعصبا هم العمال ، الذين يتكلمون لغةاليديش ، والذين يعتبرون انفسهم يهود · كانوا الخصوم الاكثر تصميما لفكرة حدوث هجرة من اوروبا الشرقية الى فلسطين » (١١٠) ·

لم تكن فلسفة هؤلاء الصهاينة في اوروبا الشرقية ، امثال جنز وكاستنر ، الذين عقدوا صفقات مع النازيين ، انحرافا فرديا ، بل انعكاس للسياسة الصهيونية الرسمية · وقد عبر نائب الرئيس التنفيذي للنداء اليهودي الموحد ، هنري مونتور ، عن ذلك على النحو التالي : « ان الاختيارية هي عامل لا مناص منه في التعامل مع مشكلة الهجرة الى فلسطين · وتعني الاختيارية اختيار الشبان والشابات الذين يدربون في اوروبا من اجل غايات انتاجية اما في الزراعة او الصناعة والذين يدربون بطرق اخرى من اجل الحياة

في فلسطين ، التي تنطوي على مصاعب ومشقات يجب ان يكونوا مستعدين لها جديـــا ونفسيا ... ولا يمكن ان تكون ثمة ذخيرة اشد فتكا تقدم لاعداء الصهاينة ، سواء كانـوا في صفوف الحكومة البريطانية او العرب ، او حتى في صفوف الشعب اليهودي ، اذا كانت فلسطين ستغرق باشخاص مسنين جدا او باشخاص غير مرغوب فيهم يجعلون اوضـــاع الحياة في فلسطين مستحيلة ويدمرون فرصة خلق ظروف اقتصادية من شأنها تأميـــن استمرار الهجرة » (١١١) .

كانت نتائج التعاون الصهيوني مع النازية مشؤومة بالنسبة لجماهير اليهود الاوروبيين. « حيثما كان هناك يهود ، كان هناك زعماء يهود معترف بهم ، وهـــذه الزعامة ، بـــلا استثناء تقريبا ، تعاونت مع النازيين . كانت الحقيقة الكاملة هي انه لو كان الشعـــب اليهودي في الواقع غير منظم وبلا قيادة ، لكانت هناك فوضى والكثير من الشقاء . لكـن العدد الكامل للضحايا ما كان وصل الى ما بين اربعـــة ونصف مليون ، وستة ملاييـــن شخص » (١١٢) .

ان القصة الكاملة لدور الصهيونية ابان عهد هتلر لا تزال غير معروفة على نطـــاق واسع ، لا في العالم اجمع فحسب ، بل ايضا بين الجاليات اليهودية . والفعالية التـــي كتمت بها القصة ، ونشرت الاسطورة القائلة بان الصهاينة هم حماة اليهود ، هي اشـارة الى مدى نجاح الحركة الصهيونية في فن الدعـاوة .

نقل النص الى العربية
**رجا جورج**

## الحواشي

(67) Tenenbaum , op. cit. , p. 381.

(68) Letter to *The Times*, 6 June 1961.

(69) Shonfeld, op. cit., pp. 63-65.

(70) Elkins, op. cit., pp. 59,166.

(71) *Ibid*., pp. 197, 237.

(72) Statement to Zionist convention in London, August 1937.

(73) Speech on «*The Diaspora and the Redemption*», Tel-Aviv, February 1943.

(74) Shonfeld, op. cit., p. 21.

(75) Ben Hecht , *Perfidy* (New York, 1961) pp. 58-95.

(76) Official charge sheet, Criminal Case 124/53, District Court, Jerusalem.

(77) Judgement given on 22 June 1955 , Protocol of Criminal Case 124/53 in District Court, Jerusalem.

(78) Hecht, op. cit. , pp. 202-208.

(79) Letter to Zionist representatives, 15 May 1944.

(80) Affidavit before Mr. Benno H. Selcke Jr., of American Evidence Division, International Military Tribunal , Nuremberg , 4 August 1947.

(81) Hecht, op. cit., p. 67.

(82) *Ibed*., p. 84.

(83) *Haaretz*, 14 July 1955.
(84) Hecht, op. cit., p. 185.
(85) See *Ibid.*, pp. 208-250, and Shonfeld, op. cit., pp. 36-39 for details of Joel Brand story, as well as Alex Weissberg, *Die Geshichte von Joel Brand* (Cologne, 1956).
(86) Shonfeld, op. cit., pp. 76, 82-86.
(87) Andre Biss, *A Million Jews to Save* ( London, 1975 ) pp. 21, 37.
(88) Haboker, 23 June 1955.
(89) Protocol C.C. 124/53, Jerusalem District Court.
(90) Menuhin, op. cit., p. 473.
(91) Alfred Lilienthal , *The Other Side of the Coin* (New York, 1965) p. 109; *New York Times*, 16 December 1960; Arendt, op. cit., p. 16.
(92) Moshe Pearlmann , *The Capture and Trial of Adolf Eichmann* ( New York , 1963 ) p. 534.
(93) *Ibid.*, p. 358.
(94) *Ibid.*, p. 359.
(95) Hecht, op. cit., p. 200.
(96) Leonard Sussman, *Analysis of Perfidy* ( American Council for Judaism) quoted by Menuhin, op. cit., p. 484.
(97) Shonfeld, op. cit., p. 30.
(98) Biss, op. cit., p. 191.
(99) Hecht, op. cit., p. 267, note 148.
(100) Memorandum dated 11 January 1941 , submitted in report of German Naval Attache in Turkey, quoted by Klaus Polkehn, *The Secret Contacts: Zionist-Nazi Relations, 1933-1941* (article in *Journal of Palestine Studies* , Vol. V, Nos. 3 & 4 , Spring / Summer 1976).
(101) See Joseph Schechtman , *Fighter and Prophet* (New York, 1961) pp. 438-484, & Gerold Frank *The Deed*, (New York 1963) p. 79.
(102) *The Other Israel , (Matzpen* pamphlet , Tel-Aviv , n.d.) pp. 9-10.
(103) Morris R. Cohen , *Tribalism or Liberalism , essay in Palestine : a Search for Truth*, ed. Alan R. Taylor & Richard N. Tetlie (Washington, DC, 1970) , p. 71.
(104) Arandt, op. cit., pp. 55-56.
(105) Izzi Cohen, *The Cruel Zionism* (article in Matzpen, April 1974). The quotation is from Morris L. Ernst, *So Far So Good* (London , 1953), pp. 138-139.
(106) Lilienthal, op. cit., p. 20.
(107) Arthur Hayes Sulzberger in *New York Times* , 27 October 1946.
(108) Menuhin , op. cit., p. 92.
(109) Hecht, op. cit., p. 50.

(110) Issaac Deutscher , *The Non-Jewish Jew & Other Essays* (London, 1968) p. 66.

(111) Letter to Rabbi Baruch Rabinowitz , Congregation B'nai Abraham , Hagerstown, Maryland, 1 February 1940.

(112) Arendt, op. cit., p. 111.

صدر حديثا عن مركز الابحاث

كتاب

**التركيب الاقتصادي الاجتماعي لشرق الاردن**

**( مقدمات التطور المشوه )**

**١٩٢١ ـ ١٩٥٠**

تأليف

هاني حوراني

**اطلب نسخك من : مركز الابحاث ـ قسم التوزيع**

**ص.ب : ١٦٩١ ـ بيروت**

سعر النسخة ١٠ ليرات لبنانية ( عدا اجور البريد )

رسالة بغداد

# دائرة الحد الأدنى

بين الثاني والخامس من تشرين الثاني ( نوفمبر ) ١٩٧٨ انعقد في بغداد ، وبرعاية جامعة الدول العربية ، مؤتمر القمة العربي التاسع تحت شعار محدد هو : وقف التداعي في الوضع العربي الذي نجم عن « مبادرة السادات » ونتائجها العملية ممثلة باتفاقات كامب ديفيد ٠

وقد سبق القمة مؤتمر لوزراء الخارجية العرب امتد ثلاثة ايام طويلة حفلت بمناقشات مثيرة وطريفة ، بمعنى ان بعض المشاركين فيها لم يتورع عن مناقشة ما كان يعتبر حتى اليوم من المسلمات البديهية ٠

وهذه الرسالة عن القمة تظل اقرب الى العرض منها الى التحليل والتقييم ٠ انها في احسن الحالات ، شهادة يدلي بها مراقب صحافي كان في موقع شاهد العيان ٠

ـ ١ ـ

عاشت بغداد اعيادا متصلة في الفترة ما بين الاول من تشرين الاول ( اكتوبر ) والخامس من تشرين الثاني ( نوفمبر ) ٠

كانت البداية « العلنية » في بيان اذاعه مجلس قيادة الثورة في العراق طارحا فيه مبادرة عربية تستهدف « وقف التداعي » وترتكز الى الاسس الاتية :

١ ـ دعوة جميع الدول العربية ، باستثناء مصر ، لعقد قمة في بغداد لتحديد موقف عربي موحد من اتفاقات كامب ديفيد ، وما يترتب عليها من نتائج واثار مدمرة سياسيا وعسكريا وثقافيا واقتصاديا ٠

٢ ـ اعلان الاستعداد لدعم دول المواجهة ، ومصر اساسا ، بمبالغ تصل بمجموعها

الى ٩ مليارات دولار سنويا ، لتتمكن من الصمود واعادة بناء قواتها العسكرية وتدعيم اقتصادها ضمن خطة مداها عشر سنوات ، بحيث تكون بعدها قادرة على اداء واجبها القومي في تحرير الاراضي العربية المحتلة ٠

٣ ـ دعوة السادات للتخلي عن مبادرته والامتناع عن توقيع معاهدة الصلح الجاري التفاوض عليها مع العدو الاسرائيلي ، فاذا قبل تعهد العرب بتوفير ما تحتاجه مصر من دعم ، واذا رفض واصر على المضي في طريقه فرض عليه العرب عقوبات ابسطها المقاطعة السياسية والاقتصادية والثقافية وعزله عن المجتمع العربي ٠

وكان مجلس قيادة الثورة العراقي قد تلقى بشخص الرئيس احمد حسن البكر ، وقبل يومين من اذاعة ندائه ، رسالة من الرئيس السوري حافظ الاسد وصفت بأنها « نداء من الضمير الى الضمير » ٠

كانت الرسالة « مناشدة للوجدان القومي » لدى القيادة العراقية ٠ وقد لخصت مصادر سورية رسمية مضمونها في نقاط هذه ابرزها :

☐ ان الامة العربية مهددة في وجودها وتاريخها ومصيرها ٠

☐ ان ما بين سوريا والعراق من خلافات ، ومهما كانت اسبابها ، لا يمكن ولا يجوز ان يشكل عقبة في طريق اللقاء لمواجهة المخاطر المصيرية التي تتهدد العرب جميعا ٠

☐ ان الاجيال المقبلة ستحاسب القيادات القائمة ، والتاريخ لن يرحم احدا ٠

☐ اذا كان غيرنا يتحلى بشجاعة كافية للقاء مع العدو ، أفليست لدينا ـ نحن الاشقاء ـ شجاعة ان نتلاقى لنبحث في خلافاتنا ذاتها فنحل ما يمكن حله ونجمد ما لم يحن الوقت المناسب بعد لحله ؟

☐ ليس احد بمنجاة من خطر التوسع الاسرائيلي ، واذا ما سقطت سوريا فذلك لن يكون كسبا للعراق ، بل ان الخطر سيمتد اليه بالتأكيد ٠ وشعار اسرائيل في كل حال : من النيل الى الفرات ارضك يا اسرائيل ٠

ويقول مسؤولون في بغداد ان الرسالة السورية هزت وجدان القيادة العراقية عند مناقشتها ، وتقرر بالتالي توجيه دعوة رسمية الى الرئيس حافظ الاسد ليأتي الى مناقشة مفتوحة في بغداد ، وفق ما اقترح في رسالته ٠

وهكذا بينما كان رسل القيادة العراقية يطوفون بين العواصم العربية حاملين رقاع الدعوة الى قمة بغداد ، كان الاستعداد جاريا لاتمام اللقاء بين القطرين الشقيقين سوريا والعراق ٠

وجاء حافظ الاسد ، بالفعل ، الى بغداد ، والتقى قيادتها لمناقشة مفتوحة انتهت باعلان ميثاق العمل القومي الذي يعتبره الطرفان « خطوة على طريق الوحدة الكاملة » ٠

ـ ٢ ـ

هذه المقدمة ضرورية لان قمة بغداد ما كان ممكنا انعقادها ، ثم نجاحها ، لولا هذا اللقاء السوري ـ العراقي الذي انهى وضعا شاذا عانت منه الامة العربية الامرين ودفع الشعب

العربي في القطرين ثمنه باهظا من قوته وامنه وهناءة عيشه ٠

ثم ان انهاء هذا الخلاف الذي امتد لسنوات وسنوات ، والذي تصاعد دمويا حتى بلغ حافة الحرب في فترة من الفترات ، كان شرطا اساسيا لكي لا تأتي القمة نقيضا لما اتت ٠ ففي غياب مصر وفي ظل خلاف حاد بين سوريا والعراق تصبح قوى الصمت ـ موضوعيا ـ هي قيادة المنطقة وينعقد لها لواء الزعامة ٠٠٠ بمباركة الولايات المتحدة الاميركية ودعمها، بطبيعة الحال ٠

وهكذا ، فمع اعلان ميثاق العمل القومي المكرس لانتهاء الخلاف السوري ـ العراقي كان يتم الاعلان عن قيام قوة جديدة قادرة ومؤثرة في المنطقة ، وكان منطقيا ان تبادر الاطراف المتضررة الى المشاغبة على القمة ومحاولة منع انعقادها ، او في اقل تعديل نقل مقرها ٠ وطرح المتضررون فكرة « نقل القمة الى مكان اخر » ٠ بينما كان انور السادات يعلن ترحيبه بفكرة القمة شرط ان تعقد في اطار الجامعة العربية وفي القاهرة ٠ ثم امتدت محاولة الشغب الى الموعد ، وشهدت صفحات الصحف مناورات مكشوفة بين الداعين لتقديم الموعد والداعين الى تأخيره حتى استقر الامر في النهاية على ٢ تشرين الثاني ( نوفمبر ) : الذكرى الحادية والستين لصدور وعد بلفور باعطاء اليهود وطنا قوميا على ارض فلسطين ٠

اكثر من هذا ، لقد استمرت المشاغبات على القمة حتى بعد انعقاد مؤتمر وزراء الخارجية في الثلاثين من تشرين الاول ( اكتوبر ) في بغداد ٠ ولقد عبث هؤلاء المشاغبون بالصحافيين الذين كانوا يتابعون اعمال مؤتمر الوزراء ، اما « كمتسللين » الى قصر السلام، حيث يجتمع الوزراء ، واما « كنظارة » من مركز تجمع الصحافيين في قاعة الخلد ، حين اشاعوا بينهم ان الخلافات فجرت مؤتمر وزراء الخارجية بحيث عجزوا عن اقرار صيغة موحدة للتوصيات ، وان سعود الفيصل قد سافر مغضبا ، وان « الافارقة » شبه مقاطعين« وان مندوب قابوس متحفظ ابدي ، وان القمة صارت في خبر كان ! ٠

والحق ان بعض هذه الشائعات كان لها سند من الواقع :

فتمثيل افريقيا العربية كان ضعيفا ، واستمر كذلك حتى نهاية القمة التي لم يشهدها الا رئيس واحد هو بن سالك رئيس موريتانيا ، بينما غاب كل من : الملك الحسن الثاني ( كانت الذريعة امنية ، ثم بعد ايام انتفت هذه الذريعه بسفره الى الولايات المتحدة ) ، الرئيس الجزائري هواري بومدين ( كان قيد العلاج في الاتحاد السوفياتي ) ، الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة ( كان قيد العلاج في المانيا الغربية ، وكان يفترض ان يحضر القمة رئيس وزرائه الهادي نويره لكنه لعلة ما لم يحضر ) ، العقيد معمر القذافي ( الذي كان مقررا حضوره ثم عدل في اخر لحظة ، وربما بسبب ما بلغه عن الجو السائد في مؤتمر وزراء الخارجية ، واوفد العميد ابو بكر يونس ، عضو الامانة العامة لمؤتمر الشعب العام ، والقائد العام للقوات المسلحة ) ، الرئيس السوداني جعفر نميري ( وقد تمثل بسفيره في القاهرة !! ) ، الرئيس الصومالي ، وحتى رئيس جيبوتي لم يحضر واناب عنه احد وزرائه ٠

ثم ان قابوس لم يحضر ، وحتى وزيره قيس الزواوي الذي كان اسمه مدرجا في قائمة الوفود الرسمية ، تخلف ، ورئس الوفد سفير لم يفعل طوال وجوده في بغداد غير التحفظ ٠ ويروي المؤتمرون نوادر كثيرة عن تحفظه الذي شمل حتى مواعيد الغداء والعشاء ! ٠

وقد لعب مندوب قابوس ، وعبر التحفظ ، دورا من طبيعة مشاغبة وحاول بكل جهده ان يؤثر سلبا على جو المؤتمر · وتردد انه كان يبادر ، بعد كل جلسة ، فيبرق الى القاهرة ، وتحديدا الى « مكتب الرئيس » لابلاغ السادات بمجريات المؤتمر ، ثم بعد ان يفرغ من مهمته هذه يتصل بسلطانه ليبلغه ما حصل ·

واخيرا ، فقد كان صحيحا ان وزراء الخارجية عجزوا عن اقرار نص موحد لتوصياتهم، فتركوا امام ملوكهم ورؤسائهم نصين ، احدهما وصف بأنه « متشدد » ليقرا منهما ما ينسجم مع اوضاعهم السياسية ·

هنا لا بد من وقفة ، لان مناقشات الوزراء كشفت بعض ما يحرص الرؤساء والملوك على طمسه او تمويهه او اخفائه كلية ·

كان الوزراء يتوزعون على ثلاث كتل واضحة الحدود :

١ ـ الصمود والتصدي ·

٢ـ المحور السعودي ·

٣ ـ المحور الساداتي ·

كان العراق ، في البداية ، شبه معطل بحكم رئاسته للمؤتمر واللياقات المتوجبة على هذا الموقع · وكانت سوريا تعطي نفسها حق الكلام باسمه ، في بعض الحالات · لكنه سرعان ما تخفف من عبء الحرج في القمة ، خصوصا وان الرئيس البكر تولى رئاسة المؤتمر تاركا لصدام حسين رئاسة الوفد العراقي ، فاستطاع ان يظهر كفاءة ملحوظة في صياغة الاقتراحات المناسبة وتقديمها في الوقت المناسب بحيث لا يكون ثمة مجال لردها ·

وكان بلد مثل لبنان بلا دور ، بل هو كان بمأساته وجراحه النازفة هما يتجاوز بثقله قدرات المؤتمر المكافح من اجل حصر اضرار السادات في نطاق محدود وانقاذ ما يمكن انقاذه ·

في اي جو دارت المناقشات ؟ ·

كان مؤتمر الوزراء ، ثم القمة ، محكوما بهاجس « الحد الادنى » ·

لم يكن لدى احد اوهام بأن مثل هذه المؤتمرات يمكن ان تحقق انجازات تاريخية ··· وكان مفزعا ومفجعا ان يستمع المرء الى مناقشات بين مسؤولين عرب تتعامل مع الخيانة كوجهة نظر ، ومع الوطنية بوصفها تطرفا ومثالية وتهديدا للسلام العالمي ! ·

واذكى تقييم مثقف ومكثف لجو المناقشات كان ذلك الذي ادلى به مسؤول عربي « جديد على كار السياسة » ، كما يصر على وصف نفسه ، وهو يتلخص في نقطتين :

الاولى ـ ان المؤتمر كان فيه نقد ولم يكن فيه تأليف ·

وفي مجال الشرح قال هذا المسؤول العربي :

« ـ مع الاسف ، لقد تركنا السادات يبدو كشاعر · هو المبدع ، اما نحن فاكتفينا بموقع النقاد ومهمتهم ، فعكفنا على دراسة « ابداعه » وطفقنا نصف ونشرح ، نلوم

ونتحفظ ، لكننا لم نستطع ابدا انتزاع زمام المبادرة منه · هو المؤلف ، حتى هذه اللحظة ونحن النقاد ! » ·

الثانية ـ كاد المؤتمر ان يؤدي الى غرض مشابه للغرض الذي قصد اليه السادات بمبادرته ! ·

كيف ؟!

« ـ لقد كسر السادات بزيارته للقدس المحتلة حاجزا نفسيا مهما وخطيرا هو حاجز التعامل مع العدو · ونحن هنا ، بهذه المقررات الضعيفة ، كسرنا حاجزا نفسيا اخر ، مهما وخطيرا ايضا ، هو حاجز الخوف من عقوبة مثل هذه الفعلة !

« بعد اليوم سيقول اي متمثل بالسادات : حسنا ، وما هي اقصى عقوبة قد ينزلونها بي اذا تعاملت مع العدو الاسرائيلي ؟ ! انها لن تزيد بأي حال عن عقوبة السادات !

« لقد كسر السادات حاجز الجريمة ، وكسرنا نحن حاجز العقوبة !! » ·

ـ ٣ ـ

كانت القمة مهددة بأن لا تحقق حتى « الحد الادنى » الذي تحدث عنه الرئيس العراقي احمد حسن البكر في كلمة الافتتاح ، معلنا بلهجة امتزجت فيها المناشدة بالتهديد : ان ما نطلبه هو اقل بكثير مما نلزم انفسنا به في العراق ، ولكننا نقصد الى وقف التداعي بجمع كلمة العرب على ما يرتضونه متضامنين متكاتفين ·

واستمرت القمة معلقة المصير على حافة الفشل حتى جاءت « مبادرة السادات !! » ، ممثلة هذه المرة برفضه استقبال وفد القمة ، فوفر للمؤتمر ما كان يريده من شروط النجاح !

ولقد طرحت تساؤلات كثيرة حول هذا التصرف « الغبي » و « الانفعالي » و « العصبي » للسادات ، اذ انه كان قادرا ـ بقليل من الليونة ـ على نسف المؤتمر بتمييع اجوائه ( المائعة اصلا ) وتقوية جانب اهل « الصمت » و « اهل الاعتدال » بأن يقترح ـ مثلا ـ لقاء مع الملوك والرؤساء ، ليشرح لهم موقفه ، او بأن يطلب حضور وفد منهم ، او بأن يفعل ما كان البعض يخافه في بغداد : ان يركب الطائرة اليهم ليناقشهم !

لكن السادات حسم الامر حين رفض عرض المليارات المشروط بالتوبة ، فأسقط في يد « المعتدلين » و « الصامتين » و « المطالبين بتغليب الحكمة حفاظا على التضامن المقدس » ، واضطروا الى اقرار التوصيات المرفوعة من وزرائهم بعد مماحكة طويلة حول « النص المعتبر متشددا » ، وسلموا بضرورة فرض عقوبات على نظام السادات بعدما ربطوها بتوقيعه على معاهدة الصلح العتيدة ··· ووافقوا على دفع المطلوب من الاموال ·

وفي تفسير موقف السادات ، كان الرأي الاقرب الى العقل والمنطق : ان اسرائيل لا تقبل منه التردد حتى من باب المناورة · عليه ان يختار ويقرر مرة واحدة ونهائية بينها وبين العرب مجتمعين ، فاذا ما تردد انسحبت هي من كامب ديفيد مكتفية بما تحقق لها حتى هذه اللحظة ، وهو يفوق ما كانت تتصوره ، بل وتحلم به ·

ـ ٤ ـ

وتبقى مجموعة من الملاحظات السياسية على القمة تفسرها النتائج برغم انها مستوحاة من المقدمات ، كما من وقائع الجلسات ، ومعظمها قد نشر ٠

**الملاحظة الاولى :** ان جو الحرب ، ناهيك بالتحرير ، كان غائبا عن المؤتمر الذي حدد لنفسه ، عبر مقرراته ، هدفا متواضعا بالمقياس الشعبي هو « تحقيق الانسحاب الاسرائيلي من الاراضي العربية المحتلة بعد ١٩٦٧ » ٠

وصحيح ان هذه الفقرة ـ الهدف مقتبسة من مقررات قمة الرباط ، لكنها ما زالت كما كانت يومها تحمل المعاني القديمة ذاتها ٠

ثم ان قضية فلسطين واوضاع منظمة التحرير كانت افضل حالا بما لا يقاس العام ١٩٧٤ منها الان ٠ وكانت مقررات الرباط ، يومها ، تكريسا لحق المنظمة في تمثيل شعبها بغير شريك ، اي انها مثلت انتصارا سياسيا للمنظمة ، ومن ثم للقضية ، على المستوى العربي كما على المستوى الدولي ٠

اما في ظل الاوضاع الراهنة والتداعيات المنطقية لمبادرة السادات بدءا بزيارته للقدس المحتلة وانتهاء باتفاقات كامب ديفيد وما تتضمنه من خطط لاذابة قضية فلسطين وشعبها ( بالحكم الذاتي او بالتوطين او بربطه بعدد من الدول العربية اضافة الى اسرائيل ) ، فان القرارات الخاصة بفلسطين والصادرة عن قمة بغداد اتت « باهتة » و « سياسية » اكثر مما يجب ٠

**الملاحظة الثانية :** وهي استطرادية نوعا ما ، ان طبيعة التعاطي مع قضية فلسطين قد ادت الى اعادة الاردن وملكه الى الواجهة وزكته بأكثر مما يجب ٠

لقد كان الملك حسين ذكيا ، بلا شك ، وقام بمبادرة كان لها تأثيرها الطيب على اجواء المؤتمر حين اعلن استعداده لفتح صفحة جديدة مع منظمة التحرير الفلسطينية معترفا لها بحقوقها كما اقرتها قمة الرباط « بما في ذلك الحق باقامة الدولة المستقلة » ٠

وفي اي حال ، فان الملك حسين كان احد الرابحين على المستويين المادي والسياسي ٠

**الملاحظة الثالثة :** ان المؤتمر تحاشى اية اشارة بالسوء الى الدور الاميركي في المنطقة ، مع ان كامب ديفيد منطقة اميركية جغرافيا وسياسيا ٠

لقد اعلن المؤتمرون « عدم موافقتهم » على اتفاقات كامب ديفيد « ورفض نتائجها وما يترتب عليها من اثار سياسية واقتصادية وعسكرية وثقافية » ٠

ولكن كامب ديفيد ليست السادات وحده ، بل ان السادات كان ولا يزال الاضعف في كامب ديفيد ، و « عدم الموافقة » لا تعني الرفض ولا بالطبع الادانة ، بل هي بشكل ما تتضمن « تحييدا » للولايات المتحدة ومطالبتها بتحسين الشروط لتصبح الاتفاقات ممكنة القبول ٠

وصحيح ان المؤتمرين لم يجتمعوا لاعلان الحرب ، لا على اسرائيل ، ولا على الولايات المتحدة خاصة ، لكن الصحيح ايضا انهم لم يجتمعوا لاعلان القبول بالسلم الاميركي ، بل لم يكن امامهم اي عرض اميركي الا اتفاقات كامب ديفيد التي لم ترض حتى الملك حسين ٠

**الملاحظة الرابعة :** كانت سوريا في المؤتمر شديدة التأثير ، بارزة الدور والحضور : فهي آتية اليه من قمة الصمود والتصدي التي انعقدت فيها وتعززت بزيارة ناجحة للاتحاد السوفياتي ، ثم بالاتفاق العظيم الاثر مع العراق ، اضافة الى كونها خط المواجهة الاساسي مع العدو الاسرائيلي ٠

ثم ان الخيار مفتوح امام سوريا اذا لم يعطها المؤتمر ما تطلبه ٠ وقد اشار اليه خدام في مناقشات وزراء الخارجية اكثر من مرة ٠

اما العراق فقد انهى بنجاح كبير ، عصرا من الاعتكاف ، وعاد الى قلب الساحة السياسية العربية يلعب دوره المتوازي مع قدراته وامكاناته البشرية والمادية ٠

ولقد كانت وجوه العراقيين طافحة بالبشر حقا ، وعبروا عن ابتهاجهم بالمبالغة في الضيافة والاكرام الى حد ان العديد من التجار كانوا يرفضون تقاضي ثمن مشتريات بعض المشاركين في المؤتمر ، حتى وان كانوا صحافيين اجانب جاءوا بدوافع بحت مهنية ٠

على ان العراقيين الذين ارتاحوا الى نتائج القمة يهتمون اولا واخيرا بميثاق العمل القومي والخطوات التي ستليه على طريق الوحدة مع سوريا ٠

وهم ، مثل بقية العرب ، يعتبرون ان هذا التوجه هو وحده مصدر الامل ، اما القمة فمهمتها تحديد الاضرار بوقف التداعي ٠

ولقد نسي العراقيون دجلة والفرات وانطلقوا يتغنون ببردى ويتغزلون بدمشق ويتزاحمون بالمناكب لحجز المقاعد على الطائرات المسافرة اليها لتعويض ما فاتهم خلال سنوات القطيعة الطويلة ٠

٠٠٠ وحين اعاد التلفزيون العراقي عرض شريط تسجيلي لانتقال الجيش العراقي الى الجبهة السورية ، خلال حرب ١٩٧٣ ، بدت الحقيقة صريحة واضحة ناطقة : كان الشعب كله ، برجاله ونسائه واطفاله ، بالعجائز والعجز واقفا على الطريق يحيي ، يزغرد ، يغني ، يحورب ، يدعو بالنصر للجيش الذاهب نحو فلسطين ٠

والعراقيون ، مثل كل العرب ، يعرفون ان الطريق الصحيح هو ذاك الذاهب نحو فلسطين ، وكل ما عداه يؤدي الى واشنطن ، فتل ابيب ٠

**طلال سلمان**

# تقارير

## القمة التاسعة :

## البحث عن قاسم مشترك

الدعوة العراقية الى مؤتمر قمة عربي تاسع تطلبت جهدا حقيقيا من اجل تفسيرها ، وتحديد دوافعها المختلفة · ولقد غطت افتتاحيات الصحف العراقية هذا الجهد لفترة طويلة ، ما قبل المؤتمر · كما ان حركة القيادة العراقية خلال المؤتمر ، وعلى هامش جلساته ، كانت عملا يدخل في دائرة الوصول الى الدور الذي اراده العراق للمؤتمر ، والذي اساسه « الحد الادنى والقاسم المشترك » · صحيفة « الجمهورية » الصادرة في بغداد يوم ٢٥ تشرين الاول ( اكتوبر ) حددت المهمة الرئيسية المطروحة على جدول اعمال قمة بغداد بأنها « ادارة الصراع بين الامة العربية والكيان الصهيوني وحلفائه » · كما انها حددت اتجاه حركة العمل القومي للقيادة العراقية قائلة : « تبقى فرص التشاور والبحث في حلول القضايا الفرعية الاخرى ممكنة على هامش الاجتماع الاساسي للقمة · بل ان اجواء المؤتمر ستنعكس بروحها الايجابية على الاشقاء المتخاصمين لكي يقتربوا من بعض ويجدوا الحل المناسب الذي يوفر الدم العربي والجهد والوقت للمجابهة المصيرية مع الصهاينة الغزاة وحلفائهم الامبرياليين الاميركان » · كما ان سعد قاسم حمودي ، وزير الاعلام العراقي ، رأى ان انعقاد المؤتمر « كسب للجماهير العربية ذلك لان المخطط الامبريالي الصهيوني عمل على شن حرب نفسية شديدة ومكثفة من اجل زرع اليأس وعدم الثقة في نفوس الجماهير وزعزعة ثقتها بقدرتها على النصر » · ويضيف في مقابلة مع الكسندر الكسييف ، المراسل الخاص لوكالة انباء نوفوستي ، نشرت يوم ٥ تشرين الثاني ( نوفمبر ) « ان المؤتمر في تصورنا هو ساحة اختبار وفرصة اخيرة لمن يريد ان يؤكد استعداده للمساهمة والمشاركة في الجهد العربي المشترك ضد العدو الصهيوني وحليفته الامبريالية الاميركية » · وقال احمد اسكندر احمد ، وزير الاعلام السوري ، في مقابلة مع نوفوستي ، يوم ٤ تشرين الثاني ( اكتوبر ) انه « لا بد ان يسجل لحاضر هذه الامة ومستقبلها ان العرب جميعا كأمة يرفضون الاستسلام ، يرفضون الصفقات المنفردة التي اقدم عليها حاكم مصر مع العدو الصهيوني » ·

تدخل اذن الدعوة العراقية لمؤتمر قمة عربي تاسع يعقد في بغداد ، في دائرة الحد الادنى ، وفي حركة البحث عن القاسم المشترك للعمل القومي · وسعد قاسم حمودي ، في المقابلة مع نوفوستي ، يؤكد ان هذا « لا يتناقض مع استراتيجيتنا في العراق او استراتيجية القوى الثورية والتقدمية في الوطن العربي · فالحشد العربي الواسع بالحد الادنى هو دعم للجهد الاكثر فعالية والاقوى تأثيرا » ·

## الافتتاح والموقف العام

افتتح محمود رياض ، الامين العام لجامعة الدول العربية ، المؤتمر الساعة السادسة مساء بتوقيت بيروت · وطلب من الرئيس احمد حسن البكر تسلم رئاسة المؤتمر تلبية لرغبات رؤساء الدول الحاضرين · حضر الجلسة الافتتاحيةاحد عشر رئيس دولة عربية ، ومثل الدول الاحدى عشرة الاخرى موفدون ، تتراوح مراكزهم بين نائب رئيس وزراء او ولي عهد ( الامير فهد ) ، وسفير في دولة غير العراق ( محمد الميرغني ، سفير السودان في القاهرة ) · والرؤساء الذين حضروا ، اضافة الى احمد حسن البكر، هم : الياس سركيس ، رئيس جمهورية لبنان ، حافظ الاسد ، رئيس الجمهورية العربية السورية ، حسين بن طلال ، ملك الاردن ، مصطفى ولد سالك ، حاكم موريتانيا ، ياسر عرفات ، رئيس منظمة التحرير الفلسطينية ، جابر الاحمد ، امير دولة الكويت ، عيسى بن سلمان آل خليفة امير البحرين ، زايد بن سلطان آل نهيان ، رئيس دولة الامارات ، خليفة بن حمد آل ثاني ، امير قطر ، علي ناصر محمد ، رئيس مجلس الرئاسة في اليمن الديمقراطية ، كما مثل عبد العزيز بوتفليقة ، وزير خارجية الجزائر الرئيس هواري بومدين ، وناب عن العقيد معمر القذافي ، العميد ابو بكر يونس ، القائد العام للقوات الليبية المسلحة · وعلى هامش جلسات المؤتمر لاحظت صحيفة « الصندي تايمز » اللندنية ، الصادرة يوم ٥ تشرين الثاني ( اكتوبر ) مسألة مهمة ، وهي ان الحكومة العراقية ارادت ان تجاري الولايات المتحدة في تجربة مؤتمر كامب ديفيد لجهة احاطة مؤتمر القمة بسياج من الكتمان · والصحيفة تعتقد ان الحكومة العراقية نجحت الى حد كبير· ومن المؤكد ان المواقف المتباينة « وطبيعة الانظمة المشاركة » على حد قول سعد قاسم حمودي ، اسهمت في اللجوء الى هذا الاجراء حتى يمكن الاحاطة بكل التباينات ، وضبطها ، داخل الحد الادنى، والقاسم المشترك · وسيتضح ان تشكيل وفد المسعى الاخير لدى الرئيس السادات يدخل في سياسة المرونة الناجحة ، كما اسماها الرئيس البكر ، للبقاء على اساس للعمل القومي ، بعد ان اصرت السعودية ودولة الامارات والكويت على عدم اتخاذ اية اجراءات ضد مصر قبل بذل محاولة اخيرة لدى السادات · غير ان شروط الحد الادنى ، كأساس للعمل القومي في مؤتمر بغداد ، والتي عملت بموجبها القيادة العراقية ، اصطدمت بالاساس المادي والسياسي لاوضاع الانظمة العربية المشاركة · بحيث انعكس هذا الاساس على كل ايام المؤتمر ، مما حدا بوزير الاعلام العراقي ان يعقد مؤتمرا صحافيا مفاجئا ( السفير ، يوم ٤ تشرين الثاني « اكتوبر» ) ليعلن «ان بلاده تبذل قصارى جهودها من اجل منع حدوث انقسام في الامة العربية ··· لكن اذا اصبح هذا الانقسام حتميا فلا مانع لانه سيكون في مصلحة الامة العربية » · ولقد اتضح ، حسب رواية « السفير » « ان هناك اجماعا كاملا على ادانة اتفاق كامبديفيد· لكن تبقى الصياغة اللفظية لهذه الادانة » ويتضح المعنى الفعلي لرواية « السفير » ، اذا عدنا لكلام وزير الاعلام العراقي، عندما استطرد قائلا « ليس المهم ادانة اتفاقيات كامب ديفيد والعمل المنفرد من جانب النظام المصري ، بل وضع برنامج عمل يشتمل على اجراءات سياسية واقتصادية ضد الدولة المصرية » · كما ان كلام علي عبد السلام التريكي ، امين الشؤون الخارجية في الجماهيرية الليبية، يأتي في هذا المعنى ، حسب ما نقلت عنه « السفير » ايضا : « انه في حال عدم اتخاذ المؤتمر عقوبات ضد مصر فانه

سيتحول من مؤتمر قمة الى مؤتمر خيبة وسقوط » · ومع أن اساس الموقف العراقي الداعي لوضع برنامج عمل يشتمل على اجراءات ضد الدولة المصرية بقي محكوما في كلمة الرئيس البكر الافتتاحية ،لمعادلة الصراع القومي ضد العدو الصهيوني ، ولان « هذه الاتفاقيات بما تضمنته من نصوص وما تمخضت عنه من نتائج تختلف جذريا عن الاسس العامة التي حددها الاجماع العربي في مؤتمري القمة في الجزائر والرباط كهدف مرحلي للامة العربية ، بل انها فرطت بالحقوق التاريخية للامة العربية واوجدت ثغرة كبيرة في جدارها لصالح العدو الصهيوني وحلفائه » ، ومع ان اساس الموقف العراقي بقي ايضا محكوما لاعتقاد من نوع « ان من بين الاسباب التي دفعت حاكم مصر او غطى بها فعله لعقد تلك الاتفاقيات وضعه الاقتصادي الحرج » ، فان الموقف العام لمؤتمر القمة لم يقترب من نقطة العمل القومي المشترك بحيث تتجاوز الصياغة اللفظية الى وضع برنامج عمل شامل ، ولقد اوضح ابو بكر يونس جوهر المسألة ، في كلمته حسب ما اوردتها «وكالة الانباء الليبية » يوم ٥ تشرين الثاني ( نوفمبر ) : « ان حاكم مصر نتيجة للهزيمة استسلم للعدو بارادته المهزومة وانه اتخذ هذا الطريق بوعي وادراك كاملين ، ومن يعتقد غير هذا فهو واهم · فالنظام المصري منذ حرب اكتوبر وهو يسير وفق الاتجاه الاستسلامي » · واستطرادا ، لعرض الموقف العام الذي ساد مؤتمر القمة ، يمكن الاشارة الى كلمة الملك حسين ( الاخبار ، الصادرة في عمان ، يوم ٤ تشرين الثاني « نوفمبر » ) والتي تقترح برنامجا تغلب عليه الميكانيكية الآلية التي تتجاوز حركة الصراع العربي الاسرائيلي وانعكاساته المحلية والدولية · يقول الملك « لقد وضعنا امامكم برنامجا مقترحا للجهد العربي وبناء مؤسساته ·· ففي ورقة العمل الاردنية تلاحظون اننا نحدد غاية عامة ونحدد هدفا مباشرا · والغاية العامة هي تأمين وضمان الامن العربي ضد العدوان التوسعي الاسرائيلي كهدف اساسي اول وبعد ذلك العمل على انهاء الاحتلال الاسرائيلي للارض العربية » · والملك يكشف بنفسه الخلل في هذه المعادلة عندما « يبدي استغرابه لعجز الزعماء العرب الالتزام بما يتفقون عليه » · في الكلمة اياها ·

### هامش الخلافات يضيق ؟

في هامش مواز لحركة المؤتمرالرئيسية والساعية الى التوصل الى موقف الحد الادنى لعمل عربي مشترك ضد سياسة السادات ، كان للمؤتمر حركة اخرى لتسوية الخلافات السياسية بين اطرافه ·

وتروي جريدة « السفير يوم ١١/٦ ان « المصالحة العراقية الفلسطينية تكرست عمليا بزيارة قام بها عند الواحدة من فجر امس صدام حسين لياسر عرفات في داره بضاحية المنصور · وكان جميع اعضاء الوفد الفلسطيني هناك · واكد الجميع ان الجو كان ايجابيا للغاية وان القضايا التي اثيرت كانت من طبيعة استراتيجية · وقد حسم صدام حسين الخلاف الفلسطيني العراقي ، مؤكدا ان العراق قرر فتح صفحة جديدة وتجاوز الماضي تماما وضرورة اعتماد الصراحة المطلقة » ·

وبخصوص « المصالحة الاردنية الفلسطينية » تروي « النهار » يوم ٥ تشرين الثاني ( نوفمبر ) ، انه عندما تكلم الحسين في مطلع جلسة امس « وابدى موافقة بلاده على صدور قرار عن المؤتمر يثبت قرارات قمتي الجزائر والرباط ، اعرب عرفات عن شكره لموقف الاردن · وتدخل الرئيس العراقي بصفته رئيسا للمؤتمر فبارك الموقف الاردني الفلسطيني ووصفه بأنه موقف تاريخي للزعيمين

الاردني والفلسطيني ، فانفجر الموقف تصفيقا » · لكن ، حتى هذا الوقت ، لم يكن ابو عمار قد عقد اجتماعا رسميا مع الملك حسين كما صرح عبد المحسن ابو ميزر ، الناطق الرسمي باسم منظمة التحرير الفلسطينية · وتروي « السفير » يوم ٦ تشرين الثاني ( نوفمبر ) « انه ليل السبت بعد جلسة القمة دعا الملك حسين عرفات للعشاء الى مائدته ·وصحب عرفات كلا من خالد الفاهوم ، رئيس المجلس الوطني الفلسطيني ، وفاروق القدومي ، رئيس الدائرة السياسية في منظمة التحرير ، ثم انضم اليهم عبد المحسن ابو ميزر · وفي هذا اللقاء جرى نقاش صريح للعديد من الامور التي كانت تعقد العلاقات بين النظام الاردني ومنظمة التحرير · ونقلت « السفير » عن الملك ما مفاده « انا مع كل ما تطلبونه وتطالبون به كحقوق وطنية بما في ذلك الدولة المستقلة » · وتؤكد « السفير » ، انه قد اتفق في هذا اللقاء على ان يقوم وفد فلسطيني بزيارة رسمية للاردن لاجراء مباحثات تفصيلية · وفي اطار « المصالحة الاردنية الفلسطينية » يمكن الاشارة الى ما اوردته « السفير » يوم ٤ تشرين الثاني ( نوفمبر ) عن ان موضوعين تبلور فيهما البعد بين الموقف الفلسطيني والاردني : الزام الاردن تحديدا تنفيذ قرارات مؤتمر الرباط ، ومطالبة الاردن المشاركة في العلاقة مع ابناء الضفةالغربية وقطاع غزة · ولكن موقف المنظمة ، تستطرد « السفير » ، حاسم في هذا المجال ان كل علاقة مع شعبها في الارض المحتلة يجب ان يتم عبرها فقط · والغريب ان « السفير » عادت يوم ٦ تشرين الثاني ( نوفمبر ) واوردت انه « علم ان الاردن ومنظمة التحرير قد كلفا الاشراف على صندوق ( لدعم صمود الشعب الفلسطيني في الاراضي المحتلة ) » ·

وعلى هامش تسوية الخلافات ، اكدت صحيفة « البعث » الصادرة في دمشق يوم ٧ تشرين الثاني ( نوفمبر ) ، ان مؤتمر القمة اتخذ قرارا اجماعيا بالغاء القرارات التعسفية التي سبق لمجلس الجامعة العربية ان فرضها بحق اليمن الديمقراطية · وتؤكد « النهار » ( يوم ٦ تشرين الثاني « نوفمبر » ) الغاء القرارات المعادية لليمن الديمقراطية · وتؤكد ان القرار صدر في اعقاب لقاء تم بين الامير فهد ، ولي العهد في المملكة السعودية ، والرئيس علي ناصر محمد ·

## انتهى المؤتمر ··· ببيان ختامي

نسبت « النهار » ( يوم ٥ تشرين الثاني « نوفمبر » ) الى وزير خارجية عربي « ان ارسال الوفد ( المسعى الاخير لدى الرئيس السادات ) كان الوسيلة الوحيدة التي وجدها المؤتمر للخروج من الطريق المسدود الذي وصل اليه ··· اذ ظهر واضحا ان مسألتي الاجراءات في حق النظام المصري والصندوق القومي لا تزالان معلقتين » · ويعرب صدام حسين ( « السفير » ٦ تشرين الثاني « نوفمبر » ) عن التقدير نفسه : « ان موقف السادات من بعثة القمة قد تضمن نجاح المؤتمر الذي كان يتأرجح بين الفشل والنجاح بسبب استمرار كتلة كبيرة من المشاركين فيه على الاستمرار في المراهنة على النظام المصري » · اي ان نهج السادات بقي ملتبسا على كتلة كبيرة من المشاركين في مؤتمر بغداد )رغم انه يعمل في دائرة الحد الادنى ) لحين تمكن المؤتمر « تبسيط» الامر ، وتحويل نقطة التصادم بين الموقف القومي المعادي للعدو الصهيوني وبين نهج السادات ، الى نقطة تصادم بين ما هو « لائق من الرئيس السادات وغير لائق » · وهكذا ، كانت كلمة الامير فهد في الجلسة الختامية « بمثابة تأكيد على

النهج السعودي المتصلب الذي تلا رفض الرئيس المصري استقبال وفد القمة » ( «النهار» ٦ تشرين الثاني « نوفمبر » )·

وفي البيان الختامي ، خص المؤتمر العمل الفلسطيني بخمسة تأكيدات تتناول دعم المقاومة الفلسطينية ، ممثلة في منظمة التحرير بصفتها الممثل الشرعي الوحيد للفلسطينيين ، والحرص على وحدتها الوطنية ، وعدم التدخل في شؤونها الداخلية ، وعدم جواز انفراد اي طرف عربي بأي حل يتعلق بالقضية الفلسطينية الا بقرار من مؤتمر قمة عربي يعقد لهذا الغرض · وبخصوص الموقف من اتفاقات كامب ديفيد ، اعلن المؤتمر رفضه لكل الآثار السياسية والاقتصادية والقانونية المترتبة عليه · كما دعا البيان مصر الى العودة الى الحظيرة العربية · والرجوع عن اتفاقيتي كامب ديفيد · كما الح البيان الى اجراءات تتخذ في حال توقيعها لمعاهدة صلح مع اسرائيل · كما وعد البيان بتصحيح الاختلال الذي احدثه اتفاق كامب ديفيد في الميزان الاستراتيجي في المنطقة · كما ان البيان اعلن التزام العرب بالسعي للسلام العادل على اساس انسحاب اسرائيل من جميع الاراضي المحتلة في العام ١٩٦٧ · وقد تلا بيان القمة الختامي سعدون حمادي ، وزير خارجية العراق ، ثم القى بعض الضوء على ما اتفق عليه وقال ( « السفير » ٦ تشرين الثاني « نوفمبر » ) : « ان المؤتمر ناقش الموقف العربي فيما اذا وقع السادات في الاسابيع المقبلة على معاهدة مع العدو الصهيوني » · وقال « ان المؤتمر اتخذ قرارات محددة في ما اذا قام النظام المصري باقامة علاقات اقتصادية مع العدو الصهيوني » · وتكهنت « السفير » ان القرارات التي اتخذها المؤتمر تشمل « قطع المساعدات الاقتصادية عن الحكومة المصرية سواء ما تقرر منها في قمة الخرطوم او في مؤتمرات قمة لاحقة او ما تتضمنه اتفاقات ثنائية او ما يتم خارج نطاق قرارات او اتفاقات ، قطع العلاقات الدبلوماسية والسياسية مع مصر ، نقل مقر الجامعة العربية من القاهرة ، تطبيق احكام المقاطعة ضد اسرائيل على النظام المصري وعلى المؤسسات المصرية المتعاملة مع العدو · وفي ما يتعلق بدعم دول المواجة تكهنت « السفير » ان الرقم يتراوح بين ثلاثة وثلاثة مليارات ونصف تكون حصة سوريا منها نحو مليارى دولار وحصة الاردن نحو مليار ومنظمة التحرير الفلسطينية نحو مئة وخمسين مليون دولار ومائة مليون دولار لدعم صمود الشعب الفلسطيني في الاراضي المحتلة · الا ان « السفير » صححت ارقام الحصص في اليوم التالي ، ذكرتها على هذا الوجه : سوريا تنال ١٨٥٠ مليون دولار ، الاردن ١٢٥٠ مليون دولار ، ومنظمة التحرير الفلسطينية تنال ٣٠٠ مليون دولار ،اضافة الى ١٠٠ مليون دولار ترصد في صندوق لدعم ابناء الاراضي المحتلة ·

وفي كل الاحوال ، فان البيان الختامي الصادر عن مؤتمر القمة التاسع لن يكون الخاتمة في العمل العربي · ان حركة الصراع العربي الاسرائيلي ، الرسمية منها والشعبية ، ستبقى محكومة بمجمل تطور الاوضاع العربية السياسية والتنظيمية والاقتصادية · ومن الطبيعي ان تطور هذه الاوضاع سيضع مقررات مؤتمر القمة في تجربة من نوع التجارب التي مرت بها سياسات العمل القومي السابقة · وكما ان هذه الاوضاع تتعرض الان لبعض احتمالات الفرز والتغيير ، على المستويين القومي والوطني ، فان توقيع معاهدة صلح بين النظام المصري واسرائيل سيضع بعض العرب في مجابهة صعبة مع تحالف امبريالي صهيوني رجعي يعيد صياغة معادلة الصراع في المنطقة على اساس غير قومي · ويعمل لترتيب

الاوضاع العربيـــة على اساس مـــن الصراعات الاقليمية والعنصرية والطائفية ولن يكون امام القوميين الا الارتقـــاء بتحالفاتهم الاقليمية والدولية ، بما يمكنهم من مجابهة التحالف الامبريالي ٠

**ناشي طه**

---

# بـدو النقب بَـين مصَـادرة الأرُاضي و"الحـرس الأخضـر"

في بداية شهر نيسان من هذا العـام ١٩٧٨ ، شرعت السلطات الاسرائيليـة بمصادرة « ٢٦ الف دونـم مـن الارض التابعة لعشائر ابو قرينات والاعسـم والعزازمة الى الجنوب من طريق بئـر السبع ـ ديمونة لاقامة مصانع حربيـة عليها » ( معاريـف ، ١٩٧٨/٤/٢٠ ٠ وهآرتس ، ١٩٧٨/٥/٥ ) ، معتمدة فـي ذلك على قرار وزير المالية سمحا ارليخ ، الذي « نشر في الجريدة الرسمية فـي ١٩٧٨/١/٥ » ( الاتحـاد ، ٧٨/٥/١٩ ويديعوت احرونـوت ، ١٩٧٨/٥/٢٢ ) ، وذلك في مسلسل عمليات مصادرة اراضي النقب الشاسعة ، التي كانت ولا تـزال كغيرها من الاراضي الفلسـطينية المحتلة ، مثار جشع السلطات الاسرائيلية الـذي لا حد له منذ ٣٠ عاما ٠ مما حدا بمئات من البدو الفلسطينيين الى الزحف من كـل انحاء النقب ، في ١٩٧٨/٤/١٩ للتظاهر امام مبنى الكنيست الاسرائيلي احتجاجا على هذا الاجراء ، وهم يرفعون ويهتفون « شعارات متطرفة ـ كالتي تعودنـا ان نسمعها اثناء المظاهرات في المناطـق [ المحتلة منذ ١٩٦٧ ] ـ مثل : بالروح بالدم نحرر ارضنـا » ( معاريـف ، ١٩٧٨/٤/٢٠ ) ، ويصرخون في اتجـاه السيارات المتجهـة الى مبنـى الكنيست : « بيغن اذهب الى بيتك ٠٠ شارون اذهب الى بيتك ٠٠ لا ٠ لن نفرط ٠٠ لن نفـرط بالنقب » ( المصدر نفسه ) ٠

اما الدكتور يونس ابو ربيعة ، عضـو لجنة الدفاع عن اراضي النقب ، فقد صرح للصحفيين بان ذلك « ليس مجرد تفريـغ للشعور بالنقمة ، وانما لدينا مشكـلات عويصة جدا ، يتوجب على الحكومـة الاجابة عليها ٠٠ لنا دعاوى على نصف مليون دونم من الارض في النقب ، وهـو الجزء الذي نعيش عليه الآن ( المنطقـة المغلقة ) ، اما الجزء الاخر [٥ر١ مليون] فنحن نطالب بارجاعه لنا » ( المصـدر نفسه ) ٠ وأضاف ابو ربيعة بان «هـدف الحكومة واضح : انها تريد تركيزنا فـي قرى محددة كي تستطيع مصادر اراضينا وتصفية قطعاننا ، بينما نتحول نحن الى عمال نعمل في القرى اليهودية الزراعيـة وكيبوتسات النقب ٠٠ اننا منذ ستة اشهر ومعاناتنا تزداد وتزداد ، والمشاكـل تتكاثر ، فهناك حرس اخضر ، لا يرحـم البدو ويهدم البيوت وينكل بالمواشـي » ( المصدر نفسه ) ٠

اما مدير ادارة اراضي ـ اسرائيل ، فقد رد على شكاوى البدو ، بأن « هذه الارض ذات الـ ٢٦ الف دونم ، هي ارض

صخرية ولا تصلح للزراعة ٠٠ » ( المصدر نفسه ) ٠

وفي « صباح يوم ١٩٧٨/٥/١٧ ، وبينما كان الشيوخ البدو وسائر رجال عشائر ابو قرينات والاعسم والعزازمة في بئر السبع ، في اجتماع مع مندوبي لجنة الدفاع عن الاراضي العربية،المحامين حنا نقاره ومحمد ميعاري للمشاورة حول مسألة اراضي النقب المصادرة ، داهمت قوات الدورية الخضراء ، مدعومة باعداد كبيرة من قوات الامن ، بقيادة قائد المهمات التنفيذية للواء النقب ، الضابط عميرام لوسكي ، ومصحوبة بالمعدات والسيارات الكبيرة ٠٠ داهمت منازل عرب النقب من سكان هذه القبائل وهدمت ٤٥ بيتا بينها ٨ بيوت حجرية ، و ٣٧ براكية وخيمة ، ونهبت جميع محتوياتها بما فيها النقود وحلى النساء ، وقذفت بما ثقل حمله من الاثاث في مقبرة قريبة من المنطقة ٠ وخلفت وراءها مئات المواطنين ـ مشردين تحت قبة السماء » ( الاتحاد ، ١٩٧٨/٥/١٩ ) ٠ وعلى الفور « طيرت لجنة مشايخ عرب النقب برقية مستعجلة الى كل من رئيس الحكومة ورئيس الكنيست والكتل البرلمانية المختلفة ، اعربت فيها عن استنكارها الشديد للهدم والنهب الذي يؤدي الى تشريد المئات منهم ، ولقرارات نهب الاراضي ٠٠ وطالبتهم بالتدخل السريع لوضع حد لمثل هذه الاعمال ، وبتأييد عرب النقب في نضالهم من أجل حقوقهم في اراضيهم ، وباقامة لجنة تحقيق برلمانية لبحث الموضوع ، واتخاذ الاجراءات اللازمة لمعاقبةالمسؤولين عن ارتكاب الجريمة واعادة الاموال المنهوبة » ( المصدر نفسه ) ٠

كما عقد ممثلو عشائر البدو المهجرة بالقوة « مؤتمرا صحافيا في القدس في ١٩٧٨/٥/٢١ ، كشفوا فيه عن ان ٤٥ عائلة تشمل اكثر من ٤٠٠ نسمة ، ظلت بلا سقف في قلب الصحراء ، بعد انهدمت بيوتهم وخيامهم بالقوة ، وبالتهديد بالسلاح على ايدي رجال « الحرس الاخضر » ، وبالتعاون مع قوات الشرطة وقوات حرس الحدود » ( يديعوت احرونوت ، ١٩٧٨/٥/٢٢ ، ودافار ، ١٩٧٨/٥/٢٢ ) ٠ كما طالبوا « بوقف عمليات « الحرس الاخضر » في النقب لاخلاء البدو من اراضيهم الى الجنوب من بئر السبع ، واقامة لجنة تحقيق برلمانية لفحص قضية الاخلاء ، والتعويض على المبعدين عن الاضرار التي الحقت بهم في عملية الاخلاء هذه » ( المصدر نفسه )٠

ونتيجة لذلك فقد تقدم عضو الكنيست مئير تالمي ، ( مبام ) ، « باقتراح على جدول اعمال الكنيست عن مستقبل بدو النقب ، جرى النقاش حوله في ١٩٧٨/٥/٢٤ » ( هآرتس ، ١٩٧٨/٥/٢٥، والاتحاد ، ١٩٧٨/٥/٣٠ ) ٠ وفي كلمته التي القاها امام الكنيست « سرد النائب تالمي بعض وقائع هذه الجريمة كما سمعها من شهود عيان » ( المصدر نفسه ) ٠ وعن الجبهة الديموقراطية للسلام والمساواة تكلم النائب العربي حنا مويس الذي قال « ان هجمات السلطات البشعة على الجماهير العربية ، وسياسة الاضطهاد القومي تشتد يوما بعد يوم ٠٠٠ منذ شهور ورجال « الدورية الخضراء » ـ أي شرطة ملاحقة عرب النقب ـ يهددون حياة البدو الهادئة ٠٠ ففي ساعات الصباح الباكر يوم ١٩٧٨/٥/١٠ هاجموا ثمانية من الرعاة بالقرب من وادي سلمة، اعتقلوا اربعة منهم وابعدوا الآخرين ليأخذوا ١٢٠٠ رأس غنم كانت ترعى في المنطقة ٠٠٠ هذه هي حادثة واحدة من العشرات التي يقوم بها رجال الدورية الخضراء ، ٠٠٠ اننا نطالب بايقاف هذه السياسة التي ترمي الى اقتلاع العرب

البدو من اراضيهم ، ونطالب بتأليف لجنة برلمانية لبحث تصرفات رجال الدورية الخضراء » ( المصدر نفسه ) ٠

أما وزير الزراعة اريئيل شارون ، والمسؤول مباشرة عن عمليات « الدورية الخضراء » ، فقد قال في سياق رده : « لقد قدمت اسرائيل للبدو اكثر من أية دولة تقدم للاقليات التي تعيش داخل حدودها ٠٠ لا تصوروا البدو على انهم مساكين ٠٠ انهم يعيشون في رفاهية ٠٠ ليس البدو هم الذين يعرضون المشكلة وانما اولئك اليهود الذين لا يفهمونها ٠٠» ( المصدر نفسه) ٠ وطالب باسقاط الاقتراح عن جدول الاعمال ، وبالطبع فقد « اسقط الموضوع عن جدول الاعمال باغلبية يمينية » ( المصدر نفسه ) ٠

**شهادات ميدانية عن جرائم « الحرس الاخضر »**

جمع الصحافي مردخاي ارتسيئيلي ، مراسل صحيفة هآرتس ، ما يلي :

« القطعان التي كانت ترعى خارج مناطق البدو في هذه السنة القاحلة ، حملت على الشاحنات واعيدت ، وثمة الكثير من القصص الرهيبة عن عمليات الحرس الاخضر ، والتي لو كان نصفها صحيحا وحقيقيا ، تكفي لان تثير الرعب ٠ والفيلم الذي كان قد صور بشكل سري ، يظهر عمليات الحرس الاخضر هذه ـ قذف الخراف داخل الشاحنات وبينها جيف كثيرة لخراف وماعز ٠٠ من المستحسن ان لا يعرض هذا الفيلم ، تماما كما هو من المستحسن ان لا يدير البدو للدولة ظهورهم » ( هآرتس ، ١٩٧٨/٥/٥ ، موردخاي ارتسيئيلي ) ٠

□

**جمعة العتايقة ، من قبيلة العزازمة ومتطوع في الجيش الاسرائيلي :** « حصلت على اجازة من الجيش ، وجئت لزيارة عائلتي في المضارب ٠ وقبيل الساعة العاشرة صباحا ، رأيت العجاج الذي كانت تثيره السيارات خلفها يرتفع ، وعندما اقتربت ، رأيت ٦ سيارات جيب و ٣ شاحنات ٠ سيارتا جيب تابعتان للشرطة مليئتان برجال الشرطة ٠٠ سيارتا جيب تابعتان للحرس الاخضر وقد جلس الحرس في داخلها ، وفي سيارتي الجيب الاخريين كان يجلس رجال حرس الحدود ٠

نزل شرطيان من الجيب وتوجها نحوي٠ اخذا بندقيتي وجرداها من مخزنها ، ثم اخذاني واخي الاصغر وعمره ١٨ سنة ، وابعدانا عن الخيمة الى مسافة معينة ومنعانا من التحرك من مكاننا ٠ وفي الحال فرغت سيارات الجيب كلها ، واولئك الذين كانوا بداخلها انقضوا على الخيام وراحوا يقطعون حبالها ثم يجمعونها ويقذفونها داخل الشاحنات ، ثم اخذوا الفراش واللحف والطناجر وكل ما كان في الخيام وقذفوا بها هي الاخرى الى الشاحنات ، ومضوا ٠ لم نغادر المكان وبقينا نحرس خرافنا ، وفي الليل نمنا جميعنا في العراء ، على الارض وبدون غطاء ٠٠ جميعنا والاطفال الصغار ايضا ٠٠ لقد تطوعت للجيش ، وخدمت باخلاص كل هذه السنوات الست ، والان لا اعرف بأي وجه سأعود » ( هآرتس ، ١٩٧٨/٥/٢٦) ٠

□

**دخيل الله جمعة من قبيلة العزازمة ابن ٥٠ عاما تقريبا :** « انني اعيش على هذه الارض منذ ١٨ سنة ٠ قبل ذلك كنا نعيش في مكان آخر ولكن الجيش طلب منا ان ننتقل الى هذا المكان ٠ احضرت جرارا وحرثت الارض وهذه هي الاشجار

التي كنت قد غرستها · لقد جاء دافيد وشلومو ( من الحرس الاخضر ) برفقة رجال من الشرطة وهدموا كل خيامنا ، ثم هددونا بانهم سيعودون بعد ١٤ يوما ، واذا ما وجدونا لا نزال هنا ، فانهم سيرموننا في مكان لا يجدنا فيه احد » ( المصدر نفسه ) ·

□

حسان الرحامنة من قبيلة الاعسم : «« عندي زوجتان ، ٥ اولاد و ٤ بنات · في الامس كان عندي خيمة وفراش ولحف وبها حفظت كل ذهب الزوجتين · واليوم لا فراش عندي ولا لحف ، ولا حتى الذهب · بالامس كان عندي اكياس طحين وطناجر وشاي وسكر ، واليوم لا طحين عندي ولا شاي ولا سكر ، حتى اباريق الشاي اخذوها · لقد حملوا كل شيء بالشاحنة وذهبوا ·· الى اين ؟ الله وحده يعلم » ·

□

**سليمان حسن من قبيلة ابو فرينات :** « انظر اي كرم جميل لدي · انظر اية اشجار رائعة · اشجار تين ولوز ··وكان هنا كوخ نعيش فيه ، انا وزوجتي واطفالي الثلاثة · لقد هدمت الكوخ قبل اسبوع بنفسي لان الحاكم في المحكمة قال ان الكوخ بدون رخصة ويتوجب علي ان اهدمه ·· ولذلك فانني قد هدمت الكوخ وانتقلنا لكي نعيش في الخيمة ··· انني اعمل في معمل الفوسفات في اورون · كل يوم اخرج من البيت في الساعة الخامسة صباحا واعود في الخامسة مساء · وفي احد الايام ، عندما عدت من العمل ،نظرت فلم أر الخيمة ! فهرعت ، وعندما اقتربت رأيت زوجتي واطفالنا الثلاثة يجلسون وينتحبون · سألت : ماذا حدث ؟ اين بيتنا !؟ ردت : جاء الاشرار ، يهود بسيارات جيب ، واخذوا كل شيء · الى أين أخذوها ؟ لا ادري ·· ولكنني بنيت الكوخ من جديد » ( المصدر نفسه ) ·

□

**سلامه ابو جردود زنون من عشيرة السراحين المتفرعة عن قبيلة العزازمة :** « في احد الايام جاءت سيارة جيب وفيها شلومو من الحرس الاخضر · انه لم يتفوه بكلمة واحدة · لقد اطلق النار على الكلبين وقتلهما · سألته : لماذا تقتل كلابا مرخصة ؟ ولكن شلومو لم يجبني · ودخل الخيمة وراح يضع السكر والطحين في برميل ثم سكب عليها البنزين من الغالون واشعل النار فيها · وحين سألته لماذا يفعل ذلك ، اجابني : ممنوع عليك ان تسكن ·· لقد قلت ذلك عدة مرات ، ان تأخذ قطيعك وتذهب الى شجيب ( اسم مكان ) ، واذا ما جئت مرة ثانية ووجدتك هنا فانني سأجرك الى السجن » ( المصدر نفسه ) ·

□

**عبد عتيق سالم حرنيق ، زوجته عيدة ، وابنهما اسماعيل :** « في الصباح وصل شلومو من الحرس الاخضر في سيارته الجيب ـ لقد اصبحت اعرفه جيدا ـ · لقد امسك شلومو بابني اسماعيل وجره الى الجيب · قالت له زوجتي : هذا ولدي، الى أين تأخذه ؟ فرد شلومو : ارني بيتك وسأعيد الولد اليك · قالت له زوجتي : ليس لنا بيت ونحن رعاة ونعيش مع القطيع دائما · قال لها شلومو : اذا لم تخبريني اين بيتك فانني سأقتل الولد· قالت المرأة : خذ كل ما لدينا ، خذ القطيع وابق لي الولد ··· لقد اخذ شلومو الولد في الجيب وانطلق والمرأة تجري خلفهما· لقد ركضت اكثر من ٣ كيلو مترات ، الى ان عاد الجيب من حيث انطلق · فأخذ

شلومو قنبلة في يده وقذفها بين الخراف ·· ظننت انها ستموت كلها ، ولكنها لم تمت ، فقد اثارت القنبلة دخانا كثيفا ، وعندها اطلق شلومو طلقة واحدة ، فظنت زوجتي انهم قد قتلوا ابنها ·· لقد اصبحت كالمجنونة وراحت تعول وتولول· اما شلومو فقد انطلق بالجيب والولد معه ·· ولم يعد الا في المساء فقط ··· لقد كناطيلة النهار كالمجانين ·· ولكننا فرحنا ان ابننا كان لا يزال حيا ·· ولكنه ظل طيلة ذلك اليوم واليوم الذي تلاه يرقد في الفراش وهو يرتعد ويبكي ويتقيأ » ·

تقول الزوجة :

« لاول مرة في حياتي ارى الموت امامي ··لقد كان الولد في سيارة الجيب وقد ظننت انه قتل ولن اراه مرة ثانية ·· انني خائفة » ·

يقول الولد اسماعيل ابن التاسعة :

« لقد خفت كثيرا · لم اعرف ما الذي سيفعله بي شلومو · لقد اطلق النار بمحاذاة رأسي · ضحك وقال انني اذا ما اريته خيمتنا فانه سيعيدني ·· أقسمت له بالله انه ليس لنا خيمة ، واننا نعيش في العراء ليل نهار مع القطيع · كل الوقت الذي كنت فيه في سيارة الجيب مع شلومو ، لم اطلب منه لا ماء ولا غذاء ·

كنت خائفا ·· انني خائف الان ايضا » ( هارتس ، ١٩٧٨/٥/٢٦ · والاتحاد، ١٩٧٨/٥/٣٠ ) ·

وفي ١٩٧٨/٥/٢٢ ، وزع الكيبوتس القطري ـ هاشومير هاتسعير ـ القسم الفكري ـ السياسي كتابا بين الكيبوتسات التابعة له هذا نصه :

« الموضوع : علاقة الكيبوتاسات مع الحرس الاخضر » « في السنة الاخيرة تعمل فرق الحرس الاخضر ، وهي الوحدة التابعة لسلطة حفظ الطبيعة ووزارة الزراعة ، في مناطق البلاد المختلفة وخاصة في الجنوب » ·

« هدف الحرس الاخضر المعلن هو :

منع توغل غير قانوني لقطعان البدو في اراضي الدولة ومحميات الطبيعة والمناطق المزروعة » ·

« وكما هو معروف ، هذه القطعان تسبب اضرارا بالغة ولا بد من محاربة هذه الظاهرة المضرة » ·

« ومع ذلك ، فثمة شك كبير ، بأن الحرس الاخضر يشكل بالاضافة الى نشاطه هذا ، جيشا خاصا للوزير ارييل شارون ، الذي يعمل على تنفيذ سياسة سلب وحشية تجاه البدو ، وباستعمال كل الوسائل الهمجية وغير القانونية ، والارهاب والحاق الاذى الجسدي بالرعاة وقطعانهم » ·

« للمرة الاخيرة تبذل جهود من جانب الحرس الاخضر لتجنيد رجال متطوعينمن الكيبوتسات والقرى التعاونية ، وبواسطة اللجنة القطرية ، كي يعملوا مفتشين متطوعين في الحرس الاخضر ومشاركته عملياته التي يقوم بها · · · · · · · · · · · · · · · · · · اننا ندعو جميع الكيبوتسات للامتناع ، وبأي شكل من الاشكال التعاون والتطوع في الحرس الاخضر » ( معاريف ، ١٩٧٨/٦/١٥ ) ·

☐

ان قضية اراضي النقب ، ومحاولة السلطات الاسرائيلية لمصادرتها والاستيلاء عليها ، هي مشكلة قديمة جديدة ولا تزال قائمة منذ عام ١٩٤٨ ·

فمع احتلال النقب في نهاية عام ١٩٤٨ ، وسيطرة اسرائيل على حوالي ١٢٫٥٠٠ كم٢ من اراضي النقب ، وهي ما تساوي « ١٢٫٥٧٧٫٠٠٠ دونم من

الارض » ( اوراق عارف العارف ٠ المجلد الثامن ص ١٤١ ) ، عمدت سلطات الاحتلال الى تفريغه من قبائل البدو التي كانت تسكنه وتمتلك ارضه منذ أجيال عديدة بشتى الوسائل ، حتى انه لم يبق من سكانه الـ « ١٥٠ الفا الذين ينتمون الى سبع قبائل كبرى » ( المصدر نفسه ص ٦ ) قبل الاحتلال ، سوى « ١١٫٠٠٠ نسمة في عام ١٩٥٣ ، اكثر من ٩٠٪ منهم من ابناء قبيلة البتاها ، وبضع مئات من قبيلة العزازمة ، والقليل من قبيلة الترابين ٠٠ اما القبائل الاخرى فلم يبق منها سوى حفنة من الرجال من كل قبيلة » ( ع٠ ماركس، المجتمع البدوي في النقب ص ١٨ ) ٠ والمجموعة العشائرية الوحيدة التي « بقيت على ارضها بكاملها تقريبا ، هي مجموعة عشائر الظلام » ( المصدر نفسه)٠ ثم قامت هذه السلطات بتركيز جميع هؤلاء البدو الذين ظلوا داخل حدود النقب ، « في منطقة مغلقة خاضعة للحكم العسكري في طرف النقب الشمالي-الشرقي عام ١٩٥١ ٠٠٠ على مساحة من الارض تبلغ حوالي ١٠٠٠ كم ٢ ، اي حوالي ١٠٪ فقط من قطاعات النقب التي كانت ماهولة بالسكان البدو قبل الاحتلال٠ ولا يحق لاي شخص الدخول الى هذه المنطقة او الخروج منها الا بتصريح من الحكم العسكري » ( المصدر نفسه، ص ١٩ ـ ٢٠ ) ٠

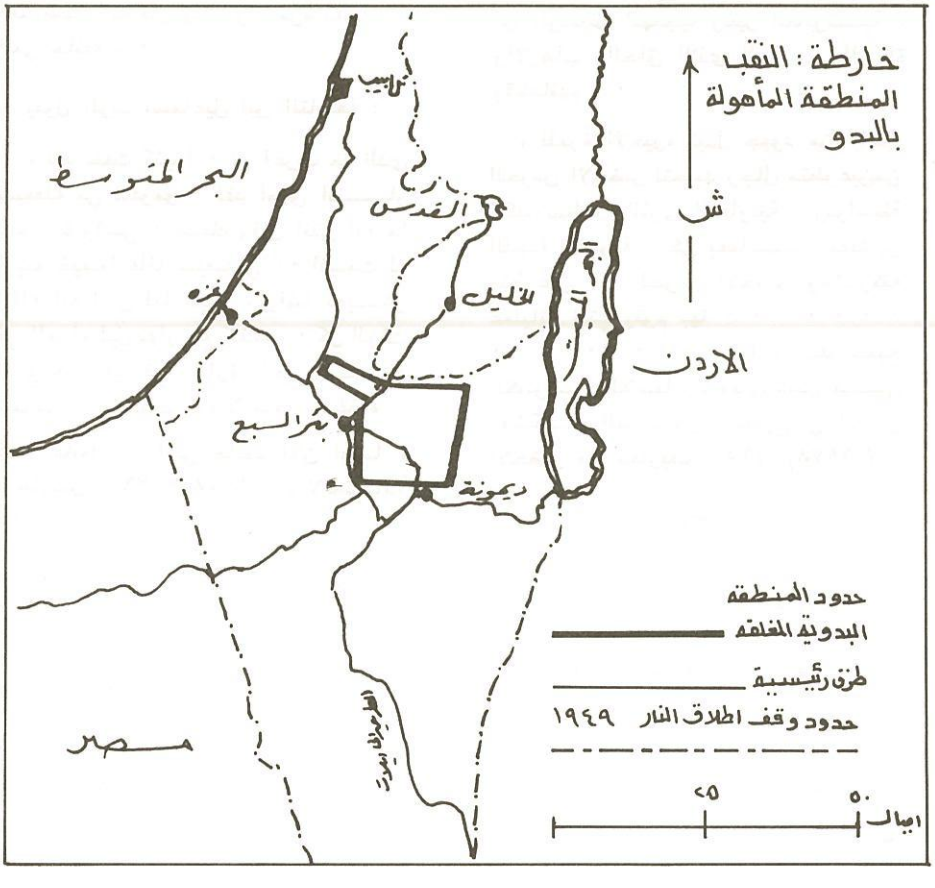

وقد كانت هذه المنطقة مأهولة في غالبيتها « بابناء العشائر الكبرى الثلاث المتفرعة من قبيلة الظلام وهي ابو ربيعة وابو قرينات وابو جويعد ، وعشائرالاعسم والاسد واجزاء من عشائر ابو رقيق والهزيل ، الذين لم يغادروا النقب بعد الاحتلال » ( المصدر نفسه ص ٣٧ ) · أما العشائر الاحدى عشرة المتبقية والتي نقلت الى المنطقة المغلقة ، فلم يسمح لها بالوصول الى الاراضي التي كانت تابعة لها ، الا أنها ظلت تأمل بالعودة اليها ، واعتبرت بقاءها في المنطقة المغلقة مؤقتا فقط » ( المصدر نفسه ) ·

وكانت السلطات قد منحت كل عائلة من هذه العشائر الاحدى عشرة ، قسائم ارض تبلغ مساحة كل قسيمة منها « حوالي ١٠٠ دونم » من الاراضي التي كانت تابعة لابناء عشائر المنطقة الذين غادروها اثناء الحرب وبعدها ، ففلحت كل عشيرة في هذه الاثناء الارض التي خصصت لها ، بينما اعتقد البعض من ابنائها ، بانهم سيقيمون في نفس المكان الذي خصص لهم، كتعويض عن أرضهم السابقة · الا ان السلطات « اصرت ابتداء من عام ١٩٥٥ على ان يوقع هؤلاء البدو على عقود ضمان سنوية بالنسبة للارض التي خصصت لهم للزراعة والمرعى » ( المصدر نفسه ص ٥٠) بحيث تضمن الارض « لتسعة اشهر فقط مع منعهم من زراعة الاشجار وبناء البيوت عليها ·· واكثر من ذلك فان الارض التي تضمن لاحد البدو لفترة معينة ، كانت تستبدل بأرض اخرى كانت قد ضمنت لبدوي آخر ، وذلك لمنع اي ارتباط بالارض وتثبيت فصلهم عنها » ( دافار ، ١٩٧٨/٣/٢٩ ) « لانتزاع اعتراف البدو بملكية الدولة على هذه الارض » ( ع· ماركس · المجتمع البدوي في النقب ص ١٨ ) · وقد حددت ادارة اراضي اسرائيل التي كانت « تطمح لتثبيت ملكية الدولة على اراضي النقب ، مبلغا رمزيا بقيمة ٥ قروش للدونم الزراعي ، و ٣ قروش لدونم المرعى » ( المصدر نفسه ) · الا ان البدو كانوا قد أدركوا ان السلطات انما تسعى بذلك الى « جرهم للاعتراف بملكية الدولة على الاراضي ، او لمنعهم من الحصول على حق الملكية على الاراضي الجديدة التي خصصت لهم ·· فراحوا لذلك يحاولون التهرب من التوقيع على هذه العقود » ( المصدر نفسه ) ·

ومع ذلك ، فقد نجحت السلطات بهذه الطريقة « بالاستيلاء على ٣٨٪ من الاراضي الصالحة للزراعة داخل المنطقة المغلقة ، والتي كانت قد قدرت بـ ٤٠٠ الف دونم فقط » ( المصدر نفسه ) ·

والقائمة التالية تبين ما كانت ادارة اراضي اسرائيل تستولي عليه في كل سنة ، ابتداء من عام ١٩٥٥ حتى نهاية عام ١٩٦٠ ، والتي اخذت معطياتها من « التقارير السنوية لادارة الاراضي في بئر السبع من عام ١٩٥٥ ـ ١٩٥٧ ، ومن تقرير مراقب الدولة لعام ١٩٥٩ ـ ١٩٦٠ عن تعويضات الجفاف » ( المصدر نفسه)·

| الموسم | ارض زراعية | ارض مراع | المجموع | الزيادة السنوية |
|---|---|---|---|---|
| ١٩٥٥ـ٦ | ٤٠٫٩٦٠ | ٣٦٫٥٨٠ | ٧٧٫٥٤٠ | ـ |
| ١٩٥٦ـ٧ | ٦٨٫٢٥٤ | ١٥٧٫٩٠٠ | ٢٢٦٫١٥٤ | ١٦٦٫٦١٤ |
| ١٩٥٧ـ٨ | ١٠٢٫١٢١ | ١٨٢٫٠٩٠ | ٢٨٤٫٢١١ | ٤٠٫٠٥٧ |
| ١٩٥٨ـ٩ | ١٤٩٫٥٩٤ | ١٩٣٫٠٨٥ | ٣٤٢٫٦٧٩ | ٥٨٫٤٦٨ |
| ١٩٥٩ـ٦٠ | ١٥٣٫٠٠٠ | ٢١٤٫٠٠٠ | ٣٦٧٫٠٠٠ | ٢٤٫٣٢١ |
| المجموع | ٥١٣٫٩٢٩ | ٧٨٣٫٦٥٥ | ١٫٢١٧٫٥٨٤ | ٢٨٩٫٤٦٠ |

وفي السنوات التالية ، « وسعت الدولة استيلاءها على اراضي المنطقة المغلقة » ( المصدر نفسه ) ، الا أن الزيادة السنوية كانت قد اخذت تتضاءل ، كلما نفدت امكانيات هذه الطريقة ، في سيطرة الدولة الاسرائيلية على الاراضي العربية ٠

ولذلك فقد وضعت وزارة الزراعة «خطة لتوطين البدو في مدينتي اللد والرملة عام عام ١٩٥٨ لاقتلاعهم من ارض النقب تماما والاستيلاء على جميع اراضيهم» ( هآرتس، ١٩٧٨/٥/٥ ) ، بحجة ان البدو « غير مؤهلين للعيش من الزراعة البعل وتربية المواشي فقط ، بسبب القحط الذي يشكل ظاهرة طبيعية بشكل مستمر » ( المصدر نفسه ) الا ان البدو رفضوا هذه الخطة رفضا باتا ، وقاوموها بكل الاشكال المتاحة لديهم ، وفي الاستفتاء الذي اجرته السلطات على هذه الخطة بين بدو النقب، اتضح ان « اقل من ١٪فقط كانوا على استعداد لاستبدال الصحراء القاحلة بالاسمنت والمدن » ( المصدر نفسه ) ٠

ومع موت هذه الخطة ، عمدت السلطات الى خلق مشروع جديد يتلخص في « تركيز البدو في ١٢ مدينة او قرية ، بحيث تحصل كل عائلة على ما يقاربنصف دونم من الارض فقط ، فتترك الزراعة ، وتصفي مع الوقت مواشيها السغبة للكلأ » ( المصدر نفسه ) ، الا ان هذا المشروع كان قد فشل هو الآخر ايضا ، بينما كانت عمليات مصادرة الاراضي لا تزال مستمرة في التصاعد ، شاملة مئات الالاف من الدونمات وفقا « لقوانين التطوير » ، كان من بينها « ٤٥ الف دونم من اراضي عشيرة ابو ربيعة فقط لاقامة مدينة عراد ٠٠ وفي الواقع فان كل مدن التطوير والقرى الزراعية اليهودية والكيبوتسات التي اقيمت في النقب بعد قيام الدولة كانت قد اقيمت على اراض مصادرة » ( المصدر نفسه ) ٠

وهكذا بدأ البدو يدركون في اواسط سنوات الستين ، ما الذي يحل بارضهم خارج المنطقة المغلقة ، مما جعلهم « يقفون في وجه هذه الاجراءات الهادفة الى سلبهم ارضهم » ( دافار ، ١٩٧٨/٣/٢٩ ) مما دعا السلطات الى البدء « بعملية تسوية اراضي النقب نظرا لدعاوى الارض التي اقامها البدو ، الا ان عملية التسوية هذه استمرت ببطء » ( المصدر نفسه ) ٠

وفي بداية عام ١٩٧٦ ، عرضت لجنة وزارية اقتراحا لتسوية مشكلة الاراضي التي تملكها عشائر البدو التي كانت اصلا في المنطقة المغلقة ٠ ووفقا لهذا الاقتراح فان « البدوي الذي يثبت ملكيته على الارض فان ٥٠٪ منها تصادر ، وعلى ٣٠٪ منها يأخذ تعويضات مالية وفقا لتقدير الثمن الحكومي ، بينما يبقى ٢٠٪ منها في يده ٠٠ وقد اوصت لجنة الاقتصاد التابعة للكنيست باعتماد اقتراح اللجنة الوزارية هذا ، الا ان البدو رفضوه » ( هآرتس ، ١٩٧٨/٥/٥ ) ٠ اما بالنسبة للبدو الذين كانوا قد هجروا من ارضهم الى المنطقة المغلقة عام ١٩٥١ ، ففي رأي الحكومة الاسرائيلية بان « ليس لهم اي حق قانوني في الارض التي يفلحونها داخل المنطقة المغلقة ، ومن المؤكد ان ليس لهم اي حق ايضا على الاراضي التي هجروا منها ، والتي تبلغ مساحتها ٥ر١ مليون دونم » ٠ ( دافار ، ١٩٧٨/٣/٢٩ ) ٠ أما بالنسبة للمساكن التي كان البدو قد اقاموها في هذه المنطقة ، فقد اصدرت المحاكم ابان حكومة المعراخ السابقة « حوالي ٣٠٠٠ قرار بالهدم لابنية غير قانونية وفقا لطلب وزارة الداخلية الا انها نادرا ما كانت تنفذ ٠٠ وقد شرعوا في تنفيذ هذه القرارات في الآونة الاخيرة فقط » ( دافار ، ١٩٧٨/٦/٢ ) ٠ ففي السنتين الاخيرتين ، ومنذ اعتلاء حكومة الليكود سدة الحكم في اسرائيل ، « نشأ وضع جديد في المنطقة»٠

فقد شرعت ادارة اراضي-اسرائيل التابعة لوزارة الزراعة ، « بالتضييق على حركة البدو داخل المنطقة المغلقة نفسها ، اذ رفضت تجديد عقود الضمان للاراضي التي كانت قد ضمنت لاولئك البدو خلال ٢٣ سنة تقريبا ٠٠٠ وبدأ موظفوها بقلب الاراضي المزروعة والتي كانت قد انبتت ، وهددوا برش اشجار الفواكه التي غرست خلال سنوات طويلة بالسموم وابادتها ٠٠ كما وراحت الادارة تمارس ضغطا رهيبا على البدو لتنفيذ اوامر الهدم للمباني المؤقتة التي اقاموها ، مستخدمة في ذلك فرق الحرس الاخضر ، التي اقامتها خصيصا لهذا الغرض ، والتي تهاجم قطعان الماشية المتجهة الى الشمال بحثا عن الكلأ وتنكل بها » ( دافار ، ٣/٢٩/ ١٩٧٨ ، وهآرتس ، ٥ ، ٦ ، ١٩٧٨/٥/٢٩، ودافار ، ١٩٧٨/٦/٢ ) ٠ مع العلم بأن عدد السكان البدو في هذه المنطقة ، قد اداد خلال الثلاثين عاما الماضية، ويبلغ الآن « ما يقارب ٤٠ الفا » اما بالنسبة لقطعان الماشية فانها قد ازدادت في « السنوات الخمس الاخيرة فقط من ٦٠ الف رأس الى ٢٥٠ الف » ( دافار ، ١٩٧٨/٣/٢٩ ، وهآرتس ، ١٩٧٨/٥/٥) ، وفقا للارقام التي قدمتها اللجنة الخاصة التي عينتها وزارة الزراعة « للبحث في مشاكل البدو في النقب » (المصدر نفسه)٠ تمشيا مع « مطالبة السلطات لبدو النقب ببيع غالبية المواشي » ( المصدر نفسه )٠

**توفيق فياض**

## المقاومة الفلسطينية

### الثورة الفلسطينية وقمة بغداد

بعد قمة الصمود الثالثة التي انعقدت في دمشق ، فور توقيع السادات على اتفاقات كامب ديفيد ، شكلت « جبهة الصمود والتصدي » المحور العربي الذي يرفض هذه الاتفاقات ، ويدعو الى مواجهتها عن طريق تحقيق توازن استراتيجي جديد تكون قاعدته سوريا ، بالتحالف مع الثورة الفلسطينية · وكان من توجهات قمة الصمود الترحيب بأي لقاء عربي يلتقي على خط جبهة الصمود باتجاه محاصرة نظام السادات ، وشل التأثير العملي لخطواته ، وقد كان توتر العلاقات بين دمشق وبغداد احد المعوقات الاساسية في التوجه نحو لقاء عربي اشمل يشكل دعما اقوى لسياسة جبهة الصمود ·ولكن اتصالات عراقية ـ سورية جرت خلال هذه الفترة ادت وبسرعة ملحوظة ، الى نسف علاقات التوتر السابقة بين البلدين، وقيام تنسيق قوي بينهما ، احدث ، ولا يزال ، تأثيرات واسعة على التطورات السياسية العربية ·

وعلى اثر جولة من تبادل المندوبين والرسائل بين الرئيس العراقي احمد حسن البكر والرئيس السوري حافظ الاسد ،اعلن في دمشق يوم ٢١ تشرين الاول ان الاسد سيقوم بزيارة الى بغداد خلال ايام ، وتلا ذلك ، فياليوم التالي ، الاعلان عن فتح الحدود البرية المغلقة بين سوريا والعراق · وصباح يوم ١٠/٢٤ بدأ الاسد زيارته للعاصمة العراقية ، واعلن بعد يومين من المباحثات الرسمية عن « ميثاق العمل القومي المشترك » بين البلدين ، الذي دفع العلاقات بينهما باتجاه التنسيق الوحدوي ، وسط جو من الدهشة من الاوساط السياسية العربية حول سرعة التحسن في العلاقات ·

وقد اشار « ميثاق العمل القومي » بوضوح الى أن هذا اللقاء بين دمشق وبغداد ، انما يتم بسببإتفاقات كامب ديفيد ، وبسبب « الاخطار الكبيرة التي تحدق بالامة العربية وبخاصة في المرحلة الراهنة من جانب التحالف الاستعماري ـ الصهيونيالذي ازداد خطورة وتفاقما بتوقيع الاتفاقيات الخيانية بين النظام المصري والعدو الصهيوني » ·

وتقرر في الميثاق انشاء هيئة سياسية عليا مشتركة بين البلدين ، تنبثق عنها ٤ لجان مركزية هي : لجنة الشؤون السياسية والاعلامية والثقافية ، ولجنة الشؤون الاقتصادية والتعاون الفني ، ولجنة التربية والتعليم العالي والبحث العلمي ، ولجنة التعاون العسكري التي تتولى « اعداد صيغة اتفاقية دفاع مشترك تكون ارضية لوحدة عسكرية كاملة بين القطرين » ·

وقد جعل هذا اللقاء ، والمستوى الذي تم فيه ، من الدعوة التي كانت بغداد قد وجهتها لعقد قمة عربية موسعة تبحث موقف نظام السادات ، دعوة اكثر جدية

مما لو كانت القمة ستعقد في ظل الخلاف السوري ـ العراقي القديم ، وساد تصور بأن القمة في ظل هذا اللقاء ستكون قمة ذات شأن ، وقد تخرج عنها مواقف جدية، سواء باتجاه التضامن العربي الشامل ، او بانفراط عقد هذا التضامن بين فريقي الصمود والصمت العربيين ·

وقد بدأ التمهيد للقمة العربية في بغداد باجتماع وزراء الخارجية العرب يوم ١٠/٣٠ ، حيث بدا ، من اللحظة الاولى للاجتماع ، وجود خلاف بارز بين اتجاهين: اتجاه يدعو لرفض اتفاقات كامب ديفيد وادانتها مع ضرورة فرض عقوبات على النظام المصري ، بعزله من الجامعة العربية ، ومقاطعته سياسيا واقتصاديا عملا بقرارات الجامعة العربية الصادرة في نيسان ١٩٥٠ والتي حددت هذه العقوبات ضد كل من ينفرد بعقد صلح مع العدو الاسرائيلي · اما الاتجاه الثاني، فكان يوافق على رفض اتفاقات كامب ديفيد من زاوية التحفظ ، واعتبارها ناقصة ، لا تلبي كل ما هو مطلوب فيما يتعلق بالحقوق الفلسطينية ، ولكنه يرفض فكرة عزل النظام المصري او فرض العقوبات عليه ·

وفي اطار هذين الاتجاهين كانت منظمة التحرير الفلسطينية من دعاة الاتجاه الاول ( مع العراق ودول جبهة الصمود )، وقدمت للمؤتمر ورقة عمل تسجل النقاط التالية :

ـ ضرورة التقيد بمطلب الانسحاب الاسرائيلي الشامل ·

ـ العمل لضمان الحقوق الثابتة للشعب الفلسطيني في العودة وتقرير المصير واقامة الدولة المستقلة على ترابه الوطني·

ـ رفض الحلول الجزئية والمنفردة مع اسرائيل ، وادانة النهج الاستسلامي الذي يتم عبر التحالف مع اميركا او عبر اتفاقيات كامب ديفيد ·

ـ دعم منظمة التحرير الفلسطينية باعتبارها الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني ·

ـ الانتقال من سياسة الدفاع الى سياسة الهجوم ، وذلك بفرض العزلة على نظام السادات ، وتأكيد مقررات الرباط والجزائر والالتزام بها وتنفيذها ·

وفي الكلمة التي القاها رئيس الوفد الفلسطيني الى المؤتمر ( فاروق القدومي ) جرى التأكيد على النقاط التي تضمنتها ورقة العمل ، كما جرى التأكيد على :

ـ الرفض القاطع لمقررات كامب ديفيد·

ـ ضرورة التصدي لاميركا ولسياسة الثلاثي كارتر ـ السادات ـ بيغن ·

ـ ضرورة تنسيق العلاقات بأفق التحالف مع الاتحاد السوفياتي ·

وقد اسفر هذا التصادم بين الاتجاهين الى وضع ورقة عمل تشكل حلا وسطا بينهما ، رفعت الى مؤتمر القمة العربي ، مع بعض النقاط المعلقة التي لم يمكن الاتفاق عليها من قبل وزراء الخارجية ·

وقد افتتح مؤتمر القمة اعماله يوم ٧٨/١١/٢ في ظل تأثيرات اللقاء السوري ـ العراقي ، وفي ظل بروز الخلاف العربي حول الموقف من اتفاقات كامب ديفيد بشكل حاد · والقى الرئيس البكر كلمة في حفل الافتتاح حدد فيها مستوى الحد الادنى من القرارات التي يمكن ان تشكل قاسما مشتركا بين الجميع، وابرز في كلمته : انه لا مجال للحياد او مواقف التسوية في قضية الموقف من اتفاقات كامب ديفيد ، وان ما فعله السادات خطير ولا يستقيم الامر الا بموقف منه ومن الحكومة المصرية ، واوضح ان الاصرار على سياسة كامب ديفيد لن

يوقف كفاح بعض الدول العربية ضد اسرائيل ، فان قرارات مؤتمري القمة في الجزائر والرباط هي التي تشكل الحد الادنى للتضامن العربي ،وان اتفاقات كامب ديفيد بعيدة عنها · واوضح ان العرب لا يستطيعون ان يقبلوا تفويض السادات لنفسه بتقرير المصير العربي – الاسرائيلي ، وحذر من ان عدم نجاح المؤتمر في الاتفاق على موقف الحد الادنى سيخلق ظروفا عربية اكثر صعوبة وتعقيدا ·

وقد انتهى المؤتمر من اعماله يوم ١١/٥ ببيان سياسي وبقرارات سرية مؤجلة التنفيذ ·

البيان السياسي خص القضية الفلسطينية بالتأكيدات التالية :

– دعم المقاومة الفلسطينية ممثلة بمنظمة التحرير بصفتها الممثل الشرعي الوحيد ·

– الحرص على الوحدة الوطنية الفلسطينية وعدم التدخل في شؤون المقاومة الداخلية ·

– عدم جواز انفراد اي طرف عربي باي حل للقضية الفلسطينية الا بقرار من مؤتمر قمة عربي يعقد لهذا الغرض ·

اما حول القضايا الاخرى فقد سجل البيان السياسي للمؤتمر :

– عدم قبول « اتفاقات كامب ديفيد » ، ورفض الاثار السياسية والاقتصادية والقانونية المترتبة عليها ·

– دعوة مصر للعودة الى الحظيرة العربية ، والتراجع عن اتفاقيتي كامب ديفيد ·

– السعي لتصحيح الاختلال الذي حدث في الميزان الاستراتيجي العربي نتيجة لانسحاب مصر من ميدان المواجهة مع اسرائيل ·

– اعلان التزام العرب بالسعي للسلام العادل على اساس انسحاب اسرائيل من جميع الاراضي المحتلة ·

وعلى صعيد القرارات السرية المؤجلة التنفيذ ، علم ان هذه القرارات تشمل :

– نقل مقر الجامعة العربية الى عاصمة عربية اخرى مع اقتراح بان يكون هذا النقل الى تونس ·

– قطع المساعدات الاقتصادية عن مصر وقطع العلاقات السياسية والقنصلية معها ·

– تطبيق احكام المقاطعة مع اسرائيل على الشركات والافراد الذين يتعاملون مع اسرائيل بعد توقيع الاتفاقات ·

وشملت هذه المقررات ايضا دعما ماليا لسوريا مقداره ( ١٨٥٠ ) مليون دولار ، وللاردن مقداره ( ١٢٥٠ ) مليون دولار ، ولمنظمة التحرير مقداره ( ١٥٠ ) مليون دولار ، و ( ١٠٠ ) مليون دولار لدعم الصمود في الضفة الغربية وقطاع غزة من خلال صندوق يشرف عليه الاردن ومنظمة التحرير بصورة مشتركة ·

## مصالحتان

كان هناك اجماع في مؤتمر القمة من قبل المراقبين والصحافيين الذين قاموا بتغطية احداث المؤتمر ، على ان منظمة التحرير كانت احد الاطراف الاساسية التي خرجت من المؤتمر بمكاسب قوية ، حيث حققت اربعة مكاسب هي :

١ – تجديد الثقة العربية بها ·

٢ – تعزيز قدراتها المالية ·

٣ – تحقيق المصالحة بينها وبين العراق ·

٤ – وضع اساس محدد للمصالحة بينها وبين الاردن ·

## المصالحة الفلسطينية ـ الاردنية

عقدت على هامش مؤتمر القمة لقاءات ثنائية عربية عديدة ، كان ابرزهـا لقـاء خماسي ضم : سوريا والاردن والعـراق والسعودية والكويت ، وجرى فيه بحـث امور عديدة كان من ضمنها موضـوع العلاقات بين الاردن ومنظمة التحريـر ·

وفي جلسة القمة التي عقدت يوم ١١/٤ فاجأ الملك حسين المؤتمر بكلمة دعا فيهـا الى فتح صفحة جديدة مع المقاومـة الفلسطينية ، ورد ياسر عرفات على كلمـة الملك مرحبا · وتلا ذلك في المساء اجتماع بين عرفات والملك حسين ، اعرب فيـه الملك حسين عن استعداد حكومته للدخول فيحوار مع المنظمة ولكن وفـق اسس تضمن الالتزام بما يتفق عليه وترك ما لا يتفق عليه جانبا ، وتم الاتفاق علـى احياء عمل اللجنة المشتركة بيـن الاردن ومنظمة التحرير ، وبان يقوم وفد فلسطيني بزيارة الاردن للدخول في مفاوضات ·· وكان الملك حريصا في اللقاء على ان يؤكد انه واثق بان لا مجال لتسوية راهنـة مع اسرائيل ، وان التسوية المعروضة هي خيانة وهو غير مستعد للدخول في خيانة وخاصة بالنسبة للقدس · ولوحظ ان الملك حسين كان حريصا في جلسات القمة على تأكيد هذه المواقف وابراز توجهه الايجابي تجاه منظمة التحرير ، فعندما اقترح بعض الرؤساء اثناء صياغة القرارات ،الاكتفاء بذكر الحقوق الفلسطينية دون تحديـد تفاصيلها كما هي واردة في المشـروع المعروض على القمة فان الملك حسين كان مبادرا للقول الى ان يوافق على المشروع وعلى ايراد الحقوق الفلسطينية بشكـل مفصل ومحدد ، وهو ما اعتبرته بعـض الاوساط تعبيرا عن السياسة الاردنيـة الراهنة التي تتجنب خوض معارك مبكرة حول التمثيل الفلسطيني ·

## المصالحة الفلسطينية ـ العراقية

تكرست المصالحـة الفلسطينيـة ـ العراقية في لقاءين : ثنائي تم حين زار صدام حسين نائب رئيس مجلس الثـورة العراقي ياسر عرفات في مقره ، وثلاثي ضم الاسد والبكر وعرفات بعـد انتهـاء اعمال المؤتمر ·

في الاجتماع الثنائي اكد صدام حسين على استعداد العراق لفتح صفحة جديدة من العلاقة مع منظمة التحرير ، مـع ضرورة اعتماد الصراحة المطلقة فـي التعامل بينالطرفين في المستقبل · كما ركز على ان تبذل المنظمة جهودها لكـي يتوطد اللقاء السوري ـ العراقي · واشار ايضا الى اهمية مساعدة المنظمة لسوريا حتى لا تتورط في الصـدام اللبنانـي الداخلي والذي يمكن ان يستنزف امكانات سوريا وحتى العراق لاحقا · وابدىصدام حسين اهتمامه بتصليب الجبهة الاردنيـة عسكريا واخطار عمل عسكري اسرائيلـي ضدها ، وترحيبه بالتفاهـم الاردني ـ الفلسطيني وضرورة قيام هذا التفاهـم على الصراحة وعدم توريط الاردن بمطالب لا يستطيع تلبيتها ·

اما فياللقاء الثلاثي ، فقد ركز الجانب الفلسطيني على الامور التالية :

١ ـ اهمية الميثاق السوري ـ العراقي فيالوصول الى نتائج القمـة العربيـة ، وحرص المنظمة على نجاح هـذا الميثاق ، والرغبة في ان تتطور علاقات المنظمة مع سوريا والعراق ، وايجاد صيغة مـن التنسيق السياسي والعسكري بين الاطراف الثلاثة ·

٢ ـ رغبة المنظمة في تصفية اثـار المرحلة الماضية من الخلافات مع العراق، ووقف الحملات الاعلامية ·

٣ ـ وعلى الصعيد السياسي فـان

المنظمة اذ تؤكد التزامها ببرنامجها المرحلي ، فان ذلك من وجهة نظرها هو خطوة للوصول الى كامل الحقوق التاريخية · وعلى هذا الاساس فان المنظمة لا ترى من مبرر لاستمرار الخلاف السياسي مع العراق حول الاهداف المرحلية وخاصة بعد اجماع كل فصائل المقاومة عليها ضمن البرنامج السياسي الذي اتفق عليه ·

٤ ـ والمنظمة بصفتها طرفا في جبهة الصمود ، ستحافظ من جانبها على هذه الجبهة ، وتأمل بعد توقيع الميثاق العراقي ـ السوري ان يمكن ذلك العراق من الانضمام الى تلك الجبهة ·

وقد اجاب الرئيس الاسد على بعض هذه النقاط ، عندما ركز في حديثه على ان اللقاء السوري ـ العراقي هو عمل وحدوي بين دولتين ، وان ذلك لا يمنع من استمرار جبهة الصمود التي تحرص عليها سوريا · الا ان موقع المنظمة في هذا اللقاء هو التنسيق والعلاقات الثنائية والثلاثية مع العراق وسوريا وليس الدخول طرفا في الميثاق ·

واما الرئيس البكر وصدام حسين فقد اعطيا اجوبة محددة على القضايا المطروحة وابرزها :

١ ـ ان العراق اذ يقيم علاقات خاصة مع افراد وجهات فلسطينية ، فانه سيأخذ بعين الاعتبار كذلك الوضع الجديد في اقامة علاقاته مع منظمة التحرير بصفتها الاطار الاوسع والعراق اتفق في مؤتمر القمة مع الاجماع العربي حول الحقوق الوطنية الفلسطينية والدولة المستقلة والتمثيل الوحيد لمنظمة التحرير ·

٢ ـ ان العراق يعطي جهده واهتمامه الاساسي حاليا لنجاح وتطوير العلاقات السورية ـ العراقية بافق وحدوي ، وان سوريا ومنظمة التحرير يمكن ان تستمرا في ارتباطهما مع جبهة الصمود التي لا يرى العراق في الظرف الراهن ضرورة لمشاركته فيها ·

٣ ـ ولا يرى العراق ضرورة لدخول المنظمة كطرف ثالث ضمن الميثاق السوري ـ العراقي ، بل يمكن ان تعقد في المستقبل لقاءات تنسيق وتشاور ثلاثية ، وتتواصل العلاقات بين المنظمة وكل من سوريا والعراق ·· باعتبار الميثاق هو عمل وحدوي لا يرتبط بالضرورة وفي كل جوانبه مع قضية فلسطين ·

وفور انتهاء مؤتمر القمة ، وانجاز هذه المصالحات ، عقد الاخ ياسر عرفات مؤتمرا صحافيا في بغداد (١١/٦ ) اعلن فيه ان نجاح مؤتمر القمة انما تم بسبب اللقاء السوري ـ العراقي ، وان هذا اللقاء هو تحالف استراتيجي يؤثر على ميزان القوى الاستراتيجي في المنطقة ، وان العمل الفدائي سيكون له مستقبل من التصعيد في ظل قرارات قمة بغداد · وذكر عرفات ان اللقاءات مع الملك حسين كانت مثمرة وايجابية وتلبي مصالح الشعبين الفلسطيني والاردني · واوضح ان العراق وسوريا والاردن يشكلون نواة استراتيجية قادرة على ملء الفراغ الناشيء عن انسحاب النظام المصري من ميدان المعركة وقال ان منظمة التحرير تعتبر نفسها استمرارا لميثاق العمل القومي بين العراق وسوريا ، وان اللقاء الفلسطيني العراقي كان من انجح جوانب قمة بغداد ·

## زيارة موسكو

قبل مؤتمر القمة مباشرة وبعد مؤتمر القمة مباشرة ، قام الاخ ياسر عرفات بنشاط سياسي مزدوج وفعال ·

قبل المؤتمر قام بزيارة للاتحاد السوفياتي على رأس وفد فلسطيني ، وبدأت

الزيارة يوم ١٠/٢٩ وانتهت يوم ١١/١ وتخللها لقاء مع اندريه غروميكو وزير الخارجية السوفياتي ، وصدر عنها بيان مشترك تضمن ادانة للخط الاستسلامي الذي سار عليه المسؤولون المصريون ، مع تأكيد ضرورة حشد جميع القوى العربية المعارضة لهذه السياسة ٠

## حجة القدس

وبعد المؤتمر ترأس عرفات بعثة الحج الفلسطينية ( ١١/٨ ) التي دعيت « حجة القدس من اجل النضال لتحريرها » ٠ وذكر عرفات في بيان رسمي انه : بعد تصريح بيغن بأن القدس عاصمة لاسرائيل ، وانه لن يرتفع عليها الا العلم الاسرائيلي ، وبعد ان باع السادات القدس بحفنة من رمال سيناء ، كان لا بد من مواجهة مؤامرة كامب ديفيد واطلاع كل المسلمين على ابعاد هذه المؤامرة ٠ وذكر البيان ان استنهاض همم المسلمين حول القدس وتحملهم مسؤولياتهم هو هدف اساسي من اهداف رفع شعار ( حجة القدس ) لهذا العام ٠ وختم البيان قائلا : « اننا سنرفع هذا الشعار في مكة المكرمة وعلى جبل عرفات »٠ وحين وصل عرفات الى مكة قال في مقابلة مع صحيفة البلاد : « انه مطلوب من جميع العرب والمسلمين ان يتنادوا للجهاد لتحرير القدس » ( ١١/٩) ٠

## زيارة ساوندرز

منذ توقيع اتفاقي كامب ديفيد ، وبدء محادثات بلير هاوس بين مصر واسرائيل لوضع الاتفاق في صيغته التنفيذية ، والولايات المتحدة تبذل جهدا خاصا في محاولة كسب تأييد الفلسطينيين للاتفاقات، بالاضافة الى محاولات كسب اطراف عربية لجانبه ٠

ويتولى هذه المهمة بشكل اساسي هارولد ساوندرز مساعد وزير الخارجية الاميركي لشؤون الشرق الاوسط ، الذي وصل الى عمان يوم ١٠/١٦ حاملا الردود الاميركية على الاسئلة الاردنية حول اتفاقي كامب ديفيد ، ومعلنا انه سيقابل عددا من المسؤولين العرب ليشرح لهم الاتفاقات ، وعددا من الفلسطينيين ليقنعهم بالمشاركة في الحكم الذاتي الذي تم الاتفاق عليه ٠

وقد استهل ساوندرز مهمته بالقول : لن نجرى حوارا مع منظمة التحرير الا اذا قبلت قرار مجلس الامن ٢٤٢ الذي يتضمن بالطبع حق اسرائيل بالوجود ٠ وقال : نحن نسهم اسهاما تاما في عملية السعي لاقامة هيئة فلسطينية تتمتع بالحكم الذاتي ، وهو امر يمكن ان نحققه في الاشهر القليلة المقبلة ، ونأمل ان نحققه بالاشتراك الكامل لممثلي الفلسطينيين ٠ واضاف : اذا تم تحقيق ذلك فقد نشهد مع حلول الربيع المقبل ظهور حكومة فلسطينية (!) لاول مرة في التاريخ وذلك ضمن اطار كامب ديفيد ٠٠٠ ونأمل ايضا ان يكون هناك اسهام اردني وفلسطيني في تطور الاحساس (!) بوجود كيان فلسطيني٠

وبعد اجتماع ساوندرز مع الملك حسين في عمان ذكرت مصادر اميركية ان ساوندرز سيجري اتصالات مع شخصيات فلسطينية ٠ وبعد اجتماعه مع الامير فهد في السعودية (١٠/١٨ ) قالت الصحف نقلا عن مصادر ساوندرز ان اقتراح الولايات المتحدة يتألف من عدد من الخطوات :

١ ـ بدء مفاوضات بين الاردن واسرائيل ومصر ٠ ويضم الوفد الاردني والمصري عددا من الفلسطينيين ، سواء من سكان الضفة والقطاع او من خارجهما لتحديد اسس اقامة الحكم الذاتي ٠

٢ ـ اجراء انتخابات تحت اشراف الامم المتحدة لمجلس تمثيلي يتولى السلطة في المنطقة ٠ وعلى الاثر تنسحب ادارة

الحكم العسكري وتبقى حاميات اسرائيلية في بعض المناطق ·

٣ ـ بعد ٣ سنوات تجري مفاوضات بين الادارة والسلطات الاسرائيلية تقرر الشكل النهائي للكيان الجديد ·

٤ ـ الادارة الفلسطينية تشكل قوة شرطة لحفظ الامن ·

وقد عاد ساوندرز من السعودية الى الضفة الغربية للاجتماع مع رؤساء البلديات ولكن اغلبيتهم رفضت اللقاء معه باستثناء ستة منهم يعرفون بمواقف « معتدلة » ، التقوا به يوم ١٠/٢١ ، وابلغوه رفضهم لاتفاق كامب ديفيد ، وحذروه من استبعاد منظمة التحرير الفلسطينية · وكان ساوندرز قد ابلغ التلفزيون الاردني قبل ذلك قوله : ان المطلوب الان ان يكون معنا شركاء من الفلسطينيين انفسهم في عملية المفاوضات، وانه من السخف الحديث عن تقرير المصير للفلسطينيين من دون ان يشارك الفلسطينيون انفسهم ·

وقد شهدت هذه الفترة نشاطا شعبيا مكثفا في الضفة الغربية وقطاع غزة تركز حول الاعلان عن رفض اتفاقات كامب ديفيد وما تدعو اليه من حكم ذاتي ، ويعلن التمسك بمنظمة التحرير الفلسطينية · وقد عقدت المقاومة الفلسطينية يوم ١٠/٢٦ في بيروت مؤتمرا شعبيا للتضامن مع جماهير الضفة وغزة حضره الاخ ياسر عرفات وعدد من قادة المقاومة والحركة الوطنية · وشن عرفات في المهرجان حملة عنيفة على اتفاقات كامب ديفيد ، وخرج عن المهرجان قرار يعلن التضامن مع مؤتمرات شعبنا في : بيت حانين ، رام الله ، القدس ، بيت لحم وغزة ·

وكان عرفات قد قال في مقابلة صحافية في اليوم نفسه : ان الاميركيين ما زالوا يحاولون اقناعي بتأييد اتفاق كامب ديفيد· ووصف الاتفاق بأنه اتفاق للعبودية وليس للسلام · واكد ان ما يريده الفلسطينيون ليس الحكم الذاتي بل حق تقرير المصير ·

وكانت معلومات صحافية قد ذكرت ( السفير اللبنانية ) ان عرفات تلقى رسالة اميركية عبر السعودية تحاول اقناع المنظمة بقبول الحكم الذاتي ، وان عرفات رفض مضمون المذكرة فورا · ولكن ناطقا فلسطينيا نفى نبأ المذكرة ( ١٠/٢٥) ·

## الوحدة الوطنية

اسفر حوار الوحدة الوطنية الذي بدأ منذ اشهر عن اتفاق المنظمات الفدائية على برنامج سياسي وتنظيمي موحد ، بحثه المجلس المركزي يوم ١٠/٢٨ ، واعلن موافقته عليه ، وقرر دعوة المجلس الوطني للاجتماع في النصف الثاني من شهر كانون الاول لمناقشة البرنامج والموافقة عليه · وقد حدد المشروع في المجال الفلسطيني ثمانية بنود ابرزها :

ـ التمسك بالحقوق الوطنية الثابتة وبمنظمة التحرير كممثل شرعي وحيد ، وبقرارات قمتي الرباط والجزائر ·

ـ التصميم الثابت على مواصلة وتصعيد الكفاح المسلح وكافة اشكال النضال السياسي والجماهيري ، ورفض جميع الاتفاقيات والتسويات التي لا تعترف او تنتقص من حقوق شعبنا ·

ـ رفض ومقاومة مشروع الحكم الذاتي، والتأكيد على وحدة شعبنا في الداخل والخارج ·

ـ التمسك بفلسطين وطنا تاريخيا لا بديل عنه للشعب الفلسطيني ، ومقاومة كافة مشاريع التوطين او الوطن البديل ·

واكد المشروع في المجال العربي على ثماني نقاط ابرزها :

ـ مواجهة اتفاقات كامب ديفيد بجهد عربي ، وتعزيز وتدعيم جبهة الصمود ·

ـ التمسك بوحدة وعروبة واستقلال لبنان ، واحترام سيادته والالتزام بالاتفاقات المعقودة معه ، وتمتين دور الشعب اللبناني وقواه الوطنية في دعم نضال الشعب الفلسطيني ·

ـ التأكيد على العلاقات الخاصة بين الشعبين الفلسطيني والاردني ، وان العلاقات مع النظام الاردني محكومة بموافقته على قرارات قمتي الرباط والجزائر ، وعلى رفضه لاتفاقات كامب ديفيد ·

ـ تمسك المنظمة بحقها في ممارسة مسؤولياتها النضالية عبر اية ارض عربية، وان مواقف المنظمة تجاه اي نظام تتحدد على ضوء موقفه من قرارات الرباط والجزائر ومن اتفاقات كامب ديفيد ·

واكد المشروع في المجال الدولي على خمس نقاط تدين السياسة الاميركية وتؤكد التحالف مع القوى الاشتراكية والاتحاد السوفياتي ودول عدم الانحياز والدول الاسلامية والافريقية الصديقة ، كما تؤكد التمسك بالانجازات التي تحققت للنضال الفلسطيني على الساحة الدولية ··· وهي الانجازات التي تجسدت في قرارات الامم المتحدة منذ العام ١٩٧٤ حتى اليوم ، وخاصة القراران رقم ٣٢٣٦ و ٣٢٣٧ ، وتؤكد حق منظمة التحرير بالاشتراك في جميع الاجتماعات والمؤتمرات التي تبحث قضية فلسطين على هذه الاسس ·

اما النقاط التنظيمية في المشروع فهي شبه غائبة ، وتقتصر على تأكيد استمرار العلاقات الجبهوية بشكل امتن ، ومشاركة كافة المنظمات في المجلس المركزي ، وعودة الجبهة الشعبية للمشاركة في اللجنة التنفيذية للمنظمة ·

**العلاقات اللبنانية ـ الفلسطينية**

مرت العلاقات اللبنانية ـ الفلسطينية ، بشكل مباشر او غير مباشر ، بثلاثة محاور : مؤتمر بيت الدين ، والاتصالات الفلسطينية ـ اللبنانية الرسمية ، والاتصالات الرسمية وغير الرسمية مع « الجبهة اللبنانية » وبعض الاطراف المسيحية الاخرى ·

عقد مؤتمر بيت الدين (١٥/١٠) بعد قتال عنيف قامت به قوات الردع العربية ضد مليشيات « الجبهة اللبنانية » ، وبعد جولة عربية للرئيس الياس سركيس شملت دمشق والسعودية وبعض امارات الخليج ، وكذلك بعد موقف ادانة حازم ضد سياسة كميل شمعون اعلنته فرنسا وايدتها فيه كل من واشنطن ولندن · ووصلت هذه الحملة الى حد ان يقول لوي دي غرينغو وزير الخارجية الفرنسي : ان المسيحيين اللبنانيين يدفعون ثمن حرب شمعون الصليبية الحمقاء ، وان فرنسا مستعدة للمساعدة اذا تخلت المليشيات عن حلم التقسيم الانتحاري · وقد خرج مؤتمر بيت الدين بقرارات قوية لصالح الشرعية اللبنانية وقوات الردع العربية ، وتمثلت علاقة منظمة التحرير بالقضايا التالية :

ـ انه دعا الى انهاء المظاهر المسلحة وجمع السلاح ، انطلاقا من التطبيق الدقيق والكامل لمقررات الرياض والقاهرة المتعلقة بلبنان ·

٢ ـ انه دعا الى تطبيق القانون ضد الذين يتعاملون مع العدو الاسرائيلي ، وادانة كل اشكال هذا التعامل ، وذلك في اشارة واضحة لاتصالات شمعون ومليشيات الجنوب مع اسرائيل · اما على صعيد الصلة المباشرة للفلسطينيين بالمؤتمر ، فقد اقتصرت على لقاء واحد بين سعود الفيصل وزير الخارجية السعودي وفاروق القدومي رئيس الدائرة

السياسية في المنظمة بحث فيه ضمان استعداد المنظمة للالتزام بالاتفاقات التي سيؤكدها المؤتمر ٠

اما الاتصالات الرسمية بين المنظمة والسلطة اللبنانية فكان ابرزها اللقاء الذي تم بين الرئيس سركيس وصلاح خلف ( ابو اياد ) يوم ١٠/٢٥ ، وعبر بعده ابو اياد عن الارتياح لهذا اللقاء ، وادلى بعد ذلك بعدة تصريحات باتجاه ضرورة دعم الرئيس سركيس في مهماته المقبلة ٠

اما الاتصالات مع القوى اللبنانية غير الرسمية فأخذت منحيين : اتصالات قام بها ابو اياد مع بعض اطراف « الجبهة اللبنانية » ومع امين الجميل بالذات ، باعتباره الطرف الذي اعلن رفضه لاتصالات الجبهة مع اسرائيل ، واتصالات اخرى قام بها شخصان هما وليد الخالدي وحسيب صباغ مع كل من كميل شمعون وبيار الجميل وسليمان فرنجية ورشيد كرامي وسليم الحص رئيس الحكومة ٠

حول الاتصال مع امين الجميل قال ابو اياد في حديث مع صحيفة الموندي مورننغ (١٠/٢٩) ان اصدقاء مشتركين قاموا بترتيب هذا اللقاء ، وانه في مصلحتنا كفلسطينيين ان تكون لنا علاقات جيدة مع المسيحيين ٠ واكد ابو اياد ان امين الجميل صوت يجب ان يسمع ، كما اكد « لا استطيع ان اقابل اي شخص يتعاون مع اسرائيل ٠٠٠ ان اي شخص يود ان يتعاون لا يحتاج الا الى قطع علاقاته مع اسرائيل » ٠

اما اتصال خالدي ـ صباغ مع شمعون والجميل ، والذي تم يوم ١١/١٠ ، فقد اثار ضجة فلسطينية ولبنانية عبرت عن نفسها ببيانات وتصريحات عديدة ضد هذا اللقاء ٠ وذكر ابو اياد في مؤتمر صحافي (١٠/١٢) : وضعنا ثلاثة قواعد اساسية لاي لقاء مع « الجبهة اللبنانية » :

١ ـ لن نحاور اي طرف يتعامل مع اسرائيل ٠

٢ ـ اي حل لبناني لا يمكن ان يكون الا بمعرفة الشرعية اللبنانية وسوريا ٠

٣ ـ الاولوية للقاء اللبناني ـ اللبناني في ظل الشرعية ، وبعدها يكون اللقاء اللبناني ـ الفلسطيني ٠

وذكر ابو اياد ان خالدي وصباغ ليس لهما اي صفة رسمية في منظمة التحرير ، وليس للمنظمة اي علاقة بمقابلاتهما ٠ وذكر ان الزيارة شخصية وانه كان وحده على علم بها ٠ وتساءل عن الهدف من تكبيرها من قبل وسائل الاعلام ٠ ودعا المسيحيين في نهاية المؤتمر الى القتال مع الفلسطينيين ضد التوطين ٠

**بلال الحسن**

---

## إسرائيليات

### الموقف الاسرائيلي في المفاوضات الاسرائيلية ـ المصرية في واشنطن

لم تسفر المحادثات السياسية في واشنطن ، بين الوفدين الاسرائيلي والمصري ، عن التوصل الى اتفاق حول جميع القضايا المطروحة حتى الآن ، رغم الجهود التي تبذلها الادارة الاميركية ، خاصة الرئيس كارتر ، في تضييق شقة

الخلاف بين المفاوضين · ويبدو انه لا تزال هناك مسائل عديدة معلقة في جميع المجالات ، السياسية والعسكرية والاقتصادية ، يتطلب اقرارها مزيدا من البحث والتنازلات ، خاصة في الجانب الاسرائيلي · وابرز ما يمكن ملاحظته ، من خلال ما نشر حتى الآن حول هذه المفاوضات في اسرائيل ، هو « ثبات » ؟ الموقف الاسرائيلي · فأسرائيل لديها هدف واضح تريد تحقيقه ، وهو الوصول الى معاهدة سلام منفصلة مع مصر ، دون اي ربط بالوضع المستقبلي للاراضي المحتلة الاخرى سواء في الضفة الغربية وقطاع غزة ، او في الجولان · وقد استطاعت اسرائيل تحقيق ذلك في كامب ديفيد ، من خلال عدم الربط بين اتفاقي الاطار حول سيناء والضفة الغربية وقطاع غزة · وهي تفاوض الان من اجل تنفيذه عمليا، وموقفها متصلب وواضح ·

## القضايا المعلقة

يمكن القول ان محادثات واشنطن مرت حتى الآن فيمرحلتين اساسيتين : الاولى، مرحلة التفاوض المنفرد ، حيث اقدم الطرفان على طرح المطالب المختلفة لديهما· وقد ظهر في هذه المرحلة مدى الاختلاف والتناقض في هذه المطالب · ثم المرحلة الثانية ، وهي مرحلة المشاركة الاميركية المباشرة فيالمفاوضات عبر طرح الافكار والحلول · وتتميز هذه المرحلة بأزدياد التصلب الاسرائيلي ، خاصة لجهة الموضوع الاساسي المختلف عليه ، وهو قضية ربط معاهدة السلام بين مصر واسرائيل ، بمستقبل المفاوضات حول الضفة الغربية وقطاع غزة · وكان الوفد المصري قد تقدم بهذا الطلب في المرحلة الاولى من المفاوضات ، حيث اعلن رؤساء الوفد ، انهم يهدفون من ورائه الى « خلق تعهد اسرائيلي جديد حول مسألة الضفة ، حيث سيساعدهم هذا في وضعهم الحساس فيالعالم العربي ، بعد اتفاقات كامب ديفيد · واشار المصريون ايضا ، الى انه يجب على اسرائيل ان تدرك ، ان مصر لا تستطيع الا الاستمرار في العيش في العالم العربي كجزء غير منفصل عنه ··· [ وان موافقة اسرائيل على الربط ] يمكن ان تلين من معارضة الملك حسين والملك خالد للاتفاق ، وربما تدفع بالملك حسين الى مائدة المفاوضات حول مستقبل الضفة » ( ايلان كفير، يديعوت احرونوت، ٧٨/١٠/٢٠ ) ·

الا ان هذا الطلب قد جوبه بمعارضة شديدة من الجانب الاسرائيلي ، الذي اعتبره تجاوزا لما اتفق عليه في كامب ديفيد · وقد اعلن رئيس الوفد الاسرائيلي ووزير الخارجية موشي دايان ، صراحة ، ان اسرائيل « غير مستعدة ابدا للموافقة على صيغة اتفاقات يفهم منها ، ان هناك علاقة متبادلة بين مصر والضفة الغربية وقطاع غزة » ( يوسف حاريف ، معاريف ، ٧٨/٢٠/٢٧ ) ·

وقد دعم المصريون طلبهم هذا بطلب آخر تقدموا به ، بعد ان جوبهوا بحدة المعارضة الاسرائيلية ، ويتمثل الطلب الثاني في « اعادة النظر في البنود المتعلقة » بالعلاقات الطبيعية « في معاهدة السلام بين مصر واسرائيل ، بعد توقيعها بخمس سنوات · ولم يطالب المصريون بأعادة النظر في كل بنود المعاهدة ، وانما اقتصر طلبهم على تلك البنود المتعلقة بالعلاقات الطبيعية » ( يديعوت احرونوت، ٧٨/١٠/٢٠ ) · وبالطبع رفض الاسرائيليون هذا الطلب ايضا جملة وتفصيلا ، حيث اقترح دايان على اثره ، اتباع احد الاسلوبين البديلين في المفاوضات : « اما ان يسحب المصريون طلبهم هذا ، المتعلق بتغيير الاساس الذي تدور حوله المفاوضات ، او صياغة

اساس جديد · اي : تغيير اتفاق الاطار الذي تم التوصل اليه في كامب ديفيد » ( المصدر نفسه ) · وقد فسرت وسائل الاعلام في اسرائيل طلب مصر هذا ، على انه محاولة منها ، للبرهنة للعالم العربي بأنها لا توقع اتفاقا منفردا مع اسرائيل ، « وانه في الوقت الذي توقع فيه اتفاق السلام ، فأنها لن تهمل او تخون القضية العربية ـ الفلسطينية » ( رون بن ـ يشاي ، يديعوت احرونوت ، ٧٨/١٠/٢٢ ) · غير ان مصر تراجعت عن هذا الطلب كليا بعد ان عارضته الولايات المتحدة ايضا ·

اضافة الى قضية « الربط » ، هناك عدة مسائل اخرى ، لا تزال موضع خلاف في المفاوضات بين الطرفين · واولى هذه المسائل واهمها ، هو الخلاف الاساسي حول النظرة الى السلام لدى الطرفين · « فاسرائيل تنظر الى السلام المتوقع مع مصر كسلام مطلق وكامل ، مع علاقات دبلوماسية كاملة بين البلدين : سفارات في القاهرة والقدس ، حدود مفتوحة ، علاقات تجارية ، اقتصادية وسياحية ، ومشاريع تكنولوجية مشتركة · وبحسب الخطة ، يبدأ الانسحاب الاسرائيلي على مراحل من سيناء ، وبعد مرور تسعة اشهر يتم اقامة علاقات دبلوماسية كاملة بين البلدين » ( المصدر نفسه ) · اما نظرة مصر فمختلفة تماما · فالمصريون ـ حسب قول المصادر الاسرائيلية ـ يؤكدون في احاديثهم ، ان الاتفاق المصري ـ الاسرائيلي ، يجب ان يكون الخطوة الاولى في الطريق الى سلام شامل في المنطقة · وحسب ادعائهم ، يجب ان يكون هذا الاتفاق ايضا ، بمثابة نموذج لجميع الاتفاقات السياسية في المستقبل · وقد عقب مصدر اسرائيلي على هذا الموقف بقوله ، ان مصر « تلقى صعوبة في الحسم بين تدخلها في مجرى السلام ، وبين التزامها نحو العالم العربي ، الذي ترفض الانفصال عنه · وموقف دايان تجاه هذا الخط المصري ، هو انه لا يمكن ان تكون الاجوبة التي تريد مصر تقديمها للعالم العربي ، على حساب اسرائيل » ( المصدر نفسه ) ·

اضافة الى هاتية المسألتين ـ مسألة الربط ، ومسألة النظرة الى معاهدة السلام ـ فأن هناك عدة قضايا اخرى موضع نقاش ، وابرزها :

١ ـ تطالب اسرائيل بأن تكون لمعاهدة السلام المبرمة بينها وبين مصر ، الافضلية على جميع معاهدات مصر المبرمة سابقا مع بلدان اخرى · وقد فسر دايان هذا الطلب بقوله : « ان المصريين مرتبطون بمعاهدات كثيرة مع دول عربية اخرى لذلك ثمة تناقض بين اتفاقنا مع مصر وبين اتفاقاتها مع تلك الدول ·· ولذلك يجب ان يكون لاتفاقنا الافضلية على جميع الاتفاقات الاخرى » ( معاريف ، ٧٨/١٠/٢٦ ) · وقد علم في البداية ان المصريين وافقوا كليا على هذا الطلب ، الا ان المصادر الاسرائيلية ذكرت بعد ذلك، انه حدث تراجع من جانبهم ، « بسبب مؤتمر بغداد ورغبة مصر في عدم الانفصال النهائي عن العالم العربي » ( رأ ، ٧٨/١١/٩ ) ·

٢ ـ يعارض المصريون طلب اسرائيل اعتبار قناة السويس ممرا مائيا دوليا · « ورغم التزامهم في كامب ديفيد بمنح حرية العبور للسفن الاسرائيلية في القناة، الا انهم يعارضون تحديدها كممر مائي دولي ( حسب معاهدة القسطنطينية لسنة ١٨٨٨ ) ، لان ذلك سيمكن اسرائيل ، من نقل قطع حربية في القناة [ زوارق حربية وما شابه ] ، فحسب الاتفاقية ، لا حاجة لها بأذن للعبور » ( يديعوت احرونوت ، ٧٨/١٠/٢٠ ) · كذلك يعارض المصريون ذكر مسألة حرية الملاحة في مضائق تيران في معاهدة السلام ، مبررين ذلك بأنه

« ربما رغبوا في منع جهة اخرى من العبور في المضائق - وليس اسرائيل - لاسباب مبررة » ( يوسف حاريف ، معاريف ، ٧٨/١٠/٢٧ ) · والجدير بالذكر ان مضائق تيران وردت في اتفاقات كامب ديفيد ، كممر مائي دولي ·

٣ - تطالب اسرائيل بأن تشمل معاهدة السلام بندا خاصا بشأن منع « الاعمال الارهابية » من الاراضي المصرية · وقد عارض المصريون ذلك ، لان الامر « سيربكهم » حسب ادعائهم · وقد اعلن دايان امام بطرس غالي « ان احدا لا يستطيع ان يتهرب من الحاجة الى مكافحة الارهاب · فهناك ارهابيون فلسطينيون · واذا لم تأخذوا ذلك بعين الاعتبار ، فلن يكون اتفاق من جانبنا » (المصدر نفسه)·

٤ - لا يزال هناك خلاف حول الجدول الزمني للانسحاب من سيناء ·فالمصريون يطالبون بأن يتم الانسحاب خلال اقل من ثلاث سنوات ، بينما يصر الاسرائيليون على فترة السنوات الثلاث كاملة ، كما ورد في اتفاقات كامب ديفيد ( يديعوت احرونوت ، ٧٨/١٠/٢٠ ) ·

٥ - عارض المصريون وجود قوة دولية في مشارف رفح ، بينما اصر الاسرائيليون على ذلك بشدة · وقد اعلن دايان « انه اذا لم توضع قوة دولية بصورة دائمة في تلك المنطقة ··· سيلغى الاتفاق بشأن اخلاء المستوطنات الاسرائيلية منها · لقد اتخذ الكنيست قراره في هذا الشأن ، على اساس ان قوة الامم المتحدة سترابط في المكان · ( يوسف حاريف ، معاريف ، ٧٨/١٠/٢٧ ) ·

٦ - لم يتم التوصل حتى الان الى اتفاق نهائي بشأن قضية النفط في سيناء · فالمصريون على استعداد لتزويد اسرائيل بالنفط من سيناء بأسعار السوق ، الا انهم يطالبون بتعويضات بمقدار مليارى دولار مقابل استغلال اسرائيل لنفط ابو رديس· بينما تطالب اسرائيل بالحصول على النفط بأسعار زهيدة وتعويضات مقابل استثماراتها ومبادراتها في تطوير حقول النفط · ويتلخص موقف اسرائيل من قضية النفط ، كما عبر عنه وزير الطاقة الاسرائيلي يتساق موداعي اثناء لقاءاته في واشنطن ، مع ممثلي مصر والولايات المتحدة ، « ان لاسرائيل حقوق استخراج معينة من حقل علما في سيناء ، من واقع كونها مكتشفة للحقل ومطورة له · وبناء على هذا الطلب ، فانه يحق لاسرائيل الحصول على نسب معينة من ارباح النفط، ربما تصل الى ٢٥٪ » (رأ ، ٧٨/١١/٩)· الا ان المصريين يعارضون هذا الطلب بشدة ، وموقفهم ان اسرائيل احتلت آبار النفط في حرب ١٩٦٧ لذلك عليها ان تخليها فورا ، وليس من حقها المطالبةبأية حقوق ( المصدر نفسه ) ·

٧ - قضية المساعدات المالية من الولايات المتحدة : فاسرائيل غير مطمئنة الى قيمة المساعدات المالية التي ستحصل عليها من الولايات المتحدة ، ثمناللانسحاب من سيناء · وقد وصل وزير المالية الاسرائيلي سمحا ارليخ الى واشنطن لبحث هذا الموضوع مع المسؤوليين الاميركيين · ويبدو أن اسرائيل تحاول جاهدة الوصول الى اتفاق في هذا الشأن مع الولايات المتحدة ، قبل التوقيع على معاهدة السلام مع مصر ، « لانه في اللحظة التي ستوقع بها المعاهدة ، لن يكون للولايات المتحدة اي حافز حقيقي للاسراع في تقديم الالتزامات ،او الوعود بشأن مساعدة مالية كبيرة » ( عيدو ديسنتشيك ، معاريف ، ٧٨/١٠/٢٧ ) · الا ان اسرائيل لم تحصل حتى الآن على اي تعهد يذكر حول قيمة المساعدات التي تطالب بها · فهي تطالب الولايات المتحدة، بالاضافة الى تمويل انشاء قاعدتين جويتين في النقب ، بتعويض عن

استثماراتها الكبيرة في سيناء ، خاصة مقابل النفط والمستوطنات · وعلم ان اسرائيل تطالب الآن بمبلغ ٣ر٣ مليار دولار بالاضافة الى المساعدة السنوية الجارية بمقدار ١ر٨ مليار دولار ( رأ٧ ، ٧٨/١١/٧ ) · ويصطدم طلب اسرائيل هذا بتصلب اميركي ازاء بعض البنود ، فالادارة الاميركية ترى « ان المستوطنات اقيمت بصورة غير شرعية ، ولن تستخدم اموالها لمحو نتائج اعمال غير شرعية ·· [ ولذلك ] فأن ما حصلت عليه اسرائيل هو التزام اميركي واحد فقط ، وهو تمويل القاعدتين الجويتين · ولكن حتى بالنسبة لهذه المسألة ، هناك علامة استفهام حول قيمة المساعدات الاميركية ···ويبدو ان واشنطن لن تمول الا ما هو حيوي في نظرها في انشاء هاتين القاعدتين ، ولن توافق ابدا على الاكتفاء بفاتورة الدفع التي ستقدمها لها وزارة الدفاع الاسرائيلية » ( عيدو ديسنتشيك ، المصدر السابق ) ·

ولموقف مصر تأثير على المفاوضات في هذا الشأن ايضا · فهي تطالب بمبلغ ١٠ ـ ١٥ مليار دولار للسنوات الخمس المقبلة · لذلك فالادارة غير متسرعة ابدا في تقديم اي تعهد مالي الى الجانبين ، وهي ترفض كليا اية محاولة اسرائيلية للربط بين المساعدات المالية وبين معاهدة السلام ·

## الولايات المتحدة تبحث عن حلول وسط

يعتقد المراقبون في اسرائيل ان مصير المفاوضات يعتمد بالدرجة الاولى على حل مشكلة « الربط » بين معاهدة السلام وبين المفاوضات حول الضفة الغربية وقطاع غزة ، كما تطالب مصر · وان جميع المشكلات الاخرى يمكن الوصول الى حلول بشأنها · وقد حاولت الولايات المتحدة اقتراح حل وسط لمشكلة « الربط » ، للمشكلات الاخرى المعلقة ، بواسطة تقديم « مسودة اتفاق بين مصر واسرائيل » · ويرتكز « الحل الوسط » الاميركي على وجوب تنازل مصري عن طلب تدوين موضوع « الربط » في احد بنود المعاهدة والموافقة على ذكره في المقدمة فقط · وبهذه الطريقة يتحول الاتفاق الى وثيقة قانونية قائمة بحد ذاتها ، غير مشروطة بشيء عدا ما تنص عليه بنودها · وبالنسبة لاسرائيل عليها ان توافق على ذكر موضوع « الربط » في مقدمة المعاهدة ، بعد ان رفضت ذكره في البنود الاخرى ، وطلبت ـ عمليا ـ الاشارة اليه في رسائل متبادلة، تكون مرفقة بالمعاهدة · ويذكر موضوع « الربط » في مقدمة المعاهدة ، على انه خطوة نحو تسوية سلمية شاملة في الشرق الاوسط ( معاريف ،٧٨/١٠/٢٤)·

كما تتضمن «مسودة الاتفاق» الاميركية بندا حول وجوب تبادل السفراء بين مصر واسرائيل ، ولكن لم تحدد موعدا لهذا الاجراء ، خلافا لما اتفق عليه في كامب ديفيد ، من ان تعيين السفراء يتم بعد انسحاب اسرائيل الى خط العريش ـ رأس محمد · كذلك تخفض فترة الانسحاب الاسرائيلي من سيناء مقابل موافقة مصر على تغييرات لصالح اسرائيل في خط الانسحاب الاول اي العريش ـ رأس محمد· وورد في « مسودة الاتفاق » ايضا ، انه لن يكون هناك تمييز بين انتقال المواطنين والبضائع بين البلدين ، وانه يجب ان تلغى المقاطعة الاقتصادية ضد اسرائيل ، ويتم التبادل الثقافي ايضا · اما النقطة الاكثر اهمية ، التي وردت في « مسودة الاتفاق » المقترحة فهي ان تكون المعاهدة بين اسرائيل ومصر ، معاهدة لها الافضلية ، ولا تؤثر عليها معاهدات اخرى كانت مصر قد ابرمتها مع دول اخرى ، او اية التزامات عسكرية وسياسية سابقة ( يديعوت احرونوت ، ٧٨/١٠/٢٤ ) ·

الا ان « مسودة الاتفاق » هذه لم تقبل كاملة من جانب الحكومة الاسرائيلية ،التي اقترحت اجراء تعديلات على بعض بنودها، وذلك بعد بحث مطول ،استغرق اكثر من ثلاث جلسات · فرئيس الحكومة بيغن ، لم يوافق على صيغة « الربط » في مقدمة المعاهدة ، كما جاء في الاقتراح الاميركي ، واقترح ايضا اجراء تعديل على البند الذي يتحدث حول « المعاهدة المفضلة » · و « هدف اسرائيل [ من وراء هذا التعديل ] هو الوصول الى صيغة توضح ان مصر لن تنضم الى اي عمل حربي ضد اسرائيل ، تقوم به دولة ما ، رغم وجود معاهدة دفاع مشتركة بينها وبين هذه الدولة » ( دافار ، ٢٥/١٠/ ٧٨ ) ·

والملفت ، ان الحكومة الاسرائيلية وجدت من المناسب ان تتخذ قرارا بشأن تقوية مستوطناتها في الضفة الغربية ، مما يثبت تصلبها ازاء موقفها من الضفة ، ورفضها اي التزام مسبق تجاهها · وقد جاء هذا القرار ايضا بعد زيارة مساعد وزير الخارجية الاميركي للشرق الاوسط هارولد ساوندز للضفة الغربية وغزة والاردن ، واجتماعه الى وجهاء فلسطينيين هنالك ، مما اثار غضب الرسميين الاسرائيليين ،واعتبروه تعديا اميركيا على الموقف الاسرائيلي من هذه المناطق · ويتمثل هذا الموقف ـ كما اعلنه بيغن قبل مدة قصيرة امام اعضاء كتلة ليكود في الكنيست ـ في « ان اسرائيل لن تتنازل عن الاسس الثلاثة الاتية بالسنبة لمستقبل الضفة الغربية وقطاع غزة · اولا ،الوجود العسكري الاسرائيلي في هذه المناطق · ثانيا ، السيطرة الامنية الكاملة · ثالثا ، مسألة الاستيطان اليهودي فيها» (معاريف، ٢٦/١٠/٧٨ ) ·

ورغما عنهذه المواقف المتصلبة منجانب اسرائيل ، فأن الولايات المتحدة مصممة على ما يبدو على فرض الحل الوسط الذي اقترحته ، كمخرج للازمة الحالية في المفاوضات · وربما استخدمت المساعدات المالية التي تطالب بها اسرائيل ، والتي لم يصدر اي تعهد رسمي بشأنها حتى الآن ، كما ذكرنا ، كورقة ضغط على اسرائيل للقبول بأقتراحاتها · والرأي السائد على اي حال ، بين مختلف المراقبين في اسرائيل ، هو ان الطرفين ، الاسرائيلي والمصري ، سيتوصلان الى اتفاق بينهما في نهاية المطاف ، مهما طالت المفاوضات ·

ح· ش·

---

## قضايا دولية

تمحورت التطورات الدولية ، او كانت هذه التطورات ، بالاحرى ، لا تزال تتمحور حتى اواخر الاسبوع الثالث من شهر تشرين الثاني ( نوفمبر ) ، حول مفاوضات « بلير هاوس » الدائرة في العاصمة الاميركية ، وباشراف اميركي بين النظام المصري والكيان الصهيوني · وهي المفاوضات التي بدأت في اعقاب توقيع

اتفاقيتي « كامب ديفيد » بين الاطراف الثلاثة ذاتها في ايلول (سبتمبر) الماضي.

واذا كانت بداية مفاوضات « بلير هاوس » هي نتيجة واستمرار لما تم في « كامب ديفيد » ، فان مجريات هذه المفاوضات والمؤثرات الواقعة عليها ـ موضوعية وذاتية ـ منذ بدايتها حتى الآن، تكشف انها لم تعد مجرد امتداد بسيط لنتائج « كامب ديفيد » .. وانما هي عملية معقدة ، ومفتوحة ، لتأثيرات التطورات العربية والدولية الى اقصى حد . وان كلا من الاطراف الثلاثة المشتركة فيها واقع تحت هذه التأثيرات ، ويستجيب لها ـ او ينفعل بها ـ على نحو مختلف عن الآخر .

وحول هذه المفاوضات ـ وخلافا لما يجري داخلها من شد وجذب على جميع الاصعده ـ فان الاحداث الفرعية ارتبطت، بصورة او باخرى ، بتطورات الصراع الدائر بين قوى « عملية السلام » الاميركية والقوى المناهضة لها .

وهكذا تبدو « بلير هاوس » في مركز الاهتمام . وعلى الخطوط الجانبية ، كانت احداث اخرى ذات صيغ عالمية ترتبط بصورة مباشرة ، او غير مباشرة ، بما يجري في « بلير هاوس » :

☐ احداث ايران المتمثلة في انتفاضتها الجماهيرية المستمرة ضد نظام الشاه وشخص الشاه ، وما يمثله من تحالفات داخلية وعالمية ( جزء منها يتمثل في العلاقة بين هذا النظام واسرائيل ) .

☐ زيارة الملك الحسن الثاني ملك المغرب للولايات المتحدة ، وما صاحب هذه الزيارة من محاولات لاستطلاع موقف الملك المغربي من سياسات انور السادات رئيس النظام المصري .. بعد ان تناقضت المعطيات والمعلومات عن موقف « الرباط » من هذه السياسات بين شهر وآخر .

☐ الاتصالات الدائرة حول مصير « هيئة التصنيع الحربي العربية » ، وهي اتصالات عنت فرنسا بوجه خاص ، في ضوء التطورات العربية التي اصبح يبدو منها ان مصر لن تعود معنية بمشاريع هذه الهيئة .. وبالتالي بدور فرنسا او غيرها فيها .

☐ انتخابات الكونغرس الاميركي ( انتخابات العنف ) التي كانت بمثابة اختبار لتأثيرات « كامب ديفيد » بالنسبة لشعبية الرئيس الاميركي كارتر وحزبه ، كما كانت ـ من زاوية اخرى ـ اختبارا لمدى تحول الناخب الاميركي عن اصدقاء اسرائيل ، وتأثيرات اللوبي الصهيوني في العمليات الانتخابية الاميركية .. بعد ان اصبح للولايات المتحدة نفوذ كبير تحرص على التشبث به في مصر .

**« بلير هاوس » خطوة للامام ، خطوتان للخلف .. ام العكس ؟**

اذا كانت المفاوضات المصرية ـ الاسرائيلية في « بلير هاوس » بواشنطن قد استغرقت ـ حتى هذا الوقت ـ فترة زمنية اطول من تلك التي استغرقتها مفاوضات « كامب ديفيد » التي وضعت لها الاسس ، الا انه من الواضح ان مفاوضات «المعاهدة المصرية ـالاسرائيلية» تسير على النمط ذاته الذي سارت عليه سابقتها ، ربما مع اختلاف واحد هو انه قد حل محل التعتيم والتكتم الاعلامي الكامل الذي كان مفروضا في « كامب ديفيد » نهج آخر في اطلاق الآراء والتفسيرات المضادة بين الاطراف المختلفة، واحيانا داخل الطرف الواحد .

ونتيجة لهذا النمط المشترك، فان الفترة الاخيرة من مفاوضات « بلير هاوس » يسودها الجو نفسه الذي شاع قبيل نهاية مفاوضات « كامب ديفيد » ، وهو الجو

الموحي بقرب انهيار المفاوضات ،وانسحاب هذا الطرف او ذاك او رفضه القاطع الاستمرار في « العملية » · وفي المرتين كان هذا الطرف هو الطرف المصري· غير ان هذا المشهد الذي حدث مرة واحدة في « كامب ديفيد » تكرر مرات عدة في « بلير هاوس » ، وبصفة خاصة بعد انتهاء مؤتمر القمة العربي التاسع الذي عقد في بغداد ، وما قرر في بيانه العلني ، وما رشح عما قرره سرا ، من امر فرض عقوبات على النظام المصري في حالة توقيعه معاهدة سلام منفصلة مع اسرائيل·

ولقد بدأت مشاهد الازمات في « بلير هاوس » بالقرار الذي اتخذته الحكومة الاسرائيلية بالتوسع في اقامة المستوطنات الاسرائيلية في الضفة الغربية وقطاع غزة ، وكذلك في الجولان المحتلة · وقد سبقت هذه « الازمة » نتائج مؤتمر القمة العربي التاسع في بغداد · واثناء انعقاد المؤتمر زالت الازمة دون ان يغير الجانب الاسرائيلي شيئا من قراره · انما هدأت العاصفة ، واعلنت الاطراف الثلاثة ( ١٩٧٨/١١/١ ) انه طرأ تقدم واضح على سير المفاوضات ، وانه تم التغلب على معظم العقبات ·

ولكن كان من الواضح ان لهجة التفاؤل لم تكن اكثر من استجابة لما اعلن قبل ذلك بيومين اثنين من منح « جائزة نوبل للسلام » مناصفة لانور السادات ومناحيم بيغن · الامر الذي اوصى للاخير بأنه « من الممكن ان يكون التوقيع على معاهدة السلام في اوسلو في العاشر من كانون الاول ( ديسمبر ) ، فكرة حسنة · حيث يحضر الى هناك الرئيس كارتر والرئيس السادات وانما قبل ذلك بيوم « وهناك توقع على معاهدة السلام وفي اليوم التالي نتسلم « جائزة نوبل للسلام » ·

ولكن «الازمات» و « الاختلافات » اصبحت فجأة القاسم المشترك لتصريحات الاطراف بعد نهاية مؤتمر القمة العربي ، وحتى وقت صياغة هذا التقرير · وقد تبلورت هذه « الاختلافات » حول عدة نقاط :

١ ـ الربط بين معاهدة السلام المصرية ـ الاسرائيلية ومستقبل الضفة الغربية لنهرالاردن وقطاعغزة المحتلين· حيث تلح المصادر المصرية في تصريحاتها العلنية ـ خارج المفاوضات ـ على ضرورة ربط تنفيذ « المعاهدة المصرية ـ الاسرائيلية » بجدول زمني متجانس مع تحقيق تقدم في مفاوضات الضفة الغربية وغزة · وقد تبلور الموقف المصري المعلن في تصريحات ادلى بها حسني مبارك نائب رئيس النظام المصري في واشنطن ( ١٩٧٨/١١/١٨ ) في حديث اجراه مع اذاعة العدو · حيث قال انمصر تقترح وضع جدولزمنيلتطبيق الحكم الذاتي في الضفة الغربية وغزة · ونفى ان تكون مصر قد تقدمت بطلبات جديدة لم تكن متضمنة في اتفاق « كامب ديفيد » · وقال ان مصر اقترحت البدء بتنفيذ اتفاق الحكم الذاتي بغزة وان هذا لا يعني فصلا بين غزة والضفة الغربية · انما لان البدء بها اسهل ، ونظرا لمسؤولية مصر القانونية عن القطاع خلال الفترة من عام ١٩٤٨ الى ١٩٦٧ · كما قال مبارك انه يبدو له « ان من المستحيل توقيع السلام بدون تحقيق الربط لان الربط مهم ، ومهم جدا » ·

وكان وصول حسني مبارك الى واشنطن ( ١٩٧٨/١١/١٧ ) خطوة قررها انور السادات بعد تهديد بسحب الوفد المصري من مفاوضات « بلير هاوس » وسحبه لهذا التهديد بناء على طلب « هاتفي » من الرئيس كارتر ·

كان الحديث عن « البدء » بالتنفيذ بقطاع غزة تنازلا مصريا واضحا ، ابتعد عن الموقف السابق الذي كان يطالب بالربط بين المعاهدة المصرية ـ

الاسرائيلية ومصير الضفة والقطاع باعتبار « ان مصر تؤمن بوحدة التراب الفلسطيني في غزة والضفة الغربية » ( تصريح بطرس غالي وزير الدولة المصري للشؤون الخارجية في باريس في ١٩٧٨/١١/١٦)٠

وفي صدد « الربط » كان الموقف الاسرائيلي قد تبلور عند تصريحات موشي دايان وزير الخارجية ورئيس الوفد الاسرائيلي في المفاوضات ٠ حيث قال في تل ابيب ( ١٩٧٨/١١/١٨ ) : ان اسرائيل ترفض البحث في أي جدول زمني لتطبيق الحكم الذاتي في الاراضي المحتلة ، ولكنها توافقعلى بدء المفاوضات حول اقامة هذا الحكم بعد شهر واحد من توقيع المعاهدة بين مصر واسرائيل ٠ وقال ان المسعى المصري مخالف لاتفاقات كامب ديفيد ٠ وذهب دايان الى حد القول ان اسرائيل تريد ان تبقى في المنطقة من سيناء الممتدة من العريش الى شرم الشيخ لفترة اختبارية تستمر عامين بعد اقامة علاقات دبلوماسية واقتصادية عادية مع مصر ٠

وقد فهمت الاوساط الاسرائيلية ان العنصر الاساسي في الموقف المصري الجديد فيما يتعلق بمسألة « الربط » يعني « ان تقوم اسرائيل بتأخير انسحابها من سيناء لكي يتوافق هذا الانسحاب مع تحول قطاع غزة الى كيان له حكم ذاتي» ٠ ( يونايتدبرس ١٩٧٨/١١/١٦ ) ٠

أما كيف يرى الطرف الاميركي هذا الجانب من الخلافات ، فقد عبر عن وجهة النظر الاميركية الرئيس كارتر في حديث امام عدد من مراسلي الصحف والاذاعات لدى البيت الابيض ( ١٩٧٨/١١/١٦ ) وكان ذلك قبل ساعة واحدة من اجتماعه بنائب السادات ـ حسني مبارك ـ حيث بدا كارتر متبرما من « الخلافات الضئيلة التي تقف حجر عثرة في طريق الاتفاق» ، ووصفها بانها « تسويفات » من الجانبين المصري والاسرائيلي ٠ واعرب عن « اسفه لان صيغا كثيرة لنص مقبول لمعاهدة السلام جرى التفاوض بشأنها في واشنطن، ثم كان مصيرها الرفض من جانب القاهرة وتل ابيب بسبب خلافات طفيفة وضئيلة اذا ما قورنت بالامتيازات التي ستترتب على أقرار السلام » ٠

٢ ـ رغبة اسرائيل في الحصول على امتيازات معينة من نفط سيناء بعد انسحابها ٠ وقد ظهر الحاح اسرائيل على مطلبها النفطي من مصر في مفاوضات « بلير هاوس » على اثر اشتداد حدة الانتفاضة الشعبية ضد الشاه في ايران٠ الامر الذي جعل اسرائيل تخشى من صعود نظام جديد بعد سقوط الشاه يتخذ موقفا عدائيا تجاه اسرائيل ، وبالتالي يحجب عنها امدادات النفط التي يؤمن لها البترول الايراني ٤٠٪ من احتياجاتها منه ٠ اذ تريد اسرائيل توقيع اتفاق ملزم لمصر بان تبيعها احتياجاتها من نفط سيناء ٠ كما تشترط اسرائيل ان توافق مصر على ان تستمر شركة «نبتون» الاميركية النفطية في ضخ النفط في سيناء بمقتضى عقد مبرم بين الشركة واسرائيل ، حتى بعد انسحاب اسرائيل من سيناء ٠ كما تشترط اسرائيل ان تحصل على نفط سيناء بسعر خاص ادنى من السعر العالمي « كتعويض لها » عن المنشآت النفطية التي ستتركها لدى انسحابها من سيناء ٠ وتريد اسرائيل اساسا ربط مسألة « النفط » هذه بتوقيع معاهدة السلام ٠

ويفيد الموقف المصري المعلن ان مصر رفضت توقيع اتفاق نفطي خاص لتزويد اسرائيل بنفط سيناء ،وان كانت قد تعهدت بأن تبيع لاسرائيل النفط شأنها شأن أي « زبون » آخر بعد توقيع معاهدة السلام بينهما ، انما دون التزام تعاهدي ٠ كما يقوم الموقف المصري على اعتبار ان العقد القائم بين « نبتون » الاميركية واسرائيل

لاستغلال نفط سيناء المحتلة هو عقد غير قانوني لانه مترتب على احتلال اسرائيل غير الشرعي لسيناء ٠

٣ ـ شروط اسرائيل المالية من اجل توقيع معاهدة سلام مع مصر ٠ فقد اعلنت اسرائيل انها تشترط الحصول من الولايات المتحدة على قرض قيمته ٤٥٠٠ مليون دولار لتمويل نفقات سحب قواتها وقواعدها العسكرية ومستوطناتها المدنية من سيناء طبقا لاتفاقات « كامب ديفيد » ٠

كما اشترطت اسرائيل ان يكون هذا المبلغ بالاضافة الى ١٠٠٠ مليون دولار اعربت الولايات المتحدة عن استعدادها لدفعه لاسرائيل لبناء قاعدتين جويتين جديدتين في صحراء النقب كبديلين عن مطارات تخليها اسرائيل بعد انسحابها من سيناء ٠ ومن الناحية العسكرية اشترطت اسرائيل الا تنسحب من مطارات سيناء الا بعد اتمام بناء القاعدتين الجديدتين في النقب بمساعدة الولايات المتحدة المالية والتقنية ٠

واشترطت اسرائيل ثالثا ان ترفع الولايات المتحدة قيمة القروض والمنح العسكرية التي تقدمها سنويا لاسرائيل من ١٠٠٠ مليون دولار الى ١٥٠٠ مليون طوال السنوات العشر القادمة ، بالاضافة الى ٢٤٠٠ مليون دولار قيمة مساعدات اقتصادية اميركية لاسرائيل للعام ١٩٨٠٠

( في الوقت نفسه اعلن انور السادات ( ١٩٧٨/١١/١٨ ) ـ دون ان يلمح الى اعتبار ذلك شرطا لتوقيع المعاهدة مع اسرائيل ـ انه يطلب من الولايات المتحدة مساعدات تتراوح بين ١٠ الاف مليون ( ١٠ مليارات ) و ١٥ الف مليون ( ١٥ مليارا ) من الدولارات لتمويل خطة لدعم الاقتصاد المصري اسماها « مشروع كارتر » على غرار « مشروع مارشال » الذي انعش اقتصاديات اوروبا الغربية في اعقاب الحرب العالمية الثانية ٠

ويلاحظ ان الولايات المتحدة لم تصدر اية تعليقات رسمية محددة على طلبات السادات من المساعدات الاميركية ، بينما اعتبرت الصحافة الاميركية ان هذه الطلبات تشكل « الثمن الباهظ للسلام » الذي لم يحسب كارتر حسابه عندما ادخل نفسه في عملية الشرق الاوسط وراهن على التوصل الى صلح اسرائيلي ـ مصري ٠

اما بالنسبة للطلبات الاسرائيلية فكانت موضوع محادثات فعلية بين المسؤولين الاميركيين والاسرائيليين ( وان كان الجانب الاميركي يحاول ان يربط التزاماته الاكيدة بمساعدة اسرائيل بالمعاهدة المصرية ـ الاسرائيلية ) يشارك فيها وزير المالية الاسرائيلي سمحا ايرليخ ٠

وهكذا فقد بدا وجهان لازمة مفاوضات « بلير هاوس» ، احدهما وجه الازمة بين المصريين والاسرائيليين المتمثل في محاولات كلا الطرفين للتوصل الى « شروط افضل » ، والثاني وجه الازمة بين الاسرائيليين والاميركيين المتمثل في ضيق الجانب الاميركي بحدة مساومة تل ابيب على ثمن توقيع « معاهدة السلام » واستغلال رغبة الادارة الاميركية في التوصل باسرع ما يمكن الى هذا التوقيع٠

اما الخلاف الثلاثي الوحيد في هذه المحادثات فقد دار حول التوقيع ٠ اذ كان انور السادات في البداية يبدي رغبة ملحة في ان يتم التوقيع في منطقة « دير سانت كاترين » في سيناء في مناسبة الذكرى الاولى لزيارته « التاريخية » للقدس المحتلة ، وهي رغبة لم تؤيدها اسرائيل ولا الرئيس الاميركي كارتر ٠ واقترح مناحيم بيغن ان يكون التوقيع بمناسبة تسلمه والسادات جائزة نوبل في اوسلو ٠ ويبدو ان الموعد الوحيد المتاح بعد ان طال الفصل الخاص بالخلافات في « بلير هاوس » هو موعد المهلة المنصوص عليها في اتفاقيات « كامب

ديفيد » لعقد المعاهدة المصرية الاسرائيلية وهو يوم ١٧ كانون الاول ( ديسمبر ) القادم ٠

## بيئة التصنيع الحربي

لقد اتضح من تصريحات الاطراف المختلفة منذ اوائل شهر تشرين الثاني ( نوفمبر ) انه لم تبق خلافات تذكر في الجانب العسكري من « المعاهدة » ٠ وعلى هامش هذا الاتفاق على الجوانب العسكرية كشفت تصريحات فرنسية ـ بطريقة غير مباشرة ـ عن جانب من الشروط العسكرية التي فرضتها اسرائيل على الجانب المصري في مفاوضات « بلير هاوس » ٠

اذ نشرت صحيفة « انترناشيونال هيرالد تريبيون » الاميركية نبأ من باريس يفيد « أن صناعة الاسلحة الفرنسية منزعجة من خطر خسارة خمسة مليارات من الدولارات ، قيمة مبيعات اسلحة اذا ما قررت مصر الانسحاب من هيئة التصنيع الحربي العربية ٠ وقالت الصحيفة ان الشكوى حول مصير هذه الهيئة برزت مؤخرا عندما اقال السادات رئيس مجلس ادارتها المصري اشرف مروان ٠

والاهم من هذا ما قالته الصحيفة الاميركية من ان رجال صناعة الاسلحة الفرنسية يتهمون الولايات المتحدة بتدبير امر اقالة مروان ٠ ويعبر عن هذه النظرة بقوة بشكل خاص في دوائر مصانع «داسو » الفرنسية للطائرات ، حيث يعتقد ان الولايات المتحدة تضغط على مصر لكي تعتمد على شراء اسلحة اميركية والتخلي عن خطط الانتاج المشترك للاسلحة مع دول عربية اخرى في اطار هيئة التصنيع الحربي العربية ٠ وهي الهيئة التي كانت مشاريعها تشمل خطة عربية ـ اوروبية ( فرنسية بالدرجة الاولى ، وبريطانية ـ كذلك ) لانتاج طائرات متقدمة ودبابات وصواريخ ٠ وقد اتهم ناطق باسم صناعة الاسلحة الفرنسية الولايات المتحدة بانها تريد « قتل داسو » ٠

وكتبت صحيفة « لوموند » الفرنسية ( ١٩٧٨/١١/١٥ ) ان جزءا من خطة « السلام الاميركي » في الشرق الاوسط يقضي باقصاء فرنسا من اسواق السلاح لصالح احتكار الولايات المتحدة بهدف تقوية قبضة ادارة كارتر على كل من مصر واسرائيل ٠

وقد نفت المصادر الاميركية ـ وفقا لما قالته صحيفة « انترناشيونال هيرالد تريبيون » ـ الاتهامات الفرنسية فيما يتعلق بالدور الاميركي في هذه التطورات ، الا انها لم تنف احتمال تصفية هيئة التصنيع الحربي العربية ، وعزت ذلك للخلافات السياسية بين مصر والسعودية ٠ ومع ذلك فان من الواضح ان الاسباب تتعلق بمفاوضات « بلير هاوس » اكثر مما تتعلق بالتنافس الاميركي ـ الاوروبي على اسواق السلاح في الشرق الاوسط ، واكثر مما تتعلق بـ « الخلافات السياسية بين مصر والسعودية » ٠ وتشير الدلائل الى ان الطرفين الاميركي والاسرائيلي في « بلير هاوس » التقيا عند ابداء التحفظ على مشاريع انتاج الاسلحة العربية في مصر باعتبار ان ذلك لا يتفق مع الاتجاه نحو السلام والتعاون المنتظر بين مصر واسرائيل في المجالات السلمية بعد توقيع المعاهدة بينهما ٠ فضلا عن انه يزيد العبء الواقع على الولايات المتحدة والذي يحملها مسؤولية حفظ التوازن العسكري بين اسرائيل والدول العربية ٠

## الحسن الثاني في اميركا

وكانت زيارة الملك الحسن الثاني ملك المغرب للولايات المتحدة ( ١٤ ـ ١٩٧٨/١١/١٦ ) مناسبة لمحادثات بين الجانب

الاميركي واحد « المعتدلين » العرب في وقت اشتعلت فيه الحملات المتبادلة ، لاول مرة في عهد السادات ، بين النظام المصري والدول العربية « المعتدلة » التي لم تتخذ موقفا معارضا صريحا من سياسته تجاه اسرائيل ، ولكنها شاركت في مؤتمر القمة العربي التاسع في بغداد ووافقت على بيانه ٠

وقد واكبت زيارة الحسن الثاني للولايات المتحدة انباء تفيد ان الدوائر الاميركية تشعر بانزعاج شديد من تدهور العلاقات بين نظام انور السادات والدول « المعتدلة »، وخاصة السعودية والكويت٠ الامر الذي استنتجت معه دوائر اميركية وعربية ان الولايات المتحدة ربما تكون بصدد القيام بوساطة بين العرب « المعتدلين » والسادات ، وذلك ـ طبعا ـ بهدف اعادة مناخ التأييد لسياسته او على الاقل الحد من المعارضة ضده ٠

وكانت التصريحات التي ادلى بها الملك الحسن الثاني في واشنطن ( ١٦/١١/ ١٩٧٨ ) مؤشرا الى طبيعة الموقف الذي ابلغه للحكومة الاميركية في صدد تطورات « عملية السلام » ٠ فقد ايد الحسن السادات وقال انه لا يدينه ،ولكنه اضاف انه لا توجد فرصة لتسوية شاملة دون تأييد من الاردن والسعودية والفلسطينيين ٠ واعرب عن اعتقاده بان السادات لا يزال على ولائه لقرارات مؤتمر القمة العربي في الرباط ( ١٩٧٤ ) ٠

**سمير كرم**

---

## قضايا عسكرية

### المغزى العملي للتعاون العسكري السوري ـ العراقي »

منذ ان صدر بيان مجلس قيادة الثورة العراقي في ١/١٠/٧٨ ، الذي اعلن فيه اعتبار العراق جزءا « من الجبهة العسكرية الشمالية المواجهة للعدو الصهيوني ، ومن اية جبهة ملاصقة للعدو الصهيوني تتهيأ فرص تحريكها ضد العدو في المستقبل » وان العراق على استعداد فوري « لارسال قوات عسكرية فعالة الى الساحة السورية من اجل تأمين القوة العربية القادرة على مواجهة العدو » ، منذ ذلك الحين ، توالت الاحداث والتطورات في اتجاه ازالة الخلافات السياسية التي كانت قائمة بين القطرين العربيين لسنوات عدة خلت ، وكانت تشكل العقبة العملية التي حالت دون حشد طاقات البلدين العسكرية والاقتصادية والسياسية والمعنوية ضد العدو المشترك للامة العربية ، اذ ردت سوريا بتصريح رسمي يوم ٩/١٠/١٩٧٨ امتدحت فيه المبادرة العراقية المذكورة ، وقالت انها « تقدر استعداد القطر الشقيق لوضع طاقاته في خدمة الصمود والمجابهة الامر الذي يشكل عاملا مهما في مواجهة التطورات المستجدة على الساحة العربية»٠

وفي اليوم ذاته ، صدر بيان صحفي عن محادثات اجريت في دمشق بين رئيسي اتحاد العمال لكلا البلدين ، دعا « الامة العربية الى تقديم كل امكانات الدعم المادي والعسكري والمعنوي للجبهة الشمالية والشرقية » ٠

وقبيل مؤتمر القمة الذي عقد في بغداد في ٧٨/١١/١ ، قام الرئيس السوري حافظ الاسد بزيارة لبغداد في ٧٨/١٠/٢٤ يرافقه وفد حزبي وحكومي ، واجرى محادثات مع الرئيس العراقي احمدحسن البكر ووفد عراقي مماثل ، اسفرت عن صدور ميثاق عمل مشترك يوم ٧٨/١٠/٢٦ تضمن في الفقرة ٣ من البند الرابع منه ، انشاء لجنة للتعاون العسكري بين البلدين، تتكون من وزراء الدفاع والخارجية ورئيسي الاركان العامة في كلا الدولتين ، مهمتها اعداد صيغة اتفاق دفاع مشترك تكون ارضية لوحدة عسكرية كاملة بين القطرين ٠

ورافق هذه التطورات السياسية العربية الايجابية ، التي دعمها بعد ذلك مؤتمر القمة العربي في بغداد ، قلق اسرائيلي انعكس في اعمال واقوال عدة ، منها قيام الطيران الاسرائيلي بطلعات استطلاع جوي فوق مناطق الحدود العراقية ـ السورية خلال الاسبوع الاول من تشرين الاول (اكتوبر)، وبعده ايضا على الارجح، ومنها تصريح الجنرال « دان لانر » ، يوم ٧٨/١٠/٢٦ ، الذي قال فيه « ان انضمام القوة العسكرية العراقية الى قوات الجيش السوري يعوض كليا بالنسبة الى دمشق انسحاب القوات المصرية من مجموعة دول المواجهة العربية » ٠ ومنها تصريح لاحد مصادر وزارة الدفاع الاسرائيلية ، يوم ٧٨/١٠/٢٧ ، قال فيه « من الجيد عقد معاهدة سلام مع مصر٠ الا اننا نستمر في القول ان الخطر الحقيقي هو في الجبهة الشمالية ـ الشرقية » ٠ واوضحت مصادر الوزارة المذكورة في اليوم ذاته ان القوات المشتركة العراقية ـ السورية الجديدة قد تعني تغييرا رئيسيا في ميزان القوى في الشرق الاوسط ٠ فيما يعتقد الخبراء العسكريون ان الجمع بين الجيشين العراقي والسوري في مرتفعات الجولان من شأنه ان يشكل خطرا على اسرائيل ، اعظم بكثير من ذلك الذي كان قائما عندما شنت مصر وسوريا هجومها المنسق عليها في العام ١٩٧٣ ٠ اذ ان الاستخبارات الاسرائيلية ترى ان التحالف العراقي ـ السوري سيكون قادرا على حشد ٩٠٠ طائرة ، و ٤٧٠٠ دبابة ، و ٣٥٠٠ قطعة مدفعية ، وست فرق مشاة ٠ وبناء على هذا التقدير صرح مسؤول في وزارة الدفاع الاسرائيلية ، في اليوم ذاته ، قائلا « ان من شأن قوات كهذه ان تجعل الذعر يدب في الخبراء الاستراتيجيين لاي بلد كان » واردف موضحا « ان اسرائيل تتابع التطورات عن كثب » ٠

كما اشارت المصادر الاسرائيلية ذاتها ان العراق يستطيع ، اذا طلب منه ذلك ، ارسال اربع فرق مدرعة ولوائين من المشاة الى مرتفعات الجولان لتنضم الى الفرق السورية الخمس التي تواجه اسرائيل الان ٠ وان العراق يستطيع نقل معظم قواته الى مرتفعات الجولان خلال يومين ، نظرا لانه اشترى مؤخرا ١٠٠٠ ناقلة دبابات ، اضافة الى ٧٠٠ ناقلة يملكها من قبل ٠

وفي تقديرنا ان العراق يمتلك نحو ٢٢٠٠ دبابة ، تضم نحو ٩٠٠ دبابة من طراز « ت ـ ٦٢ » الحديثة المسلحة بمدافع عيار ١١٥ م ، التي تعد اقوى مدافع الدبابات العالمية حاليا ، باستثناء مدافع الدبابات « ت ـ ٧٢ » من عيار ١٢٠ مم ٠ اضافة الى حوالي ٨٠٠ دبابة ت ـ ٥٤/٥٥ ، المتعادلة مع الدبابات الاسرائيلية من انواع « سنتوريون » و « باتون » و « م ـ ٦٠ » في قوة النيران، والمتفوقة عليها في القدرات الحركية العملياتية والتكتيكية ، وكذلك في التدريع٠ فضلا عن نحو ٤٠٠ دبابة « ام اكس ـ ٣٠» الفرنسية المتفوقة على الدبابات الاسرائيلية في قوة النيران ، بحكم حداثة مدفعها ١٠٥ مم ، وكذلك في الحركية ٠ وحوالي ١٠٠ دبابة استطلاع خفيفة « ب ت ـ ٧٦»، و ١٠٠ دبابة « ت ـ ٣٤ » قديمة ٠ وهذه

الدبابات يكملها ويدعم عملياتها نحو ١٠٠ مدفع ذاتي الحركة مضاد للدبابات ( اي قانص دبابات ، وهو يختلف عن الدبابة في كونه غير مجهز ببرج يدور في كل الاتجاهات يركب فيه مدفعه الرئيسي م/د، وانه اقل تدريعا من الدبابة ، ولكنه يماثلها في السير على جنازير تتيح له قدرة حركية مماثلة تقريبا لقدرة الدبابات الموازية له في الحداثة ) من عيارات ١٠٠ مم و ١٢٢ مم و ١٥٢ مم ، والمسماة « س يو-١٠٠ » ، و « س يو-١٢٢/١٥٢» . اضافة لعدد يراوح بين ١٨٠٠ و ٢٠٠٠ عربة وناقلة جنود مدرعة من مختلف الانواع السوفييتية الصنع ، وتضم عددا يراوح بين ١٠٠ و ٢٠٠ عربة قتال مشاة حديثة من طراز « بمب - ١ » ( المسلحة بمدفع عيار ٧٣ مم وبصواريخ مضادة للدبابات من طراز « مولتيكا » ، والتي تستطيع ان تتحمل في الوقت ذاته ٨ جنود مشاة يستطيعون القتال اثناء سير العربة على مقربة من الدبابات ) والتي يمكن اعتبارها بمثابة دبابة خفيفة برمائية ذات قدرة نارية وحركية ممتازة .

وهذه الدبابات والاليات المدرعة موزعة على تشكيلات مدرعة وميكانيكية عدة في الجيش العراقي ، تضم ٤ فرق ( الفرقة مؤلفة من لواءين مدرعين ولواء مشاة ميكانيكي ، وتضم ٧ كتائب دبابات و ٥ كتائب مشاة ميكانيكية فضلا عن وحدات مدفعية هاوتزروم/ط ) ، ولواء مدرعا مستقلا، وفرقتي مشاة ميكانيكية ( الفرقة مؤلفة من لوائي مشاة ميكانيكيتين ولواء مدرع، اي ٧ كتائب ميكانيكية و٥ كتائب دبابات ووحدات مدفعية مختلفة ) ، ولواء حرس جمهوري ميكانيكي ، و٤ فرق مشاة من بينهما فرقتان جبليتان ( الفرقة تضم لواء مشاة ميكانيكيا ولوائي مشاة محمولين في اليات عادية ) ، ولوائي مشاة محمولين مستقلين ، ولواء قوات خاصة ( مغاوير ) .

والقوة البشرية الاجمالية لهذه التشكيلات تقدر بنحو ١٦٠ الف جندي ويمكن للجيش العراقي ان يدعم الجبهة السورية والجبهة الاردنية في حال توافر ظروف سياسية وعسكرية تسمح بذلك ، بتشكيلات تتراوح بين ٣ و٤ فرق مدرعة، وفرقة ميكانيكية ، وفرقة مشاة ، ولواء قوات خاصة . اي بقوات مقاتلة تقدر بعدد يراوح بين ٧٥ و ٩٠ الف جندي ، وما بين ١٣٥٠ و ١٧٠٠ دبابة ، عدا قطع المدفعية المختلفة الانواع .

وهي قوة تعوض، الى حد كبير ، خروج القوة العسكرية المدرعة المصرية من جبهات المواجهة المسلحة مع اسرائيل ( التي لديها ٢٠٠٠ دبابة تقريبا ، والموزعة على فرقتين مدرعتين و ٣ فرق مشاة ميكانيكية و ٣ ألوية مدرعة مستقلة ) وتدعم القوة العسكرية السورية المؤلفة من نحو ٥ فرق مدرعة و ٣ فرق مشاة ميكانيكية ، عدا بعض التشكيلات المستقلة الاخرى من مشاة ومغاوير ومظليين ، والتي تضم حوالي ٢٧٠٠ دبابة ، ونحو ١٠٠ قانص دبابات، واكثر من ١٦٠٠ عربة قتال وناقلة جنود مدرعة ، من بينها نحو ٢٠٠ عربة « بمب - ١ » .

وبهذا يصبح لدى الجيشين السوري والعراقي على جبهات القتال عدد يتراوح بين ٤٠٠٠ و ٤٤٠٠ دبابة ( وهو رقم قريب من التقدير الاسرائيلي القائل بنحو ٤٧٠٠ دبابة ، والذي يدخل في حسابه كافة الدبابات الموجودة لدى الجيش العراقي )، مقابل نحو ٣٦٠٠ دبابة نقدر وجودها لدى الجيش الاسرائيلي ، مما يوجد توازنا استراتيجيا في القوات البرية .

وفي حالة انضمام الاردن عسكريا الى القوة العربية المذكورة ، ستتوافر للجيوش

الثلاثة في الجبهتين الشمالية والشرقية ما بين ٤٦٠٠ و ٥٠٠٠ دبابة ٠ فضلا عن اتساع خطوط المواجهة وما يطرحه من امكانات مناورة هجومية ودفاعية ، على المستوى الجغرافي ـ الاستراتيجي الذي لا يلائم المصالح الاستراتيجية الدفاعية لاسرائيل بطبيعة الحال ٠

وفي الوقت ذاته ، سيلحق بميزان القوى الجوي تغير كبير لصالح الجانب العربي نتيجة لتوحيد القدرات العسكرية السورية ـ العراقية ٠ اذ ان الطيران العراقي يضم نحو ٣٨٠ طائرة قتال ، والطيران السوري يتألف من حوالي ٤٧٨ طائرة قتال ، وبذلك يكون مجموع طائرات القوتين معا نحو ٨٥٨ طائرة قتال ( وهو تقدير قريب من تقدير الاستخبارات الاسرائيلية القائل بنحو ٩٠٠ طائرة ) ٠ ولكن الرقم الاكثر دقة ، من حيث عدد الطائرات الممكن اشتراكها في القتال ، فوق جبهات القتال في سوريا والاردن ، من جانب العراق ، هو نحو ٢١٠ طائرات قتال ، تضم حوالي ١٨ « ميغ ـ ٢٣ » ، و ٧٢ « ميغ ـ ٢١ »، و ٣٦ « ميغ ـ ٢٧ »، و ٦٠ « سوخوي ـ ٧ » ، و ١٢ « ت يو ـ ٢٢ » ، وفي هذه الحالة سيبقى في العراق لحماية اجوائه ، وكاحتياط استراتيجي ، نحو ١٨ « ميغ ـ ٢٣»، و ٤٣ « ميغ ـ ٢١»، و ١٨ « ميغ ـ ٢٧ » ، و ٣٠ سوخوي ـ ٢٠ » ، اضافة الى عدد من الطائرات القديمة الاخرى من طراز « هوكر هنتر » يبلغ نحو ٢٤ طائرة ، و ٣٠ ميغ ـ ١٧ ، وعدد من الطائرات المساندة القريبة الصالحة للحرب المضادة للعصابات يبلغ نحو ٢٥ طائرة « ل ـ ٣٩ » التشيكية ( وتستخدم في التدريب ايضا ) ٠ وفي هذه الحالة يصبح اجمالي القوة الجوية العربية على جبهات القتال نحو ٦٨٨طائرة قتال ، يمكن ان تبلغ نحو ٧٨٨ طائرة في حالة انضمام الاردن الى القوة المذكورة، اذ ان لديه نحو ١٠٠ طائرة « ف ـ ٥ » و « ف ١٠٤ » ٠

ويشكل الدعم الجوي العراقي عاملا مهما في تقويم الخلل الاستراتيجي القائم حاليا بين سوريا واسرائيل ، وذلك لانه سيؤدي الى تساو في عدد الطائرات تقريبا بين الطرفين ( ٦٨٨ طائرة سورية ـ عراقية مقابل ٦٨٠ طائرةاسرائيلية ) ، وان كان سيبقى ، رغم ذلك ، عدم تساو في القوة النارية الجوية للطرفين ( على اساس مساهمة العراق بنحو ٢١٠ طائرات ) ، اذ تقدر قوة القصف العملية للقوة العربية المذكورة بنحو ١٣٢٠ طنا من القنابل في الطلعة الواحدة ، مقابل نحو ١٥٢٧ طنا تملكها القوة الجوية الاسرائيلية ٠ ولكن تجميع الطائرات الحديثة الموجودة لدى الدولتين ، من انواع « ميغ ـ ٢٣ » و«ميغ ـ ٢٧ » و « سوخوي ـ ٢٠ » ، سيكون له اثر هام في مواجهة امتلاك الطيران الاسرائيلي لنحو ٢٥٠ طائرة « فانتوم »، و ٢٥ طائرة « ف ـ ١٥ » ، و ١٠٠ طائرة « كفير » ٠

والجدير بالذكر ان خطوات التقارب السياسي والعسكري العراقي ـ السوري قد ترافقت مع جهود عراقية تهدف الى محاولة ضمان تحييد ايران سياسيا وعسكريا ( من خلال دعمها المحتملللاكراد في شمال العراق ) ، اذ قام رئيس الاركان العراقي الفريق « عبد الجبار شنشل » بزيارة الى طهران يوم ٧٨/١٠/٩ استمرت نحو اسبوع ، اجرى فيها محادثات مع نده الايراني « غلام رضا ازهري » ٠ وفي الوقت ذاته بدأ العراق يتخذ خطوات هامة على صعيد دعم القدرات اللوجستيكية لجبهات القتال ، تمثلت في البدء بانشاء خط حديدي بين بغداد والحدود السورية، ستبلغ تكلفته نحو ٢ مليار دولار ، ويتم تنفيذه خلال ٤٨ شهرا ، وقد وقع العقد الخاص به مع شركة عالمية يوم ١٠/٢/ ١٩٧٨ ٠

وهذه خطوة بالغة الاهمية ، ليس فقط على المستوى العسكري ، وانما على

المستوى السياسي والاقتصادي والحضاري القومي ايضا ، بحكم انها اجدى الخطوات العملية على طريق الوحدة العربية · فلقد كان عدم ربط الدول العربية بخطـــوط حديدية هدفا دائما من اهداف السياسة الاستعمارية منذ اتفاقية « سايكس بيكو» عام ١٩١٦ ، بحكم ان صعـــوبة طـــرق المواصلات البرية الرئيسية في الـــوطن العربي تساعد على تكريس التجزئـــة والقطرية ، التي تخدم في النهاية المصالح الاستراتيجية الامبريالية واسرائيل ·

هذا ، وقد اعيد تشغيل القسم السوري من خط السكة الحديدية الذي يربط العراق بتركيا ، والبالغ طوله ٨٠ كلم ، يوم ٢٩/ ٧٨/١٠ ، كنتيجة عملية للميثاق السوري ـ العراقي الجديد ، وبعد فترة توقـــف استمرت نحو سنة · وهو خط يمكـن ان يفيد المجهود العسكري بصورة جزئيـة ، نظرا لوجوده في اقصى شمال سوريـا ، ولكن تشغيله يكتسب دلالة سياسية مهمة·

**« تأخير تسليم الاسلحة الاميركية لمصر »**

صفقة الطائرات الاميركية المقاتلة من طراز « ف ـ ٥ اي » ، المؤلفـــة من ٥٠ طائرة ، والتي وافق الكونغرس الاميركي على بيعها لمصر ضمن ما عرف بصفقـة الطائرات الثلاثية التي تضمنت بيع ٧٥ طائرة « ف ـ ١٦ » ، و ١٥ طائرة«ف ـ١٥» لاسرائيل ، و٦٠ طـــائرة « ف ـ ١٥ » للسعودية ، يبدو ان تنفيذها يتعثر · ففي ٧٨/٨/١٦ نشرت صحيفة « القبس » ، نقلا عن مراسلها في واشنطن، ان الحكومة الاميركية ابلغت مصر ان ثمن الخمسين طائرة مقاتلة من طراز « ف ـ ٥ » سيرتفع الى ٧٠٠ مليون دولار وليس ٤٠٠ مليون دولار كما كان مقدرا من قبل ، وان مصر ابدت موافقتها على هـــذا التعديـل في السعر ·

وكان من المفروض ان تتسلم مصـــر الدفعة الاولى من هذه الطائرات ، وعددها ١٠ طائرات ( ثمانية منها من النـــوع المخصص للتدريب ) ، في اواخر ايلـول ( سبتمبر ) ١٩٧٨ · ولكن الولايات المتحدة لم تسلم اي طائرة من هذه الدفعة الاولى الى مصر بسبب امتناع السعودية عن دفع ثمن الطائرات ، التي قالت مصادر اميركية انها تبلغ ٦٠٠ مليون دولار · وهو مـــا اشارت اليه مجلة « اكتوبر » المصريـــة في ٧٨/١١/٤ ، واوضحت ان السعودية طلبت ايضاحات من « واشنطن » حـــول اسباب ارتفاع الثمن المفاجىء ·

ويبدو ان السعودية تعمدت تأخير سداد الثمن المطلوب نظرا لعدم رضاها عـــن اتفاقية « كامب ديفيد » ، فضلا عن عـدم موافقتها على رفع السعر على هذا النحو، خاصة وان ذلك يرتبط في الوقت ذاتـــه بمغالاة اميركية في ثمن طائرات «ف ـ١٥» المتفق على بيعها اليها قياسا بثمن الخمس عشرة طائرة من الطراز ذاته التي ستبيعها لاسرائيل ، اذ ان الولايات المتحدة تطلب من السعودية دفع مبلغ ٤١ مليون دولار عن كل طائرة من طائرات « ف ـ ١٥ » ، وان يتم الدفع فورا عند التسليم ، علـى حين انها ستبيع الطائرات المماثلة لاسرائيل بسعر ٢٨ مليون دولار للطائرة الواحدة، وعلى ان يسدد الثمن بالتقسيط !

وفي الوقت ذاته ، فان الولايات المتحدة لم تستجب بعد لطلبات مصر الاخـــرى من الاسلحة ، التي كان وزير الحربيـــة المصري السابق الفريق اول « الجمسي » قد طلبها اثناء زيارته للولايات المتحدة في حزيران ( يونيو ) الماضي ، والتي تضمنت نحو ٨٠٠ ناقلة جنود مدرعة مـــن طراز «م ـ ١١٣» ، التي باعتها الولايات المتحدة لعدد من الدول ومنها اسرائيل ، بالاضافة الى دبابات وصواريخ مختلفة الانـــواع واجهزة الكترونية · فقد اوضحت مصادر قريبة من الحكومة الاميركية في واشنطـن في ٧٨/١٠/١٦ ان المحادثات حول هـذا الموضوع مجمدةفي انتظار التقدم السياسي والديبلوماسي في الشرق الاوسط ، علما

بأن الحكومة الاميركية كانت قد اقـــرت مساعدة عسكرية قيمتها ٣ر٢١٩ مليـــون دولار هذه السنة ، على حين ان قيمـــة المساعدة العسكرية الاميركية لاسرائيـــل ستبلغ ١٨٠٠ مليون دولار ، ما بين قروض وهبات ، ولم يحدث تأخير في تنفيـــذ صفقات الاسلحة المتفق عليها ، فقـــط ، طلبات اسرائيل الخـــاصة بمزيد مـــن طـــائرات « ف ـ ١٥ » و « ف ـ ١٦ » ( بالاضافة لصفقة الـ ١٥ طائرة «ف ـ ١٥» و ٧٥ طائرة « ف ـ ١٦ » )، وصواريـخ أرض ارض من طراز « بيرشينغ » بعيدة المدى ، هي التي تجمد الولايات المتحـــدة الاستجابة لها الى حين انجاز معاهـدات السلام وتنفيذها · وذلك طبيعي ، ضمن سياستها الهادفة لضمان تفوق اسرائيل العسكري على مصر ·

**« بدء بناء مصنع طائرات هليكوبتر « لينكس » في مصر »**

اعلنت شركة « جون لينغ » البريطانية في ٧٨/١١/٢ انها فازت بعقد قيمته ٥ر١٢ مليون جنيه استرليني لبناء مصنـــع لطائرات الهليكوبتر العسكرية في مصر ، وان بناء المصنع الذي يقع في « حلوان»، الضاحية الجنوبية للقاهرة ، سينتهي في موعد لا يتعدى ايار ( مـــايو ) ١٩٨٠ · وسيبدأ فور ذلك في انتاج طـــائرات هليكوبتر من طراز « لينكس » · وقـد تم توقيع العقد مع الهيئة العربية العليـــا للتصنيع الحربي الـــتي انشأتها مصـــر والسعودية وقطر ودولة الامارات العربية المتحدة ·

وتجدر الاشارة ان هذا المصنع يشكل احد ثلاثة مصانع تم الاتفاق عليها بيـن الهيئة المذكورة وبريطانيا في مجـــال الصناعة الحربية في ٧٨/٣/٤ بين وزير الحربية المصرية السابق « عبـــد الغني الجمسي » ووزيـــر الدفاع البريطـــاني « فريدريك موللي » ، والمصانع الثلاثـــة تتعلق بتصنيع محركات وهياكل طائرات « لينكس » ، وصواريخ « سوينغ فاير » المضادة للدبابات ، وليس من الواضـح ما اذا كان المصنع الذي ستبنيه الشركـة المذكورة يتعلق بالمحركات ام بالهياكل،وان كان من الارجح ، وفقا للتقاليد المتبعـــة من قبل الدول الامبريالية في مثل هـــذه الحالات ، ان يكون مصنعا للهياكل ·

والمفروض ان الصفقة الاولى لهـــذه الطائرات ، التي يمكن ان تستخدم ضـد الدبابات او ضد الغواصات ، تتضمن ٥٠ طائرة لمصر ، ٢٠ منها ستصنع فيبريطانيا و ٣٠ ستصنع في مصر ، وان العـــدد الاجمالي من الطائرات الذي سيتم تصنيعه في مصر سيبلغ ٢٣٠ طائرة على الاقل ، وان عدد المحركات المنتجة سيبلغ ٦٩٠ محركا تقريبا ، اضافة الى ٦٠ محركـــا سيتم توريدها مباشرة ، ( لمزيـد مـــن التفاصيـــل عن الطائـــرة انظر قضايـــا عسكرية ، شؤون فلسطينية ، عدد ٧٨ )، والمفروض ان الانتاج سيوزع على كل من مصر والسعودية وقطر ودولة الامـــارات العربية المتحدة · والسؤال الان هو : مـــا مصير هذا المشروع ، كل المشاريع الاخرى المتعلقة بهيئة التصنيع العربية المـذكورة بعد الخلافات التي تجلت بين مصـــــر والدول المذكورة حول اتفاقيات « كامـب ديفيد » ، والتي اكدتها مقررات مؤتمـــر القمة العربي في بغداد مؤخرا ؟ ·

**محمود عزمي**

محمود درويش

# الأقبـــــيَة

فلتواصلْ نشيدكَ باسمي . هل اخترتُ أُمّي وصوتَكَ ؟ صحراءُ صحراءُ
ولتكن الأرضُ أَوسعَ من شكلها البيضويِّ . وهذا الحمامُ الغريبْ
حمامٌ غريب . وصدِّق رحيلي القصيرَ الى قرطبهْ .
وافتراقي عن الرمل والشعراء القدامى ، وعن شجر لم يكن إمرأه .
أَلبدايةُ ليست بدايتنا ، والدخانُ الأخيرُ لنا
والملوكُ اذا دخلوا قريةً أَفسدوها ،
فلا تبكِ ، يا صاحبي ، حائطاً يتهاوى
وصدِّق رحيلي القصير الى قرطبه
وواصلْ نشيدك باسمي . هل اخترتُ أُمي وصوتك ؟ صحراءُ صحراءُ

سَهْلٌ وصعبٌ خروجُ الحمام من الحائط اللغويِّ ، فكيف سنمضي
الى ساحة البرتقال الصغيرة ؟
سَهْل وصعبٌ دخولُ الحمام الى الحائط اللغويِّ ، فكيف سنبقى
أمام القصيدة في القبو ؟ صحراءُ صحراءُ

أذكر أني سأحلُمُ ثانيةً بالرجوع
ــ الى أين يا صاحبي ؟
ــ الى حيثُ طار الحمام فصفّق قمحٌ وشقّ السماء
ليربط هذا الفضاءَ بسنبلة في الجليلْ
ــ هل نَجَوْتَ ، إذن ، يا صديقي ؟
ــ تدلّيتُ من شرفة الله كالخيط في ثوب أُميِّ الطويلْ
وارتطمتُ بعوسجةٍ فأنفجرتُ .. ولم تنطفئْ
ــ ولماذا تريد الرحيلَ الى قرطبهْ ؟
ــ لأنيَ لا أعرفُ الدرب ؛ صحراءُ صحراءُ

غنَّ التشابهَ بين السؤال وبين السؤال الذي سيليه
لعلّ انهياراً سيحمي انهياري من الانهيار الأخير
أنا ألفُ عامٍ من اللحظة العربية ، أبني على الرمل ما تحمل الريحُ
من غزَوات ومن شهوات وعطر من الهند . أذكر درب الحرير

الى الشام . أذكر مدرسةً في ضواحي سمرقندَ ، وامرأةً
تقطف التَمْرَ من كلماتي وتسقط في النهر
– هل يقتلون الخيولْ ؟
– والبخارَ الذي يتسلّل من دمنا في اتجاه الصدى
– هل تموتُ كثيراً ؟
– وأحيا كثيراً ، وأُمسكُ ظلّي كتفّاحة ناضجةْ
ويلتفّ حولي الطريق الطويلْ
كمشنقة من ندى
وأوقنُ . يا صاحبي . أننا لاحقان بقيصرَ .. صحراءُ صحراءُ

غنّ انتشاري على جَسد الأرض كالفُطْر . إنّ الغجرْ
يكرهون الزراعةَ .
لكنهم يزرعون الخيول على وَتَرَيْنْ
ولا يملأون التوابيتَ قمحاً كمصرَ القديمةْ .
ولا يرحلون الى الأندلسْ
فرادى :
وغنّ الحقولَ التي تركض الشمس والقلب فيها ولا يتعبان...وصحراءُ

صحراءُ ! من ألف عام أتيتُ الى الضوء
هُمْ فتحوا بابَ زنزانتي فسقطتُ على الضوء

ضيِّقةٌ خطوتي ، والمسافات بيضاءُ بيضاءُ ، والبابُ نهرٌ
لماذا تُقام السجون على ضفّة النهر في بلد يشتهي الماء ؟
هم فتحوا باب زانزانتي فخرجتُ
وجدت طريقاً فسرتُ
الى أين أذهب ؟ في باديء الأمر قلتُ : أُعلِّمُ حرّيتي المشيَ ، مالتْ علي ، استندتُ اليها ، وأسندتها ، فسقطنا على بائع البرتقال العجوز ، وقمتُ ، وكدّستُها فوق ظهري كما يحملون البلاد على الإبْلِ والشاحنات ، وسرتُ . وفي ساحة البرتقال تعبتُ ، فناديتُ : أيتها الشرطة العسكريّةُ ! لاأستطيع الذهاب الى قرطبهْ
وأحنيتُ ظهري على عَتَبَهْ
وانزلتُ حُرّيتي مثل كيس من الفحم ، ثم هربت الى القبو ؛
هل يشبهُ القبوُ أُميِّ وأُمك ؟ صحراءُ صحراءُ

ما الساعةُ الآن ؟
لا وقت للقبوِ
ما الساعة الآن ؟
لا وقتَ ...

في ساحة البرتقال تصدّقنا بائعاتُ السيوف القديمة ، والذاهبون الى يومهم يسمعون النشيد ولا يكذبون على الخبز ؛ صحراءُ في القلب ،

مزّق شرايينَ قلبي القديم بأغنية الغجر الذاهبين الى الأندلسْ
وغنِّ افتراقي عن الرمل والشعراء القدامى ، وعن شجر لم يكن إمرأه
ولا تمتِ الآن ، أرجوك ! لاتنكسر كالمرايا ، ولا تحتجب كالوطنْ
ولا تنتشرْ كالسطوح وكالأوديه

فقد يسرقونك مثلي شهيداً
وقد يعرفون العلاقة بين الحمامة والأقبيهْ
وقد يشعرون بأن الطيورَ امتدادُ الصباحِ على الأرضِ والنهرَ دُبُوسُ
شَعْرٍ لسيِّدة تنتحرْ .
وانتظرني قليلاً قليلاً لأسمع صوت دمي
يقطع الشارع المنفجرْ
كنتُ أنجو
— ولا تنتصرْ !
— وسأمشي
— الى أين يا صاحبي ؟
— الى حيث طار الحمام فصفق قمحٌ
ليُسْند هذا الفضاء بسنبلة تنتظرْ .
فلتواصل نشيدك بأسمي
ولا تبك يا صاحبي وتراً ضاع في الأقبيه .

انها أغنيه
انها أغنيه !

محمد براده

# والشيء بالشيء يذكر

"قصة"

**١) من بلغ لسانه ارنبة انفه**

**اكتب ٠**

**ـ ما انا بكاتب ٠**

**اكتب ٠ اكتب ٠**

يخفت الصوت شيئا فشيئا وتعود المواد لتنتصب في صفاقتها كواجهات العمارات وهياكل السيارات ٠ تتحول النظرة الثاقبة الى رنوة تائهة متفرجة ٠٠٠ الذاكرة ملأتها الثقوب ؟ ام تراكمت على سفوحها الاحداث والهزات فتعطل يعسوبها وتجمد عقرباها ؟

اكتب ، فالكتابة تعبير كما يقال ، تعبير عن الاشياء والحقائق والاكاذيب والاعراض والجواهر ، والباقي والفاني ، تعبر بها من شاطىء اللامعرفة الى صلب الموضوع ٠ تبدد بها الشكوك الرائنة على الافئدة والعقول ، فيصفق لك من يقرأك ولا يستطيع التعبير عما يحسه ، لانه لا يمتلك موهبتك وقدرتك البيانية ٠ اكتب اذن ٠٠٠

ـ ما انا بكاتب ٠

كالجرو الحرن تصم اذنيك عن الاسئلة المتساقطة ـ المنبعثة ـ المتداخلة ، عاريا تبدو امام المجتمع ـ التيه ٠ من اين نبدأ ؟ ما وزن الكلمات ؟ ما تبتعثه من

مرقده وما تدخره ؟ هل تغترف من الذاكرة الملأى ام من الالياف المحترقة والاجساد المنكوبة بمياسم التعذيب ؟ ٠

انت ايضا تتوهم ان التاريخ هو ما تبقى في الفضاء ، لا ما يتجـــذر فـــي الذاكرة والاعصاب ، وبينهما ينفلت الزمن كطائر ازرق يغمس جناحيه فـــي السواحل اللازوردية كلما استشعر ثقل الاحداث ٠

لست مثلك ٠ لست مثله ، البير كامي ، الذي لم يرد ان يكون لا الضحية ولا الجلاد ٠٠٠ بينما يكون الخوف والتوقع والخصاء والعنة ٠ الحركة سجال ، مجادلة ، والتاريخ يوجد فينا بقدر ما نعي حركته ونحاورها بقوانينها ٠

كلام عام ؟

فعلا ٠ لكن اي شيء خاص يجسم لك ما احسه ؟ ما الفرق بين خمس صفحات والف صفحة اكتبها بالحبر ، او اطبعها بأناقة على ورق صقيل ؟ ٠

لا اريد ان اكتب ما تتوقعه ٠ اريد ان اكتب اشياء كثيرة تبدو متنافـــرة ، متصالبة ، مبتوتة الصلة ، حضورها يجسد الغياب ، يســمي الاشــياء التي لا ادركها الا في حالة تعارض وتشابك ، ومن داخلها ينفصل ذلك الشيء المفاجيء ، الغامر ، كالومضة او كاللمحة او كالشهوة او كالنار في الهشيم ٠

بودي كلما كتبت ، ان اكتب عما لم اكتبه ٠ عما حاصرني ٠ ارقني ٠ اكتسح ذاكرتي ٠ شل حركتي ٠ اكتب عن « تجربة » ، لكن بودي لو استطيع ان اكتب عن الهواجس والهلوسات والهذيان واحلام اليقظة ، وسيناريو ليالي السهاد ٠ من يستطيع ان يلتقط هذه الكتابة الشفوية ـ البصرية ـ اللاواعية ـ المستمرة كوجع لا يهدأ ؟ ٠

من يستطيع ان يكتب كتابة مضادة لكل ما يغتصبنا من خطـــب مذياعيـــة وتصريحات برلمانية ، وافتتاحيات نارية ، وثرثرات بليدة مدعية ؟ ٠

اين هي الكتابة ، اذن ، وسط اكوام الاوراق والمجلدات ؟ ٠

لو ان هناك مقياسا نستهدي به ، لاعفينا الكثيرين من التذبيح والتهجير ٠ انت تعرف ان ليس هناك من مقياس ، فلنقل على سبيل الفكاهة :

« من بلغ لسانه ارنبة انفه ، فكتب ، لم يدخل النار » ٠ ولا شك انك ستضيف ـ مثلما اضاف صاحب كتاب الاغاني ـ « فما بقي واحد الا اخرج لسانه يومىء به نحو ارنبة انفه ! » ٠

## ٢) الغائب ـ الحاضر

طرقنا بابك امس ٠

على غير العادة ، لم يطل وجهك بابتسامته النفاذة ليعانق الوافدين ٠ لا احد في البيت ٠ لمن نلجأ في لحظات الحيرة والتمزق وانسداد الآفاق ؟ ٠

عاودتنا الذكريات ٠

اراك ، لا ازال ، تجوس ازقة الرباط ممتطيا سرج دراجتك ٠ تحيي المـــارة احيانا ، واحيانا تترجل احتراما لشيخ او فرحا بلقاء مناضل ٠ كنت ســـلك كهرباء يهمش الاوصال المرتخية ، ويدفىء النفوس المقرورة ٠

صوتك ملأ رحاب الازقة والدواوير والاحياء والمعاهد ٠ نحسك منبجسا مـن اعماقنا ، تتلمس الطريق معنا ، متكئا علينا لمقاومة الاخطبوت ٠

كنت تكبر ونكبر معك ٠ مهما استطالت المسافة المجتازة تظل اصابعك منغرسة في راحاتنا ، ونطفاتك مصبوبة في ارحامنا ٠

نطرق بابك لتستقبلنا بعد انتهاء تجمع او محاضرة او سفرة طويلة ٠٠ واحيانا بعد محاولة فاشلة لاغتيالك ٠ لكنك كنت ، دائما ، تبعث الثقة ٠ تبدد الشكوك ٠ تهزم المخاوف ٠ مرحك لا يفارقك حتى وانت تتحدث عن اعدائك ، واعدائنا

تذكر ولا شك « مبارك القصادري » ، مناضل من دوار الدوم ٠ قابلته هـذا الاسبوع : عيناه ضحكتان ، عثنونه الاشيب يؤطر وجهه المستدير ، والطاقيـة تضفي عليه مسحة الحكيم المتجول ٠ استغربت لكون الزمن لم ينل منه ٠ عجزت عن تحديد سنه ٠ لم يتغير في نظري منذ عشرين سنة خلت يوم عرفته ٠ تضاعف استغرابي حين سمعته يتحدث عنك من دون ان يضيف مثل الاخـرين « رحمـه الله » ٠ كان يستشهد بأقوالك كأنه قابلك منذ حين ٠ تساءلت : ما الذي يجعـل انسانا مسحوقا فقيرا يواصل النضال بالحيوية والحماسة نفسهما ؟ ٠٠

لن اجاملك ، فشيء منك لا يزال في دماء رفيقنا مبارك ، وفي دماء الكثيرين من دوار الدوم وحي يعقوب المنصور ٠ المبادىء اولا ، ستقول ٠ نعم ٠ لكن هناك الرجال الذين يجسدون المبادىء ويوشجون العروق والاهداف ٠

تسألني عن التبدلات ؟ ٠

كثيرة هي منذ رحلت : في الاشياء والظروف اولا ، ثم في النفوس والمشاع والوعي بدءا من الاتساع العمراني ( ان الفيلات تنبت كالفطر ) ، الى ارتـــال الصغار الجياع والمراهقين العاطلين ٠ كنت تستبصر الصراع وهو مخاض ،

والتصنيف الطبقي وهو جنين ، غير اننا اليوم نعيشه دوامة متلاحقة في ركاب ليبرالية ـ قسرية تشيد تبرجزا انت تعرف محتواه ٠

ولاعترف ، يا صاحب « الاختيار » ، : اشياء كثيرة فاجأتنا بدورنا : اهو نقص في التحليل ؟ ام انحراف عند الممارسة ؟ ام تراكم للاخطاء القاتلة ؟ ٠ ما جدوى ان ننبش الجراح وهي راعفة لا تزال ؟ ٠

كل جيل له حدوده وتناقضاته واوهامه ، وما يعطي القيمة لمساهمته في مسيرة تاريخ شعبه هو استمرارية التواصل بين الاجيال لدعم مكاسب التحرر والانعتاق من الاستغلال ٠ ستسأل ، اذن ، اين الشباب ؟ ٠

يتوافدون من جديد على الساحة ٠ يتجمعون عبر رؤية تتضح بقدر ما تنجلي الغشاوات ٠ يتذكرون رفاقهم وراء القضبان ٠ يتذكرون من سبقوهم على الدرب نفسه ، فماتوا ، او خطفوا ، او هاجروا ، او تعبوا ٠ ويلملمون اطراف تاريخ ساخن يهدر في الشرايين والاوردة ، ثم يعيدون التحليل والتفسير ليصححوا الاختيار ٠ ما اطول الطريق ! ٠

ترى كيف انك لست غائبا عنا : فاهتماماتك وتطلعاتك هي محور اهتماماتنا وتطلعاتنا ، رغم ما قد يبدو من عياء او تمزق او حيرة ٠ لكنني اريد ان اعترف مرة اخرى بأن كل « الاخطاء القاتلة » يمكن ان تعالج الا بعادك ٠ نحن نعلم انك استشهدت من اجل القضية ، « غير ان الحزن بأعماقنا ليس يدري » ٠ حزانى نحن لفراقك : اقولها بلوعة الطفل لليتم ، وبحرقة الغصن المتيبس ، وبصدق الجموع المغبونة المسلوبة الارادة ٠

ها صوتك يتمتم بالحزن اياه ، لكن بلهجة الواثق بأطفاله ٠ تتمتم على لسان احد الابطال المسرحيين :

« وداعا يا رجالي ٠ حاولوا ان تحيوا ، فكل شيء جديد هاهنا ، وكل شيء يحتاج الى ان يبدأ من جديد ، وبالنسبة لي ايضا الحياة تبدأ : حياة غريبة »٠

### ٣) وما دام الشيء بالشيء يذكر

وتابع الرجل السمين حديثه من الشاشة الصغيرة ويداه تعدلان نظارتيه الملصقتين على عينيه الغائرتين ، من دون ان يتوقف او ان يسمح للمذيع ان يقاطعه وكأنه قادر على الاستمرار في الكلام ثلاثين ليلة بنهاراتها :

« ٠٠ وكنت انا والحاج الفاطمي نسجل ذلك في كناشات صغيرة . ونختزنها في صناديق خشبية الى ان يجيء الوقت المناسب لتعميم فائدتها ، ولحد الان لم يصل الوقت ، ولكنه سيصل بحول الله ، فننشر تلك المدخرات الغنية ليستضيء

بهديها الناس ، ويعم نور المعرفة والحقيقة · وما دام الشيء بالشيء يذكر فلا بأس ان اذكر لكم بأن الاكل بالاصابع هو من علامات الحضارة والتمدن ، لا من صفات التوحش ، كما يزعم البعض · وهذا ما اكده لي كثير من الاوروبيين في مناسبات عديدة كنت اتشبث فيها بمبدأ الاكل بالاصابع ، واسابقهم فأسبقهم حيث ازدرد نصف خروف وهم لا يزالون يفتشون بالسكين والشوكة عن قطع لحمية يقتطعونها ، فكنت اضحك منهم ، واقنعهم بأن يفعلوا مثلي · وفعلا ، وجدوا لمس اللحم والدجاج ولوز البسطيلة وتكوير سميد سكسو باليد يعطينا احساسا مباشرا بالاشياء ، وهو اكثر صحية مما ابتدعته الحضارة الصناعية ، والدليل على ما اقول ( وهذا ما شهدت به الاعداء ) انني رغم بلوغي تسعا وستين سنة ، لا ازال آكل مقدار ما ياكله خمسة انفار منهم ، وهذا ان دل على شيء فانما يدل على ان خيرات بلادنا كثيرة ، واننا محتاجون الى شكر الله على نعمه في كل حين وآن ، ليقينا مصائب الاحتياج ، كما تقينا جلابيتنا من الحر والقر ، وتستر عورتنا ، وانتفاخ بطوننا · وما دام الشيء بالشيء يذكر ، فلا بأس ان اقول للنظارة الكرام بأنني رفضت التخلي عن جلابيتي ورزتي ، رغم انني عشت في اوربا سنوات وسنوات ، وتجولت في كل اصقاع المعمور ، واتقنت عدة لغات ، فكانت جلابيتي تلازمني اينما حللت وارتحلت ، وكانت بالنسبة للاخرين مصدر غبطة وتقدير » ·

## ٤) الانبذة الجيدة لا تصب في كل القلوب

اعرف صوتك جيدا وهو يرتعش ، اقرأه من خلال سطور رسائلك · اتخيل رفة هدبك وقد طالت في اغماضة تقتنص الكلمة ، والتجاعيد المحيطة بفكك تعبر عن قرفها وغضبها على عالم يريد ان ينفي من دائرته كل هامشي مقلق لطمأنينة « اهل البلاد » الآسنين · اتصور الفضاء الشاسع المضيع تطل عليه في رحلة العذاب : هل من جدوى ، فعلا ، في التمييز بين العقل والجنون ؟ ·

اعانق الوجه الاخر من خلال كلمات رسائلك المرتعشة :

« هذا هو اليوم الثاني عشر اقضيه في المستشفى · داخل المستشفى اتمشى تارة ، واخرى اجالس احد المرضى الاذكياء ، فيحكي لي عن مآسي حياته · من المستحيل هنا ان تسمع ذكريات جميلة ، وحتى اذا كانت فهي ممزوجة بالكآبة · اين هي الذكريات الخالصة الجمال ؟ ·

« ·· الاحساس بالكتابة بدأ يغزوني في هذا المورستان · عندما اخرج من هنا سأحاول ان اغير حياتي (···) الساعة الان التاسعة مساء · اكتب لك من فراشي · لقد دخلت في الخامسة الى منزلي · قضيت حوالي ساعتين في قراءة سورة « المائدة » ، ثم تعشيت جزرا وبصلا وخرشوفا وزيتونا وجبنا · عشاء

صحي · لا تظنني صرت نباتيا · طلقت عشرة الاغبياء اشرب احيانا ما تيسر من نبيذ او جعة او كونياك ، واستمع لـ « ليو فيرا » يغني : ذلك الجرح ·

« ·· الفأر الذي اتحدث عنه في قصتي « المستحيل » ، كان صديقا لمحمد زفزاف · زفزاف كان يحب النوم في المطبخ ( يومها كنت اسكن في طريق رابليه بمنزل ارضي · وكان الفأر يحب ان يلعب « كاش كاش » فوق وجه زفزاف الذي ضاق بلعبة الاستغماية وصرخ مرارا مطالبا بقتله · امسكت ليلة هراوة صغيرة واختبأت للفأر في المطبخ والنعاس يغالبني ، وزفزاف نائم ، وعلى وجهه فوطة · فجأة ظهر الفأر الصغير محدقا في بلا خوف · لم استطع قتله : شيء نحيل · كان جميلا ومسكينا · ربما فهم الامر فكف عن القفز فوق جسم زفزاف · من يومها ادركت ان الفئران ايضا تحمق فتستحق الشفقة اذا لم تفر ·

« ··· عندما استلمت رسالتك كنت شبه فاقد وعيي · بدت لي رسالتك كأنها رموز هيروغليفية · وضعتها في جيبي ولم اقرأها الا بعد يومين : عندما صحوت من سكرتي · كنت جد متخاصم مع نفسي ، وايضا مع الناس الذين كانوا يبدون لي كأنهم مصارين محشوة ، او كأجهزة هاضمة للطعام ·

« ··· في كل عصر يوجد ناس من كل العصور · لا اريد ان اكون نسخة من التكرار الابدي · انا اريد ان اكون وحيد نفسي ، وعصري ، ولعنتي ، ورضائي وتشبثي بما انا ، بما لست بعد اياه ، بالذي كان ولم يكن · وهذا الويسكي الثاني ، والنادل الملهوف على الدرهم ، والكسل اللذيذ واجمل ما في العالم القديم ، والنظرة التي ادهش بها الان كل من ينظر اليبفضول ·· وهذه السيجارة في يدي ، والساعة الان السادسة واربعون دقيقة حسب الساعة المهداة من شركة كوكا كولا ، ··· والرشفة الثالثة من هذه الكأس ، والغضب الصاعد الان الى رأسي ، وبواب عمارتي الذي يستضيفني لاكل معه لحم العيد ، والقحاب اللائي انخفض ثمنهن في هذا العيد المبارك · ان الناس مهزومون في اعيادهم · وسحاقية فرنسية تحييني من بعيد ·· فليفهم العالم ان اسطورة ادم وحواء ·· كلا · اريد ان اقول ، هاهي ذي العبارة ( استعيرها من رامبو ) : الانبذة الجيدة لا تصب في كل القلوب ! كبير رامبو في الابداع ، صغير رامبو في الحياة ···»·

**٥) وتأكدت هذه المصالح ان الخاتم الموضوع على الطرد ليس ···**

هل كان جسدك المسجى على الطوار ، وفوق الصدر سكين حادة ، دليلا على موتك ؟ ام انك كنت ، عند من يعرفك ، في غفوة استراحة بين حلستي عمل ، والذصل المنغرس اشارة الى قلبك الحي القيوم الذي لا ينام ؟ ·

تعرف ما تريد · نعم · لكن ليس هذا فقط ما كان مصدر حب الناس لك ،

ومصدر كراهية الخصوم · فكرت فيك حاضرا وغائبا ، سجينا وطليقا ، غاضبا وراضيا ، بين اقرانك وبين من هم اكبر منك ، متحدثا في الخلايا او مع الحشود ، على ضوء ما مضى وما سيأتي ، فما خلا تفكيري من الخوف والفرح :

اما الفرح فلا حدود له : تولده نبعة متدفقة من الصخور تزحف لتملأ بحيرة في شساعة الامل والتوق ، كالفرح اليومي يفاجئنا ، وسط الكدر والغم ، من خلل ابتسامة ثغر جميل او اشارة تفيض بالمحبة او فعل يؤسس يقين المستقبل . فتدب محبة الحياة في العروق والنسوغ · انت نبعتنا تولد فرحة لا يطالها اليأس · لكن انت بالذات ، انت المتفجر شهوة للحياة ولتحطيم كل ما يمنعها او يغتالها او يدثرها برداءات المنطق المتقاعس وبالتآملات التطهرية المتداعية ·

واما الخوف ، فلا يكاد يرحل عن هواجسنا وصمتنا واحلامنا : يتبدى كابوسا بألوان الطيف ، يحيلنا الى شخوص تراقب افعالها في مسرحية للقراقيز · وما غاب عنا انك انت ، انت المرمى ، وان خوفنا قبل كل شيء مصدره فقدانك · « ما من احد لا يعوض » ستقول · نعم ، لكن الامر يصبح عندنا : موعدا مخلوفا ، انتظارا ممدودا ، تأجيلا للفرح اليومي ، دخولا في متاهات لعبة الحوار والنهي عن المنكر ·

تذكر ولا شك كل الشراك التي نصبت لك وما رافقها من « نزاهة » في البحث عن الايدي الخفية · يقظتك لم يكن اقوى منها الا الغدر ، وسخريتك عرت خلفيات ما دبجته اقلام كتبة العدالة :

« وتأكدت هذه المصالح ان الخاتم الموضوع على الطرد ليس بخاتم ادارة البريد ، سواء في شكله او حجمه او حروفه او مداده ··· وعندئذ طلبت وزارة البريد ان يسلم اليها الطرد المذكور قصد اتخاذ الاجراءات اللازمة في شأنه ··· »·

ليتخذوا ما يشاؤون من اجراءات · لكن علينا الا ننسى اننا الخاسرون في استئناف اللعبة على هذا الشكل : ما دمنا مستعدين للتلقي ، فان الطرود الملغومة لن تنتهي ·

### ٦) صوت كالصدى

أجنون ما يعتريني كلما عاودتني ذكراك ؟

غريبة تبدين : كدوحة في هجير ، كألياف قلب نازف فوق رمل متيبس ·

ها غربتي تزداد وانت مطمئنة الى جمالك المطل على الحلكة : من يقدره مثلي ؟·

ليس وجهك ، شساعة ظهرك العاجي ، الا ملجأ متمنعا للهوس الحي ابدا في

سريرتي ، للتوق الغامض الى مورد مجهول يرى في الحلم ويتبدد عند الملامسة٠

أجنون حقا هذا الذي يعتريني كلما همست ذكراك لحنا يتحدى النسيان ؟٠

لو ظلت عيوني معصوبة عشرين سنة ، ما تلاشت ملامحك المحفورة في رغائب الصحو ، وعلى نزوات الخيال ٠

اشتهيك ٠

لكن اريد ان تستحيل الشهوة قوتا يوميا يتغذى منه الجسد وغير الجسد ٠ ان تفك حصارها المضروب على الحواس والمخيلة لتنصهر في اليومي المعيش فلا يظل الفرح اعرج ، لا تظل الرغائب هوسا يشل ٠٠ لا ، ليس هذا ما اريد التعبير عنه ٠ هل يمكن لرامبو ان يسعفني كما اسعف محمد شكري بأنبذته الجيدة التي لا تصب في كل القلوب ؟٠

لا صوت يأتيني ٠ لا شيء سوى هذا الذي يطوقني كلما عاودتني ذكراك ٠

( يمكن لهذا الكولاج ان يستمر اذا توفرت القصدية نفسها )

# زيتونة فلسطين
# العم أبو سلمى

في وقت واحد ، منحت جائزة نوبل للاداب لكاتب يهودي ، اجمعت الملاحظات على انه مغمور ، ومنحت جائزة نوبل للسلام للتوأمين الشهيرين : قائد مجزرة دير ياسين مناحيم بيغن ، وقائد الاستسلام العربي محمد انور السادات ، فهل كان الامر مصادفة ؟ اذا كان الامر كذلك ، فهل كان خاليا من الدلالة ؟ لقد اعلن اصحاب جائزة نوبل فضيحة الجائزة ، وجردوا عملية منحها من اي اعتبار ادبي جاد ، ومن اي مفهوم للسلام يقترب من الشروط الفعلية لصياغة السلام الحقيقي بالاعتراف بحق الشعوب في مقاومة الغزو ، وتحقيق حريتها وتحررها من الاحتلال والاستعباد · بدلا من ذلك اعلنوا بشكل سافر ، الطقوس الصهيونية للجائزة ، فهل بقيت لجائزة نوبل اعتبارات اخرى غير قابلة للشك ؟

وفي الوقت ذاته ، منحت جائزة « لوتس » للادب الاسيوي ـ الافريقي لشاعر فلسطين الكبير أبي سلمى ، الذي مثل على امتداد نصف قرن وجدان الشعب الفلسطيني ، والشعب العربي في معاركه المستمرة من أجل تحرر الوطن وحرية الانسان · ان الاعتبارات التي تمنح جائزة « لوتس » على أساسها تجانس بين طاقة الابداع لدى الكاتب الاسيوي ـ الافريقي وبين نشاطه الاجتماعي في خدمة قضية الحرية ومكافحة الاستعمار والعنصرية والصهيونية على أرض القارتين المناضلتين · وهكذا رحب الرأي العام العربي بمنح جائزة الادب الاسيوي ـ الافريقي لشاعر فلسطين أبي سلمى ، وندد بمنح جائزة نوبل لاعداء الامة العربية واعداء حركة تحرر شعوب اسيا وافريقيا ·

من حق الشعب العربي الفلسطيني ان يفرح بهذا الانتماء ، وان يحتفل بهذا التكريم النبيل الذي يستحقه ابو سلمى ، زيتونة الادب الفلسطيني العريقة · وان اجماع الاجيال والقوى الفلسطينية على التعبير عن الفرح الفلسطيني بحصول شاعره على جائزة الجانب المضيء من هذا العالم يجسد وفاء هذا الشعب لمبدعيه · انه شكل رمزي من اشكال تحقق الوحدة الوطنية الثقافية ، ودليل حيوي على سلامة الجوهر ·

لقد عرف احد المفكرين الادب بأنه التعبير عن الكرامة الانسانية · فما أشد تطابق هذا

المعنى بين الشاعر وشعبه الذي يحقق المعجزة النضالية في صيانته لهذه الكرامة · وابو سلمى ، ابن هذا الشعب ، ظل مرفوع الرأس ، لم ينحن امام طاغية ، ولم يؤجر حنجرته لحاكم ، فذهب عبر تراب فلسطين الى كل حبة تراب في بلاد العرب ، واصغى لكل خفقة في هذه الارض ، وأحب كل أوطان الناس في كفاحها من اجل حريتها وصيانة كرامتها الانسانية · ولان ابا سلمى ينتمي الى شعب عريق النضال والجذور ، صلب الروح والارادة ، شفاف الروح ، فقد جسد هذه المزايا والمعاني في قصائده واغانيه واناشيده · غنى للثوار على قمم جبال فلسطين وعلى سفوح تلالها · جسد تمثالا عاليا من الكلمات للشهيد الكبير عز الدين القسام ، ولابي خالد ، وعبد الرحيم الحاج محمد وغيرهم من ابناء قرى فلسطين الذين انتموا للقمم كما النسور · وابو سلمى جعل قصيده معارك ، وانشب كلماته في وجوه الطغاة :

أنشر على لهب القصيد شكوى العبيد الى العبيد

وفي احد مؤتمرات الادباء ، تقمص فلسطين ، وقال وسط ارتال الشعراء المداحين :

دمي روى فلتصمت الالسن ···

وابو سلمى ، شاعر فلسطين والجمال هو الشاعر الاممي الذي غنى لابطال ستبول :

حرروا العالم المقيد حتى لا نرى غير عالم الاحرار

ايها الحاملون راياتنا الحمر وتاريخ شعبها الجبار

قبس من جهادكم غمر الدنيا فلاحت مراكب الانوار

كان دائما ، وسيبقى مع فلسطين الواحدة ، الكاملة ، الحرة ·

وماذا اقول لابي سلمى ؟ انني واحد من جنود الثقافة الفلسطينية البسطاء ، اتقدم مع طابور المتقدمين لتكريم والدهم الجليل ، وشيخهم الوقور ، ومادا يدي مبايعا لنبقى على العهد اوفياء ، متمنيا له عمرا مديدا ، ومزيدا من العطاء لثقافتنا الوطنية ، ومزيدا من التضحية لتحرير فلسطين ·

**رشاد ابو شاور**

صدر حديثا

**الاعمال الشعرية الكاملة**

**عبد الكريم الكرمي ( ابو سلمى )**

**دار العودة ـ بيروت**

# لقاء مع
# مؤلف رواية "أرض الميعاد"

صدرت منذ ثلاثة اعوام الترجمة العربية لرواية « ارض الميعاد » * للكاتب السوفييتي يوري كوليسنيكوف · وهذه الرواية جزء من ثلاثية تسجيلية مكرسة لفضح نشاط المنظمات الصهيونية ، وعلاقاتها بالدوائر الامبريالية والنازية ، وتآمرها مع سادتها الامبرياليين ، ليس على فلسطين وشعبها العربي فقط ، بل على جماهير اليهود ايضا · وكان قد صدر في موسكو جزءاها الاول والثاني ، وسيصدر قريبا جزءها الاخير · وحول نشاطه الادبي ، وموضوع ثلاثيته ونهجه التسجيلي في عرض هذا الموضوع جرى حديثنا مع الكاتب ··

**سؤال :** يعرفكم القارىء العربي من خلال ترجمة « ارض الميعاد » · فهل لكم ان تحدثونا عن نشاطكم الادبي ، وابرز نواحي هذا النشاط ؟

**كوليسنيكوف :** لقد نشرت « ارض الميعاد » اول مرة في بلادنا في مجلة « اوكتوبر » ( العددان ٩ ، ١٠ ، ١٩٧٢ ) . وبعد ذلك صدرت في كتاب · ومما يبعث الفرحة في نفسي انها صدرت في دمشق باللغة العربية · وحظيت هذه الرواية عندنا باهتمام كبير من قبل الصحافة ، كما قيمت بشكل ايجابي · وهذا امر طبيعي ، لانني كتبت هذا العمل الادبي من موقع كاتب سوفييتي ، من موقع شيوعي ·واذا جاز التعبير ، فقد كتبت هذه الرواية لانه ما كان بمقدوري الا ان اكتبها ، ما دمت ارى كيف يتصرف الصهاينة الذين حصلوا على امكانية انشاء دولتهم ، وارى في الوقت نفسه كيف كان سلوكهم مع اولئك الناس الذين عاشوا مع اليهود ، جنبا الى جنب وكان يمكن ان يعيشوا معا حتما ، وانا اقصد هنا السكان العرب الفلسطينيين · ولا بد لي من القول ، ان اصطدام الصهاينة بالعرب العزل كان يشحن نفسي ويؤججها بكراهية اكبر للصهاينة الذين اعرف افعالهم ، كما تيح

---

* صدرت الرواية ضمن منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي ، دمشق ·

لكم ان تقتنعوا من خلال روايتي · ولهذا ، وبكل بساطة ، ما كان بمقدوري الا ان اكتب هذه الرواية · لقد كتبتها بامانة · فليس فيها اية احداث او وقائع مختلقة · وعلي ان اشير هنا ، وربما تعلمون هذا ، الى انه بعد صدور « ارض الميعاد » ، وجه يوسف تيكواع، الذي كان يمثل اسرائيل في هيئة الامم المتحدة ، مذكرة او رسالة احتجاج الى المنظمة الدولية المذكورة · الا ان الصهاينة لم يفلحوا في مذكرتهم الاحتجاجية هذه في قول اي شيء ملموس يمكنهم من نقض ما جاء في الرواية · اي انهم لم يستطيعوا ، مثلا ، نفي واقعة الباخرة التي اغرقوها بمن عليها من ابناء دينهم ، ولا وقائع مسلكهم وتصرفاتهم حيال السكان العرب وموقفهم منهم ، ولا عمليات استيلائهم على الاراضي العربية ليبنوا عليها كيبوتساتهم ومستعمراتهم ، وغير ذلك ··

لقد كتبت هذه الرواية ، دون ريب ، وانا افكر ، هل اضيء الاحداث بشكل صحيح ام لا ، ووصلت الى استنتاج بانني كتبت بامانة على كل حال · وليس للصهاينة ، في اعتقادي، ان يستاؤوا لانني كشفتهم وما يمثلون حقا · فهم هكذا فعلا · هذه ناحية · والناحية الثانية ، انني اردت مساعدة الفلسطينيين الذين حرموا من وطنهم ومن ارضهم · فحين كنت اكتب عن هذا الموضوع ، كنت اتذكر المانيا النازية التي احتلت بلدان الغير واراضي الغير، والتي جلبت المصيبة للبشر · لقد رأيت كيف اقتحمت قوات الفيرماخت النازية بلادنا خاصة ، بيلوروسيا واوكرايينا · واذكر اناس بلادنا الذين كانوا مسكونين وقتها بمصيبة كبرى · وهكذا فانني اتصور الفلسطينيين الذين طردوا من بلدهم ، واقتلعوا من ارضهم ، كما اتصور عائلاتهم المبعثرة · لقد طالت هذه الحال سنوات كثيرة · وكلي امل بأن يجد الفلسطينيون في انفسهم القوة لوضع حد نهائي لكل هذا · اما ما هو المطلوب مني ككاتب ، فها انا ذا اكتب ، وافضح النشاط الصهيوني المعادي للشعوب ، والقيادات الصهيونية · فانا اعرف الصهاينة بشكل جيد ، واتذكر شخصيات عديدة من هذه المنظمة واللجنة الصهيونية او تلك · فقد اتيح لي ان اراهم ، وكنت على الدوام اماثل بينهم وبين اشد غلاة القوميين المتعصبين رجعية من اصحاب المذهب الفاشي والنازي ·

**سؤال :** اوضحتم في جوابكم موقفكم من موضوع الصهيونية · الا ان نشاطكم الادبي ليس مقتصرا على هذا الموضوع ، فهناك الحرب والفاشية اللتين تشغلان اهتمامكم ككاتب ·

**كوليسنيكوف :** اجل ، فقد صدرت لي رواية عام ١٩٥٩ بعنوان « الظلام يتكاثف قبل الفجر » تدور احداثها عشية بداية الحرب العالمية الثانية ، وتجري وراء حدود الاتحاد السوفييتي ، وخاصة في اراضي رومانيا · وقد عرضت في هذه الرواية كيف ان المانيا الهتلرية ارسلت عملاءها وعناصر مخابراتها الى اراضي رومانيا التي يحدها مباشرة الاتحاد السوفييتي ، وتفصلها عنه حدود مشتركة ، ونظم النازيون ، استجابة لتوجيهات برلين ، تمردات وعصيانات هنا ، وكيف كانوا ينظمون اغتيالات شخصيات كبيرة ، وكيف قتل في ذلك الوقت رئيس وزراء رومانيا وتبعه رئيس وزراء آخر في البلد نفسه · ولا بد لي من القول ان مشيئة القدر اتاحت لي مشاهدة اعدام العملاء النازيين رميا بالرصاص ، اولاء الذين قاموا بمحاولة اغتيال رئيس وزراء رومانيا ارماندو كوليسكو · كان هذا في نهاية ايلول العام ١٩٣٩ في بوخارست ، وفي ذلك المكان بالذات حيث قاموا بمحاولة الاغتيال · واليك ما يجري ، فالتاريخ يتكرر ، تاريخ الفاشية · اذ ان ما جرى منذ مدة قريبة في ايطاليا ، اقصد قتل الدو مورو ، من قبل الفاشيين الجدد ، الذين يرفعون رؤوسهم ثانية ، ليس فيه من جديد · انه تكرار · واود ان اصدر كتابي المقبل بهذه العبارة : « لا يزال كل شيء ممكن الحدوث ، ما دام قد حدث مرارا » · اتفهمني ؟ اتذكر ايضا قتل

ملك يوغوسلافيا ووزير خارجية فرنسا لويس باردو في مرسيليا · اذن ، هذه هي الطريق التي سار عليها النازيون والفاشيست · اي انهم في حربهم ضد الديموقراطية لم يسمحوا بالوصول الى السلطة لاية حكومة كان يمكن ان تدافع عن اماني الشعب · وكذلك فانني في ذلك الوقت ، وفي هذه الرواية « الظلام يتكاثف قبل الفجر » ، قد تحدثت عن الصهيونية · ففي هذه الرواية ثمة عدد غير قليل من الفصول تتناول الصهيونية · وفي مقالة عن روايتي نشرت العام ١٩٦٠ جاء ما يلي : « ان رواية كوليسنيكوف ( الظلام يتكاثف قبل الفجر ) هي واحدة بين قلة من الاعمال الادبية التي يجري فيها ، بمعرفة تامة، فضح جوهر الصهيونية المعادي للشعب · فالصهيونية والفاشية ، كما تعرضهما رواية كوليسنيكوف ، هما وجهان مختلفان لعملة او ميدالية واحدة » · وهكذا فقد عرضت الفاشية من جهة ، وقريبتها ، بل شقيقتها ، من جهة ثانية · وانا لم اخترع هذا الاقتران فيما بينهما ، بل كنت اعرفه تماما · وما يجري الآن في الشرق الاوسط يؤكد تماما هذا الاقتران · ولنفترض انني لو كنت قد اخترعت هذا الاقتران ، او ان هذا الاقتران ما كان ليتفق مع الواقع ، اذن لاتى معلقا في الهواء ·

ولدي كتاب آخر بعنوان « مهمة خاصة » ، صدر قبل خمسة عشر عاما · وهو كتاب عن رجال مخابراتنا الذين ارسلوا الى عمق مؤخرة العدو في الاراضي المحتلة من قبل الهتلريين ، وليس فقط في الاراضي السوفييتية المحتلة · وبالمناسبة ، فان رجال المخابرات هؤلاء لم يكونوا وحدهم في مؤخرة العدو ، بل كان ثمة المانيون ايضا ، اعضاء في الحزب الشيوعي الالماني · ففي ذلك الوقت ، حين كان الاتحاد السوفييتي يخوض المعركة ضد النازيين والفاشيست ، فان هؤلاء الشيوعيين ، الامناء لقضية حزبهم ولواجبهم ، قد توجهوا بالضبط الى مؤخرة الفيرماخت ، الى عمق مؤخرة الفيرماخت والقوات الهتلرية ، ليخوضوا المعركة · لقد وصفت في الكتاب مختلف الاحداث التي جرت هناك · ولم يكن الالمانيون المناضلون ضد النازية هناك فحسب ، بل كان الى جانبهم نمسويون ، اعضاء في الحزب الشيوعي النمسوي ، وغيرهم من بلدان وقوميات اخرى · وقد كتب مقدمة لهذا الكتاب قائدي السابق ، بطل الاتحاد السوفييتي مرتين ، ذو الشهرة الاسطورية في بلادنا وخارجها ، سيدور ارتيمونوفيتش كوفباك الذي اتفق لي ان عملت في الوحدات التي كان يقودها · فقد كنت مساعده لشؤون الاستطلاع ، كما كنت رئيس اركانه · وكنت قد ارسلت الى المؤخرة خصيصا من موسكو ·

وصدر لي كتاب صغير بعنوان « وراء خط الجبهة » ، يتحدث عن الفرنسيين الذين حاربوا معنا ضد الفاشيست · وعلى ذكر الفرنسيين ، اسمح لي ان اروي هذه الحادثة التي استيقظت في ذاكرتي الآن· لدي رسالة من امرأة مشاركة في حركة المقاومة الفرنسية، وكانت ضابطة اتصال بين اركان حركة المقاومة ، وعلى الاخص بين موريس توريز وجاك ديكلو وحركة المقاومة · لقد قرأت هذه المرأة روايتي « ارض الميعاد » وبعثت الي برسالتها هذه ·اسمها هاين ريزنيك ، وهي يهودية · وقد عرت في رسالتها الصهاينة ، وتحدثت عن روايتي قائلة بان ما كتبته صحيح ، وانه لا بد من تعرية اكثر للصهاينة ، وختمت رسالتها هكذا : « آمل بان تنجحوا في كتابكم التالي في اظهار كيف كان الصهاينة يتصرفون في فترة الحرب ضد هتلر ، في مرحلة الحرب العالمية الثانية ، حين كانوا يتعاونون مع الهتلريين » · وفوق هذا ، فقد بعثت الي بنسخة مصورة من سجل خدمتها ، موقعة من قبل سكرتير اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الفرنسي جاك ديكلو · واضافت في ذيل رسالتها قائلة : « انني على ثقة بانكم حين ستتابعون كتابة ما بدأتموه في « ارض الميعاد » ـ ولا

بد لي ، كما يبدو ، من افتراض انكم ستتابعون ذلك ـ فستصفون فقط ، تلك الاعمال الرهيبة التي قام بها الصهاينة خلال تعاونهم مع النازيين » · لكأنها ارادت من ارسالها الي نسخة طبق الاصل عن سجل خدمتها في المقاومة ، ان تؤكد شخصيتها ، بانها كانت فعلا ضابط ارتباط في المقاومة الفرنسية ، اي ذلك الشخص الذي كان في ذلك الوقت العصيب يتمتع بمثل هذه الثقة من قبل قيادة المقاومة الفرنسية · اذن ، فهذه الشيوعية المناضلة ، الامينة ، اعجبت بروايتي · وهذا لا يمنحني البهجة فحسب ، بل يؤكد ان موقفي الذي استند اليه صحيح · ذلك انه يحدث للبعض خلال وصفهم مثل هذه الاحداث ، ان ينزلقوا، على غير ارادة منهم ، الى نوع من التطرف او الشطط ، فيمسون كرامة القوم او الشعب ككل · أما بالنسبة الي ، بوصفي شيوعيا وكاتبا سوفييتيا ، فان همي ان اتخذ على الدوام ، كما هو شاننا جميعا ، المواقع الماركسية الاممية · ولهذا فان ما افعله ، ولماذا ، هو بالنسبة الي اهل للثقة ، ولا بد ان يكون كذلك · اما فيما يتعلق بما اشارت اليه هاين ريزنيك من ضرورة متابعة الكتابة باتجاه فضح الصهاينة ، فان هذا هام للغاية بالنسبة الي ، لا سيما وان في حوزتي مواد واسعة حول مرحلة الحرب ضد النازيين ، وخاصة ما جرى في عام ١٩٤١ ، حين هاجمت المانيا الاتحاد السوفييتي · ففي ذلك الوقت الشديد الوطأة بالنسبة لشعبنا ، ولكل الشعوب التي تعرضت للغزو والابادة اللذين قامت بهما المانيا ، في ذلك الوقت بالذات ، وجد الصهاينة ان من الممكن التعاون مع النازيين · واعتقد انه ليس من فضح للصهاينة اكثر من اظهار هذا التعاون ·

**سؤال :** يبدو لي ان موضوع الصهيونية لم ينشأ لديكم نتيجة الخبرة الشخصية فحسب، بل اذا امكن القول ، نتيجة اتحاد الخبرة بالقناعة حول حقيقة وجوهر الصهيونية ·

**كوليسنيكوف :** اجل ، فالقناعة المتوفرة زسختها الخبرة · أما كتابتي عن الموضوع فقد كانت نتيجة التماس والاتصال الشخصيين بالموضوع ، نتيجة ما رأيته من سلوك النازيين والصهاينة في ذلك الزمن الصعب ، حين قام النازيون باعمال رهيبة في الاراضي التي احتلوها ، في الاتحاد السوفييتي وبولونيا وتشيكوسلوفاكيا وغيرها · وما كتبته وساكتبه، انما رأيته بام عيني ، وتأثرت به بشكل عميق ، فهو ، ليس مصطنعا ، وليس من قبيل التعميم الفني ، مع ان مثل هذا التعميم وارد ، ولكنه نتيجة معاناة ، حصيلة وقائع لا يمكن انكارها ، ولا يستطيع الصهاينة انكارها · فلئن توجهوا باحتجاج الى الامم المتحدة ، كما اسلفت ، فانهم لم يستطيعوا ان يقولوا في احتجاجهم سوى كلمات عامة · ذلك ان ما كتبت عنه قد حدث فعلا · وفي كتابي التالي سأبين بالتأكيد ، وعلى نحو اكثر اتساعا وعمقا ، ماذا تمثل الصهيونية · فلا يزال الكثيرون لا يملكون حتى مفهوما عن الصهيونية وبطبيعة الحال ، فانني حين كتبت « ارض الميعاد » لم اضع كل ما في حوزتي من مادة في هذه الرواية، فقد ابقيت على الكثير من المواد الاساسية للكتاب التالي· وفي ظني انني في الرواية المذكورة كشفت على نحو كاف ، وعريت الباطن الصهيوني والمطامح التوسعية الصهيونية في انشاء دولة · ولئن جاء في كتابي الجديد ان هتلر سينشىء دولة من الالمان الخالصين ذات مئة مليون نسمة ، فان احد اشخاص روايتي ، اليهودي هاين فاليتي يقول : « اتعلم ، لقد اطلق هتلر نداء الى جميع الالمان المولودين خارج الحدود الالمانية لكي يعودوا الى وطن الآباء » · والامر ذاته يفعله الصهاينة · فالديكة الصهاينة قد اطلقوا الدعوة من اجل اقامة دولة ، ولو انها ليست ذات مئة مليون ، بل متعددة الملايين · وهكذا، كما ترون ، فان تبادل الخبرة والافعال بين النازيين والصهاينة يجري على الدوام ·

**سؤال :** هل يواصل الخط الناظم للاحداث مجراه في مجمل الثلاثية ؟

**كوليسنيكوف :** اجل · فرغم ان بعض الشخصيات سيغيب ، او يقتل ، بمقتضى ظروف واحداث الحرب ، الا ان الخط الاساسي سيبقى الى النهاية · اي ان شخصيات اخرى ضمتها روايتا « ارض الميعاد » ، و « الستارة المرتفعة » ستعيش ايضا على صفحات الرواية الثالثة ·

**سؤال :** وضمن ذلك ، هل سيواصل الخط المعادي للصهيونية وجوده في مجمل الثلاثية؟

**كوليسنيكوف :** بالتاكيد · لانه احد الخطوط الاساسية في الثلاثية التي تحتوي على اربعة خطوط : الخط المعادي للنازية ، والخط المعادي للفاشية في شكلها الروماني ـ الاوروبي ، والخط المعادي للصهيونية ، والخط الرابع هو اتجاه النضال الذي خاضته القوى التقدمية ضد هذه الشرور · وهذا الخط الاخير قد ظهر في « ارض الميعاد » ، كما لاحظتم ، وذلك في شخص الحزب الشيوعي الفلسطيني في ذلك الوقت · وتذكرون غوردون واحمد العربي الذي خف لمساعدة الشخصية الرئيسية على الهرب من مطاردات الصهاينة ، وكذلك عرضت كيف قتل اليهودي اليمني على ايدي الصهاينة · وبكلمة ، فان هذا الخط سيتسع اكثر في بقية الثلاثية ·

**سؤال :** وهل سيتطور هذا الخط على ارض فلسطين ؟

**كوليسنيكوف :** نعم ، على ارض فلسطين ، وعلى اراضي الاتحاد السوفييتي ، لان البطل الرئيسي في روايتي « فولغيترايم » كان ينبغي ان يقتل ، ولهذا يعود الى وطنه المحرر من قبل الجيش الاحمر في ذلك الوقت · فياتي اصدقاؤه من المنظمة الصهيونية لمطاردته · وهنا تقع جملة من الاحداث التي لا اود ان اورطها الآن ، ولكنها لا بد وان تثير اهتمام القارىء · ومن ثم ، سيحتل مكتب المنظمة الصهيونية العالمية مكانا كبيرا في الثلاثية ،وهو المكتب الذي كان مركزه في برلين ، وعلى رأسه ذلك الشخص ، وليس غيره ، المعروف لديكم ، بديهيا : ليفي اشكول · ولدي وثائق ، وهي وثائق نازية ، تتدرج وصولا الى صورة فوتوغرافية لليفي اشكول مع موظفين نازيين سريين متغطرسين وليسوا ضباطا معروفين ، وبينهم « ادولف ايخمان » المعروف لديكم ، الذي تحدثت عنه في روايتي « ارض الميعاد » · وفي بقية الثلاثية سيواصل العمل المشترك مع الصهاينة · واود ان اعرض على نحو اوسع سلوك ونشاط الصهاينة ، والمنظمات الصهيونية ، وخاصة منظمة « ارغون » ( اتسل ) ، التي ترأسها لاحقا بيغن ، وذلك منذ العام ١٩٤٣ · وهي منظمة ارهابية وكذلك ساتحدث عن بيغن هذا ، قبل ذهابه الى فلسطين ، عن نشاطه وسجنه وعلاقاته مع النازيين · وكذلك سأواصل الحديث عن شتيرن وكيف قبض عليه الانكليز ، ولماذا قتل ، وكم من الكوارث والرزايا اقترف بحق العرب ، وكذلك بحق ابناء عشيرته اليهود · وعلي ان اقول ان كثيرا من اليهود العاديين كانوا يكرهون ويخافون شتيرن ، ويتقون شره ، وحين قتل ، فقد كان قتله بالنسبة لهؤلاء بمثابة منفذ ، او ازاحة كابوس عن حياتهم · كما ولا بد من القول ، من ناحية اخرى ، ان امكانيات هؤلاء الصهاينة ، وامكانيات شتيرن كانت واسعة جدا · فقد كان لديهم ، على ارض ليبيا ، مركز ضخم جدا يضم عملاءهم ·

**سؤال :** وهل كان هذا في زمن الحرب ؟

**كوليسنيكوف :** اجل ، ثم كان ثمة ماريشال ايطالي اسمه بالبو · وهذا الماريشال قد قضى نحبه لسبب لم يعرفه احد · فقد انفجرت طائرته ، والذين ضربوها هم ايطاليون · وكان هذا من فعل الصهاينة · ولهذا لم تثر معرفة ذلك دهشتي ، لان هذا الماريشال كان

يشكل عقبة امام نشاطهم ٠٠٠ وهكذا فان الكتاب الجديد ، مـــن حيث تعريته الشديـــدة للصهيونية ، لا يقارن بـ « ارض الميعاد » ٠ انه من حيث قوته ونطاقه اكبر بكثير ، بطبيعة الحال ، واوسع ، اعمق واشمل ٠ ففي هـــذا الكتاب يأتي الحديث عن المانيـا النازيـــة وبريطانيا على نحو اوسع بكثير ٠ فلدي مادة تحتاج الى مشورة العارفيـــن بما يتصـل بالطابور الخامس الذي كان يعمل في المؤخرة ، في المؤخرة العربية ، بين القوى العربيـة التقدمية ٠ لعلني عندئذ استطيع معالجة هذه المادة ٠ وهذا جانب هام للغايـة بالنسبـــة لعملـي ٠

**سؤال :** في روايتكم « ارض الميعاد » عرضتم بدقة آلية الارهاب والخداع الصهيونيين ، وكذلك آلية انتزاع الاراضي العربية من قبل اليهود ٠ وكشفتم عن جوهر تكوين المنظمـــات الارهابية الصهيونية ونشاطاتها وعلاقاتها بالامبريالية ، وباكثر اشكالها سوادا الا وهـي النازية ٠ ولكن الوجه العربي ، في الوقت الذي تجري فيه احداث روايتكـــم على ارض فلسطين ، بدا باهتا ٠ فما السبب في ذلك ٠ علما بأن حركة التحرر الفلسطينية كانت قـد راكمت تجربة كبيرة في النضال ضد الاستعمار البريطاني ، وضد الصهيونية حتـى الوقت الذي تجري فيه احداث الرواية ٠ مما يعني ان الوجه العربي الفلسطيني كان يملك ملامحه النضالية الواضحة والمميزة ، والتي صنعتها حركاته التحررية ، وانتفاضاته ، ونشاطـات قواه الاجتماعية ـ السياسية ٠ ورغم ان ثمة اشارات بسيطة الى بعض هذه الملامـح ، الا انها تبقى مجرد اشارات لا تنهض الى مستوى صورة شاملة حقيقية عن المشهد العربـــي الفلسطيني الكفاحي ٠ وانا هنا ، لا اقصد ان روايتكم ينقصها التعاطف مـع العـــرب وكفاحهم ، فهذا واضح للغاية ٠ انما ينقصها الوقائع التاريخية ٠ فهل يعود سبب ذلـــك الى نقص في المعطيات والمعلومات المتوفرة لديكم حول هذا الموضوع ؟

**كوليسنيكوف :** ما الذي استطيع قوله في هذا الصدد ؟ لقد ادركت ما تودون قولـه ٠ وانا اوافقكم على ان الحركة العربية التقدمية والوطنية في فلسطين لم تعرض في روايتـي على نحو واسع ، بل ولا على نحو كاف ٠ ولاقل بصراحة ، انني اعرف القليل عن هـــذه الحركة ٠ وهذا هو السبب الرئيسي ٠ وكما قلت لكم ، فانني اكتب عن الاشياء التي اعرفها جيدا معرفة حقة ٠ والهدف رقم واحد الذي وضعته امام نفسي في رواية « ارض الميعاد » هو ان افضح الصهيونية عن طريق وقائع واحداث جرت فعلا ٠ ولم يغب عني ، وانا احقق هذا الهدف ، ان اتعرض للعرب ٠ وقد عرضت لهم على قدر طاقتي ، فبينت كيف انتزعـت اراضيهم ، وكيف كان سلوك الصهاينة حيالهم ٠ اي انني حين كتبت الروايـــة تعرضت للعرب على قدر ما كنت اعرف ٠ ولكن مما لا ريب فيه ان الوقائع ، كما اشرتم في سؤالكم، قليلة جدا في الرواية ٠ وهذا ما يؤسفني للغاية ، لانني لم اكن اعرف اكثر من ذلك ٠ على انني منذ صدور الرواية وانا احاول جهدي تلافي هذا النقص ٠ وبطبيعة الحال ، فكم كان يسعدني لو تحدثتم عن هذا الجانب من الرواية كما تحدثتم عن جانبها المعادي للصهيونية او بالاحرى ، لو انها ـ الرواية ـ لم تكن تحتوي على هذا النقص الذي اشرتم اليه ٠ فلو اتيح لي التعرف على حياة ونضال الفلسطينيين في تلك الفترة على النحو المفصل المطلوب لعكست ذلك في هذه الرواية بلا ريب ٠ ويتضاعف شعوري بالاسف للنقص المذكور ، لانني اقف ، فكرا وعاطفة ، الى جانب هذا الشعب الرائع ، المحب للعمل ، الشعب الفلسطيني ، الذي عانى عشرات السنين ، وما يزال ، والذي يناضل من اجل انتزاع حقـه العـــادل المشروع في وطنه وارضه ٠ وكم يسعدني ، ويسعد كل الناس الشرفـــاء ، واقع توطيـد العلاقات بين دولتنا وشعبنا وبين الشعب العربي الفلسطيني ، والممثل الشرعي الوحيد له،

منظمة التحرير الفلسطيني ، هذه العلاقات القائمة على السعي المشترك لانتصار قضية الشعب الفلسطيني العادلة · وانني اعاهدكم ، ككاتب سوفييتي ، وكشيوعي ، على بذل كل جهودي باسم انتصار هذه القضية ·

**سؤال :** في نهاية الرواية ، يعود بطلها الرئيسي الى وطنه ، هاربا من مطاردات الصهاينة في فلسطين · فهل عنيتم في هذه النهاية ان خلاص امثال بطلكم يكمن في عودتهم الى اوطانهم ، ام ان لها معنى آخر ؟

**كوليسنيكوف :** اولا ، لقد هاجر بطل روايتي هربا من الاحتلال النازي ، رحل على غير ارادة منه ، ناجيا بنفسه من الخطر المذكور · هذا من جهة · ومن جهة ثانية ، فانه لدى وصوله الى فلسطين اصطدم وجها لوجه بالصهيونية كما عرضتها في كتابي · فلماذا اعدته الى بلده ؟ اولا ، لان وطنه هنا وليس هناك · وثانيا لان احداثا ضخمة جرت في وطنه رومانيا ، اذ تحررت على يد الجيش السوفييتي · ثالثا ، وما دام لم يهاجر بارادته ، فقد اردت من اعادته الى وطنه ، ان اكشف عن الصهيونية هنا ايضا ، من خلال وجوده هنا ، والمضايقات التي سيمارسها الصهاينة ضده · لم يكن مصير بطلنا في وطنه سهلا ، فقد تعرض ، بطبيعة الحال ، الى صعوبات والوان من الشك بسبب هجرته ، الى ان عثر بمساعدة صديقه الشيوعي ، الذي كان قد نصحه مرات عديدة بالاقلاع عن فكرة الرحيل ، كما لا بد تذكرون في الرواية ، نقول حتى عثر على عمل في محطة بنزين · ومن ناحية اخرى ، فان الصهاينة لم يكفوا عن ملاحقته ، حتى بعد وصوله الى وطنه ، ذلك انه عرف الكثير عن عمل ونشاط المنظمات الصهيونية خلال وجوده في فلسطين ، وعمله في استلام الاسلحة للصهاينة · ولدى عودته الى وطنه ، يجد بطلنا ان الصهاينة قد نجحوا في تهجير ذويه الى فلسطين · في ذلك الوقت تم اتفاق بين المانيا والاتحاد السوفييتي ، رحيل الالمان، الذي كانوا يعيشون في بلدة تقع في جنوب روسيا ، الى المانيا · كان ذلك قبيل الحرب · وقد اتيح لي شخصيا ان اشهد رحيل هؤلاء الذين سرعان ما ارتدوا الزي الفيرماختي · وبينما كانت الباصات التي تقل هؤلاء تمر بمحطة البنزين التي يعمل فيها بطلنا للتزود بالوقود ، اقترب شخص يرتدي الزي النازي من بطلنا وقال له : « شالوم ·· » فنظر اليه بطلنا بتمعن وعرفه · لقد كان ذلك الشخص هو المسؤول عن استلام الاسلحة في فلسطين ، والعامل لدى سولومون · انه يوناس نفسه ، احد شخصيات « ارض الميعاد » · ويقول له : « ماذا تفعل هنا ؟ » فيجيب بطلنا : « وماذا افعل ، انني اشتغل » · يقول يوناس : « دعك من هذا المزاح ، فهنا ليست ارض الميعاد » · يجيب بطلنا : « صحيح ، هنا ليست ارض الميعاد » ويهم بالاسراع الى الهاتف ليخبر عن يوناس · ولكن هذا يمارس القمع ضده قائلا : « ليس من حاجة للضجيج ، وسيكون بمقدورك ان تتلفن فيما بعد ، ولكن اعلم الآن ان اباك موجود عندنا ، انه عند دافيد كنوك » · فيقول له بطلنا : « كم يليق بك هذا الزي النازي ، لكأنك خلقت له بالضبط » · ويحاول يوناس ان يستفسر من بطلنا ، امعانا منه في ممارسة القمع ضده ، عن مصير استاذهما ، فقد كانا قد درسا معا في الماضي · ويجري الحوار بينهما هنا على هذا النحو :

يوناس : اتذكر استاذنا ؟ اين هو الآن ؟·

حاييم : من اين لي ان اعرف · اعرف فقط عددا من الفاسدين الذين دبر هجرتهم الى فلسطين ·

**يوناس** : ما يخص هؤلاء سنتحدث عنهم فيما بعد · والآن قل لي ، اين هو استاذنا ؟

**حاييم** : لا اعرف ·

**يوناس** : اما انا فأعرف · انه هنا في مكان ما · لقد اعتقلته المخابرات السوفييتية ·

كان هذا « الاستاذ » هو حفيد هرتسل · وقد اعتقلته المخابرات السوفييتية في ذلك الوقت ، واعتقلت معه شخصا آخر اسمه مناحيم بيغن · هذه وقائع تاريخية ستتكشف في الكتاب القادم الذي سيكون مرحلة اخرى في الكشف عن النشاط الصهيوني في امكنة مختلفة · وهكذا يتضح المغزى المتعدد الجوانب لعودة بطلنا الى بلده ·

**سؤال** : هل اخترتم ، عن عمد ، هذا النوع من الاسلوب الروائي الذي يسمونه الرواية التسجيلية ـ الفنية ، وهل تعتقدون ان هذا النوع من الرواية هو الاكثر ملاءمة لموضوعكم الذي ينهل مادته من وقائع التاريخ ؟

**كوليسنيكوف** : ثمة اسباب عديدة لاعتمادي هذا النوع من التعبير الروائي ، ولكنها جميعا تؤكد ، او اكدت لي على الاقل ، ملاءمة هذا النوع لموضوعي · وقد قلت لكم بانني كتبت ، واكتب ، لانني لا استطيع الا ان اكتب لقد عرفت الكثير في حياتي وعملي عن الصهيونية ، وقناعتي ان من الجريمة بالنسبة الي ككاتب ، وكمواطن ، وكجندي سابق ، ان احبس ما عرفته في خزانة دماغي ، ولا اوصله الى القارىء ، ولا اعرض امامه ما الذي تمثله الصهيونية · والقص التسجيلي ـ الفني الذي اعتمده ، انما هو ، في ظني ، الاسلوب الاكثر ملاءمة لايصال ما اريد من حقائق ووقائع وتواريخ وافكار عن الصهيونية والنازية والفاشية الى القارىء ، على نحو مباشر وسهل التناول ·

**سؤال** : ما هي مشاريعكم المقبلة ، وما الذي تودون قوله للقارىء العربي ، في ختام حديثنا هذا ؟

**كوليسنيكوف** : اود ان اتابع الكتابة في موضوع تعرية النازية والفاشية والصهيونية بما يجمعها من جوهر وسمات مشتركة · والتقدميون في مختلف بلدان العالم ، يواصلون النضال ضد هذه الشرور وعملية النضال هذه اريد ان اواصلها في كتبي المقبلة · ولدي ، كما اشرت في احد اجوبتي ، مواد ضخمة وثائقية لا اتصور مثيلا لها من حيث قوة الفضح والتعرية ضد هذه الظواهر الثلاث ذات الجوهر الواحد · اما ما اود قوله لقارئكم ، فهو ان لدي شعورا بالاسى لانني لم استطع عرض واقع الشعب العربي ، الذي منه قارئكم ، على النحو المطلوب ، وذلك للاسباب التي ذكرتها ·واتمنى للقارىء العربي ، وللشعب العربي الفلسطيني الذي يخوض النضال ضد الصهيونية واجهزتها ، وضد الرجعية ، اتمنى له النجاح في صموده وعمله الكفاحي ، كما اتمنى للعرب عموما ، تفاهما مشتركا اعمق واكبر · فمثل هذا التفاهم ، مع دعم اصدقائكم ، ودعمنا على الاخص ، يتيح لنا جميعا القضاء على المكائد الصهيونية · وعاجلا ام آجلا ، لا بد ان يتحقق لديكم ما تحقق لدينا · ففي ايام الحرب ، في تلك السنوات الصعبة ، حين كانت القطعان الهتلرية تقف على ابواب موسكو ، في ذلك الوقت كان الناس عندنا يقولون بان العيد لا بد سيعم شوارعنا · وانا لا اشك لحظة واحدة ، بان عيد النصر لا بد ان يطل ، ويعم العرب ، وشوارع المدن العربية وخاصة الفلسطينيين وعلى ارضهم ·

اجرى اللقاء
**سعيد مراد** ـ موسكو

# برتقال من كاليفورنيا

كان يقف وسط شارع مديسون امام عربته المليئة بالبرتقال · ولكنه عصير حقيقي ـ اجابني · امسك البرتقالة بيده ، احنى رأسه قليلا وشمها · برتقال كاليفورنيا · قال· ثم ضحك دون مبرر ، فلمعت أسنانه البيضاء · ألن تشتري · سألني · ولكني اريد زيارة هارلم · من اين انت ـ سألني · وانت ـ اجبته · انا من اميركا قال · وقبل اميركا ـ سألته · لا اعرف ، الابيض متلهف على التاريخ · والاسود ـ سألته · التاريخ شيء اخر ليست هذه هي الجذور على اية حال · من اين انت ـ سألني · قلت له انني قادم من بيروت وانتظرت الاسئلة التقليدية · قال انه شاهد في التلفزيون شيئا عن بيروت ، هناك حرب أليس كذلك · الحروب بالغة البشاعة · نحن كان عندنا فيتنام ، وبعد فيتنام انا لا اهتم باخبار الحروب · ولكن الحروب ضرورية احيانا اجبته · ـ هذا البرتقال من كاليفورنيا ، هل تجرب ؟ سألته ولكن لماذا لا يوجد زبائن · ـ انا اكره الحروب · لم تعد الحروب تعني شيئا · ولكن الزبائن سألته · ـ طبعا يوجد زبائن · يأتون حين يشاؤون ·

كان الشارع الممتد بين شارع مديسون والشارع الخامس ضيقا ومزدحما · مشيت · البنايات العالية جدا التي اسميت ناطحات السحاب مزروعة على الجانبين · شعرت للحظة بنوع من الخوف الذي يجمدني في مكاني · كان خوفا حقيقيا يغوص في الداخل · وتذكرت كافكا · الذي بين نيويورك هو كافكا او رجل يشبهه · البناية اكثر علوا من عرض الشارع· والبنايات على الجانبين · لا يمكن ان تتخيل زلزالا في هذه المدينة ، فهي لا تحتمل اكثر من زلزال واحد · لذلك تقع الزلازل في الاعماق او في الافق البعيد المنحني · مشيت وسط هذا الخوف · لا لم يكن خوفا · الان ، وانا جالس في غرفتي في بيروت وسط ايقاع القصف المتقطع ، استطيع ان اسميه خوفا · ولكنه لم يكن خوفا · الى يساري كانت بناية بنك منهاتن المرتفعة · قرأت العنوان بدقة ، ثم انعطفت بي الطريق الى اليسار ، فوجدت نفسي امام مدخل البناية · نظرت خلف الزجاج لارى مصدر الاصوات والتصفيق · فرأيت عشرات من الرجال والنساء يفتحون افواههم يحركون ايديهم ويتدافعون · قلت هذه هي بورصة نيويورك الشهيرة · لم يكن لدي اي فضول للدخول · عبيد الدولار · لكني لم

استطع منع نفسي من النظر · نظرت · تخيلت انني سأرى الدولارات المرفوعة الى الاعلى، ومشاهد تشبه السينما ، حيث يفلس البعض ويثرى البعض · لكني رأيت الجميع يتحلقون حول رجل يقف على منصة ، يحرك يديه ويتكلم · حاولت قراءة الشعار المرفوع خلف رأسه فلم استطع · قلت لا بد وانها الانتخابات · انتخابات فرعية او انتخابات حزبية · هذه هي الديموقراطية البرجوازية المزيفة · يجرون الانتخابات في البنك · تقدمت حتى التصق وجهي بالزجاج ، رأيت عجوزا تنظر الي وتبتسم · قلت لا بد وان انفي وشفتي قد انطبعت على الزجاج بشكل مضحك · وقبل ان اتذكر مشاهد مماثلة من طفولتي قرأت : « جمعية السحر الاميركية » · لم اصدق ، وهرولت الى الداخل · كانت الرؤية في الداخل بالغة الصعوبة · الناس يتدافعون · بعضهم يريد الخروج ، والبعض يريد الاقتراب من المنصة· وقفت في مكاني وانا اتلقى اندفاعات الاكتاف بابتسامة السياح الذين يرون في كل شيء امرا طريفا · كان الرجل الواقف على المنصة يضع البيضة في اذنه ويخرجها من فمه· ثم اخذ ورقة كلينكس مزقها واعطاها لاحد المتفرجين الذي امسكها بيده · قال الرجل مجموعة كلمات هندية ، ثم طلب من المتفرج ان يفتح يده ، فخرجت الورقة سليمةدون ممزق يصفق المتفرجون ويخرجون · اخرج معهم · واهرول الى مكاتب شركة الطيران ، كي احجز لي مقعدا في الطائرة الى بيروت ·

كنت اجلس قرب نافذة الطائرة · ومنذ اللحظة التي اعلن فيها بدء هبوطنا في مطار نيويورك ، كنت احدق في كل شيء · كانت الساعة في نيويورك تشير الى الثامنة مساء حين بدأنا الهبوط · لم أر شيئا سوى الاضواء الحمراء · اضواء لا تشبه اضواء المدن الاخرى · المدينة مضاءة بالمصابيح الكهربائية العادية ولا وجود للنيون الابيض · لذلك تبدو من الاعلى وكأنها تشتعل بالاضواء ·

وكانت نيويورك تحترق من الطائرة · اضواء برتقالية مشتعلة في كل الاتجاهات ، وانا احدق في جزيرة مانهاتن · سألت الرجل الذي يجلس الى جانبي ، ولكن اين هو تمثال الحرية ؟ ـ جميعهم يسألون عن تمثال الحرية · ثم امسك بحزام مقعده وشده الى خصره واغمض عينيه · حدقت ، كان تمثال الحرية بعيدا وسط الميناء · ولم استطع ان اراه الا من الطابق رقم ١١٠ في بناية التجارة الدولية · كان النصب محاطا بالماء من كل جنب ، وشعلة الحرية مضاءة والسفن تملأ الميناء · سألت سامية الحلبي ، ولكن هل الشعلة مشتعلة · ـ هذه شعلة كهربائية · نحن في القرن العشرين · ولكن النار ؟ ـ نحن في اميركا لا نعبد النار ، تركنا عبادة النار للمتخلفين · ـ ولكنهم في ايران لا يعبدون النار·

لكنهم متخلفون ، قال الاستاذ الاميركي · ماذا تعني شعاراتهم المعادية للعلمنة ، هل تعرف ؟ انه الاقطاع الديني المعادي للتقدم والتحديث ·

قلت انني لا اعرف · فانا لا استطيع ان اقول الذي اعرفه باللغة الانكليزية · ابتسم بلؤم اساتذة الجامعات وقال انا اترجم · تكلم انت بالعربية وانا اترجم · فكرت ان المشهد مضحك · وسط جامعة كولومبيا في الشارع رقم ١١٦ ، سوف يترجم احد الاساتذة للاساتذة الاخرين رأيي في الشعارات المتخلفة · بدأت اتكلم عن التبعية والاستعمار والتبادل غير المتكافىء ، فبدت كلماتي قديمة على وجوه الاساتذة · قلت ان كلامي لا يمكن ترجمته· ولكن لماذا شوارعكم لا اسماء لها · ـ كيف ؟ ـ مجرد ارقام قلت لهم · ـ ولكن كيف نستطيع التحرك في مدينة كبيرة دون ارقام · قلت لهم ان الاسماء اجمل · مدينة بلا اسماء · هذه هي نيويورك · ولكن على مدخل شلسي اوتيل في الشارع رقم ٢٣ كان هناك لوحة صغيرة كتب عليها ان ديلان توماس اقام في ايامه الاخيرة في الفندق ومات في احدى

غرفه · ذهبت الى عامل الاستعلامات في الفندق وسألته عن رقم الغرفة التي مات فيها توماس قال انه لا يعرف فهو جديد هنا · قلت ، ولكن كيف تنسى الرقم · قال انه لم ينسه لكنه ببساطة لا يعرفه لانه لم يكن هنا · ثم اشار الى رجل عجوز كان يقف في باحة الفندق الداخلية ـ ربما يعرف هذا الرجل ، فهو يقيم في الفندق منذ عشرين سنة · تقدمت من الرجل ، كان يقف وحيدا ، يستند بيده اليمنى على عصاه ويتكىء على الحائط · رفعت يدي بالتحية فلم يتحرك · دنوت اكثر وسألته اذا كان يعرف رقم غرفة ديلان توماس · لم يجاوب · رفعت صوتي · لم يجاوب · تركته ومشيت ·

سامية الحلبي ، الرسامة الفلسطينية الاصل التي تقيم في نيويورك حاولت شرح المسألة · قالت ان اميركا تحاول ان تشتري التاريخ · لقد اشتروا جسر لندن واشتروا غيرنيكا · واخذتني الى متحف الفن الحديث · وهناك ، كانت غيرنيكا هي الحائط · وقفت في الغرفة امام الاجساد المتطايرة ووجه المرأة الذي ينحني الى الارض وعيناها الى السماء · اشارت سامية الى الكتابة تحت اللوحة · قلت اعرف · لا اريد ان اقرأ شيئا · قالت انت لا تعرف اميركا · عندما تقرأ ستعرف انك لا تعرف · تقدمت من اللوحة الصغيرة المعلقة وقرأت كلاما عاما · لا شيء قلت لسامية · وفي الحقيقة فانا لم اقرأ سوى البداية ، تاريخ وظروف انتاج اللوحة · قالت اقرأ · تابعت القراءة واصبت بما يشبه الذهول · مات بيكاسو قلت لها · لم يمت ـ اجابت · لكنهم اشتروه · اشتروا الحبر والاقلام · لم يغيروا اللوحة ، لكنهم غيروا بيكاسو · كيف يجرؤون على الكتابة ان هذه اللوحة لا علاقة لها بالسياسة · وانها يمكن ان تفسر تفسيرات لا علاقة لها بالثورة على الفاشية وبالحرب الاهلية الاسبانية ؟ الفاشية في غيرينكا هي رأس هذه المرأة الذي اجبر على الانحناء · لكنهم اغلقوا السماء بالبنايات واشتروا بيكاسو · مشينا في حديقة المتحف · رأيت الحديد الخارجي الذي يوضع على مداخل مترو باريس · انهم يشترون التاريخ تقول سامية · الدولار لا تاريخ له لكنه يستطيع ان يشتري تاريخ اوروبا · جلسنا في مقهى صغير وكانت رائحة الطعام تملأ المكان · ارتني صورا من لوحاتها · ـ ولكنك تعرضين في نيويورك ؟ طبعا قالت ، رغم انني واجهت صعوبات عديدة قبل التوصل الى هنا · نظرت الى اللوحات التي تشتعل بالالوان · ـ ولكنها تشبه الرسم الاميركي ؟ ـ انا اعيش في اميركا · ـ ولكنك عربية · ولماذا حين نتأثر نحن بالفن الغربي المعاصر نفقد اصالتنا وشخصيتنا ، اما حين يتأثر فنان غربي بالفن الشرقي فانه يبدع ويضيف ويجدد ؟ لاننا فولكلور قالت · يريدون ان نبقى فولكلورا وضاحية لنيويورك · لذلك انا اتأثر وسأبقى اتأثر وسأجبرهم على الاعتراف بي · ـ عندها ، سوف تندمجين انت في نيويورك وابقى انا في الضاحية ·

في مينا بوليس · حيث عقدت رابطة الخريجين الاميركيين العرب لقاءها السنوي ، جاء هنديان اميركيان ، والقى احدهما خطابا يؤيد الفلسطينيين · وصفقت القاعة وصفقنا · ثم ذهبت اليهما · كنت فرحا · قال لي احدهما انهم مثلنا · قلت : لا ، ولكن هل نستطيع زيارة احيائكم · قال كلا ، فنحن نعيش فيها يشبه معسكرات الاعتقال · ولكن كيف تكونون مثلنا · قال انهم في طريقهم الى الانقراض ، وان على الشعوب ان تتحالف ضد اميركا ·

ـ ولكنكم لستم مثلنا ·

قال بلى فنحن فولكلور اميركا ٠

ـ ونحن ؟

ـ انتم ايضا فولكلور اميركا ٠

ادار ظهره ومد يده ليصافح الايدي الممتدة بالتهاني ٠

وعندما اجتمعت بهم في المطعم الصيني في القرية الصينية في نيويورك لم نكن نتحدث في السياسة ٠ مجموعة من الشعراء والرسامين الشباب ٠ كنا نتحدث في الفن ونأكل الطعام الصيني ٠ هم يسألون عن القصة والشعر والحرب ، وانا أسأل عن الشعر والقصة والنقد الجديد ٠ ثم تكلمنا في السياسة ٠ لا اعرف كيف انزلقنا اليها ، فانا لا اريد التكلم في السياسة ـ عدا انني احترم كلامي ٠ والقنصل الاميركي في بيروت قال ان الفيزا التي اخذناها بعد زمن لا يحصى تمنعنا من التكلم في السياسة خارج مينا بوليس ٠ وانا اكره المشاكل مع رجال الشرطة واريد ان اتفرج على اميركا ٠ لكن السياسة جرفتنا ٠ قالت فتاة تجلس امامي في المطعم وتلتهم البط ان اسرائيل هي الملجأ ٠ـ ملجأ من وممن سألتها ٠ ملجأ اليهود اجابت ، وبدأت تتكلم عن هتلر ودمعت عيناها ٠ دمعت عيناي من التأثر وشتمت هتلر ٠ لكنها شتمت العرب والارهابيين ٠ بالنسبة لنا ، تابعت ٠ وما علاقتكم انتم باسرائيل قاطعتها ٠ قالت انها ملجأ ٠ قلت كيف ؟ قالت نحن يهود ٠ وتكلم الجميع ٠ وانا اريد ان اتذوق البط الصيني بالبرتقال ٠ قلت لهم انني اكره اميركا ٠ قال رجل يجلس الى يميني ، ولكن اسرائيل هي مثل اميركا ٠ انها العالم الجديد الذي يبنيه المهاجرون المضطهدون ٠ كذلك ، فلا يمكن ان تكره اسرائيل ٠ قلت انني اميز بين اليهود والصهاينة وانني احتقر النازية واحب بيكاسو وانني فرحت عندما مات فرنكو ٠ ولكنه لم يعترف باسرائيل ـ قالت الفتاة التي دمعت عيناها ٠ قلت ان اليهود لا علاقة لهم باسرائيل ، واخبرتها جميع ما تعلمته في مركز الابحاث ٠ لكنها لم تقتنع وانا لم اكمل طبق البط الصيني ٠ لكنني لا ازال اميز ٠ لكنهم عاملوني كارهابي متوحش ٠ وانا لست ارهابيا ٠ فأنا لا احب الحروب ٠ والاميركيون يكرهون الحروب ٠ لذلك عرضوا في التلفزيون برنامجا عن الارهاب الفلسطيني ٠ كنا نجلس في منزل فخم ، والتلفزيون يدور ، والجميع صامتون ، ولا نسمع الا صوت المذيع الذي يعتذر ويطلب من المشاهدين عدم السماح لاطفالهم بحضور البرنامج ٠ الصالون يغبق بالدخان المنبعث من السجاير المشتعلة ٠ وهؤلاء هم الارهابيون ٠٠ لماذا يبعثون باولادهم الى المذابح ويشكلون الاما لا تحصى للشعب اليهودي ؟

كنت انظر الى صديقي في التلفزيون ٠ لا تستطيع وقد حشروك داخل لغتهم سوى ان تتحول وتقبل جميع الصفات التي يطلقونها عليك ٠ لكن امرأة بولونية الاصل تعترف ٠ طبعا كان العرب هنا ولكن ٠ ثم تروي قصة الرجل الذي قذف به من الطابق العاشر الى الارض فارتطم برجل كان يقف في الطريق فكسر له رجله ٠ ولكن فلسطين ليست رصيفا كنت اريد ان اقول ٠ لكنهم سرقوا الكلام ٠ فهذه لغتهم ويستطيعون ان يقولوا ما يشاؤون ٠

قبل ان ندخل قاعة الطعام جرى نقاش ودي قصير ٠ هذا افضل من لا شيء ٠ لقد بدأ الاثر العربي في اميركا ٠ لكن فؤاد المغربي رئيس رابطة الخريجين العرب ، شرح

في خطابه في لقاء مينا بوليس ان لا جدوى من اقامة لوبي عربي في اميركا ٠

اللوبي تعني الكواليس٠ هذه هي ترجمتها الحرفية ٠

لكن بعضهم يصر على اقامة هذا اللوبي العربي الذي سيغير السياسة الاميركية ويجعلها اكثر عدلا واعتدالا ٠ لكنهم سوف يضطرون لدخول الكواليس ٠ اي عليهم الموافقة على مضمون المسرحية قبل احداث بعض التعديلات الطفيفة على الاخراج اوالديكور ٠ انه شيء خطير ٠ فقبول مضمون المسرحية يعني التورط المسبق ٠ وعوض ان نقيم لوبي عربيا في اميركا نكون قد اقمنا لوبي اميركيا في المشرق العربي ٠

ـ ولكن اين هو الخطر ؟

فالاميركيون موجودون في كل مكان ٠ من ابار النفط الى مؤسسة فرنكلين ٠

ـ طبعا لا يوجد خطر ٠ ولكني حاولت ان افكر ٠

وعندما افكر ، لا استطيع ان امشي في شوارع نيويورك سوى ان اتذكر راشد حسين ٠ والشاعر الذي يقول في قصيدته ان « لا صفصاف في نيويورك » ٠ عندما مشيت في شوارع هذه المدينة المليئة بالابنية بحثت عن الشجر ٠ كنت متأكدا انه لا توجد شجرة واحدة في نيويورك ٠ لكني فوجئت بأن المدينة مليئة بالشجر ٠ شجر عار يأكله الاسمنت ، لكنه شجر٠ لماذا يكتب الشعراء ؟ « اعذب الشعر اكذبه » ، لكن الشعر الحديث ليس عذبا ، فهو شعر درامي ومعقد ٠ فلماذا يكذب ؟

حدثني ادوار سعيد عن النقد الجديد في نيويورك ٠ فقلت له بأنني اعتقد بأن هذا النقد لا يزال يدور ضمن حلقة بارت ودريدا وفوكو ٠ قال لا ٠ لقد جاءت باريس الى هنا ٠ واخبرني انه التقى فيليب سولرز في نيويورك ٠ قال ان سولرز يأتي كثيرا ٠ فبعد العدد الخاص الذي اصدرته مجلة « تل كل » عن اميركا ، اصبح سولرز ضيفا دائما ٠ يلقي المحاضرات ويقبض الدولارات ٠ قال ان سولرز سأله عن كتابه الجديد حول المستشرقين وحول لاهوتية لامنس التي هو معجب بها ٠ ـ ولكنك ماوي ٠ بطلت ـ اجاب سولرز ٠ ـ انت ماذا ؟ انا اميركي قال سولرز ٠ الان لم يعد اسمي فيليب ٠ انا ادعى فيل ٠ وضحك سولرز وضحك الجميع ٠

---

**اشارة**

**عقد اللقاء الحادي عشر لرابطة الخريجين العرب الاميركيين في مدينة مينيابوليس في ولاية مينيسوتا ، ما بين ٢٧ و ٢٩ تشرين الاول ( اكتوبر ) ١٩٧٨ ، تحت عنوان تكامل العالم العربي ٠ وكان اللقاء مناسبة لحوار عميق وقصير حول اهم مشكلات العالم العربي٠ وفي نهايته انتخب الدكتور سميح فرسون رئيسا للرابطة ٠ ولقد تاسست رابطة الخريجين العرب الاميركيين عام ١٩٦٧ ، بهدف مواجهة النشاط الصهيوني على المستويين الاكاديمي والاعلامي ٠ وهي تضم عددا كبيرا من الخريجين العرب ( اساتذة ومهنيين ) ولها فروع في غالبية المدن الاميركية ، وتقوم بنشاطات متعددة على المستويات الاعلامية والبحثية ٠ وتصدر منشورا دوريا ٠ وهي تستعد الآن لاصدار مجلة فصلية بعنوان : ARAB STUDIES QUARTERLY ، وسيرأس تحريرها ابراهيم ابو لغد وادوار سعيد ٠**

قالوا لي لا تذهب الى واشنطن · انها مجرد ضاحية صغيرة اذا ما قورنت بنيويورك لكني ذهبت · فأنا اريد رؤية كمال بلاطة · كيف استطيع ان ارى اميركا دون ان اراه · وعندما التقينا بعد طول غياب ، فوجئت حين رأيته بأني لست في اميركا · انا في القدس· فوجه هذا الفنان المقدسي لا يوحي بغير القدس ، رغم انه يكتب ويتكلم بتأمرك حين يريد· انا لم ار القدس في حياتي · وها هي القدس جميلة ومنحنية كالشعراء والرسامين · وها هو كمال بلاطة الذي وعدني منذ لقائنا الاول بأنه سيأخذني الى اميركا يأخذني الى القدس ويتحدث ، من الشعر الجاهلي الى الشعر الحديث · ويسأل عن الاصدقاء وعن بيروت · وانا معه · اذهب الى اميركا واتفرج على القدس · ذهبنا الى جميع المتاحف ، وقطعنا جميع طرقات واشنطن وقابلنا نساء البناية التي يقيم فيها · وكان جميلا وهو يحتضن امرأة كهلة تعيش وحيدة في غرفتها · قال لها انه سيزورها وسيأتي لها بالحلوى · سألته ولكن ؟ قال هذه هي اميركا · الكهول يعيشون وحدهم ويجلسون امام النوافذ بانتظار رسالة او زيارة · وقال أن صاحب البناية يريد طرد المستأجرين وانه تولى ادارة الدعوى التي قدمها المستأجرون ضده · قال انه سيأخذني غدا الى جورج تاون وهناك سوف ارى واشاهد كيف · وذهبنا الى جورج تاون ·ورأيت البيوت الصغيرة التي كان يقيم فيها الفقراء السود وقد تحولت الى فيلات انيقة · صارت جورج تاون موضة بعد ان اشترى كنيدي بيتا فيها · وتم طرد الفقراء الى الاحياء الفقيرة ·

وكانت واشنطن تغتسل كل صباح والشمس تشرق على الحدائق والاحياء الفقيرة كاحيائنا · اعطاني نسخة من كتابه حول الشعر النسائي العربي ، وحدثني عن مشروعه لاصدار كتابين عن راشد حسين وهاني جوهرية · يعمل كأنه لا يعمل · يسير بين الماضي الذي رآه والحاضر الذي لا يريد ان يراه · ويعود بي الى القدس ويقول انه ضد العودة· ففلسطين ليست الوراء بل الامام · ونشرب المارغريتا المغمسة بالملح ونتذوق طعم المتوسط، ثم يشتري لي خبزا عربيا من السوبر ماركت ·

وفي ليلة « الهلوين » ذهبنا الى أميركا · انه عيد القديسة بربارة · لكنهم هنا لا يأبهون بالقديسين ، يصدرون القمح ولا يطبخونه ليلة عيد البربارة كما تفعل امي · كانت واشنطن البيضاء بأسرها في الشوارع · الرجال والنساء والاطفال يلبسون الاقنعة ، يرقصون في الشوارع ويدورون حول البيوت ·

وحين ودعني هو وصديقته الجميلة في محطة القطار ، الى نيويورك ، احسست بحاجة الى بكاء له طعم خاص · هكذا نحن ، قال · فلاديمير تماري في طوكيو، وانا فيواشنطن · والقدس هنا ·

لكن نيويورك لا توحي بالقدس · بشر من كل الالوان · بيض ، صفر ، سود · احياء من كل الاجناس · طعام له جميع المذاقات · وبنايات عالية وبورصة وتمثال الحرية ·

نيويورك تريد ان تقول انها العالم ، لانها تلغي العالم · تحاول ان تجمع الكون في وحدتها القاتلة كي تقول ان الكون لا وجود له · تلغي بعنف وتقتل بعنف · انها تعيش لان العالم يموت ، او يموت العالم كي تعيش · ولا وجود لاحتمال ثالث · نيويورك هي العالم، اي أن العالم غير موجود · تلغي العالم وهي تقول انها تلخصه لكن الكون ليس بحاجة الى هذا التلخيص · اللغات القديمة لا تلخص هنا · انها تلغى ·

هكذا قال الخميني الذي رأيته وهو يخرج من لوحات الواسطي ، يتمتم كلماته · خرج كالصورة البعيدة المعلقة في جدار قديم ، وكأنها اصبحت جزءا من جدار يتآكل · خرج ولم يقل شيئا · قال فقط بضعة كلمات غامضة عن الحائط الذي قيل انه يتآكل وينهار · فانفجرت الصور القديمة ، وخرج الناس الى الشوارع يحرقون النفط · وعندما سيحترق النفط تعود الصور الى الحائط ، بانتظار حائط جديد ·

دخلنا الى الكهف المسور بالمصابيح الكهربائية السوداء ، واستلقينا على ارض من الزجاج ، ثم بدأت الموسيقى · كانت موسيقى كزاناكس المبرمجة على العقل الالكتروني تجمع رائحة البخور البيزنطي الى اصوات الالات والمحركات ، الى الاضواء التي تأخذ اشكالا هندسية وتتلون وتشرقط · البخور هو السبب لكني تذكرت رؤيا يوحنا ، ورأيت العالم يغوص في الضوء · وكانت النهايات تجري ، والخروف المذبوح على المائدة يرتجف بموته والاضواء ترتجف ·

عندما خرجنا قلت لليلى بأني أرى المدينة صفراء · نظرت اليها لماذا انت صفراء سألتها ، لقد تغيرت المدينة · نظرت الي وقالت طبعا · المدينة صفراء وانا صفراء وانت اصفر · ومشينا الى مقهى صغير حيث شربنا قهوة صفراء ·

**الياس خوري**

نيويورك